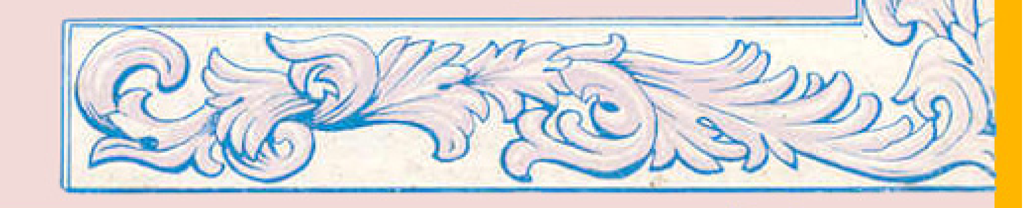


تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط - المغرب

مجلة شهرية تعنى
بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر



الثمن 100 فرنك



العدد الرابع • السنة الثانية
يناير 1959 • رجب 1378

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
عبد القادر الصحراوي

دعوة الحق

العدد الرابع
السنة الثانية
يناير 1959
رجب 1378

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



تمثل الصورة جزءا من شارع محمد الخامس ، الشارع الرئيسي بمدينة الرباط عاصمة المغرب .

ويخترق الشارع المدينة الجديدة التي يبدو جزء منها في الصورة ، كما يخترق المدينة القديمة ايضا التي تبدو اجزاء منها في مؤخر الصورة .

وقد شيد الرباط لاول مرة الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ، في القرن السادس الهجري .

بيانات إدارية

تبعث المراسلات بالعنوان التالي :
مجلة «**دعوة الحق**» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك عن سنة 1.000 فرنك ، وللطلبة 500 فرنك فقط .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« **دعوة الحق** » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : «**دعوة الحق**» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
قسم التوزيع ـ بادارة المجلة .
تليفون 308.10 ـ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد :

هذه المجلة

هذه المجلة يريدها البعض خالصة تماما للبحوث الدينية والدراسات الاسلامية ، ويريدها البعض الآخر خالصة للادب والنقد وما الى ذلك من ضروب المعرفة والتفكير .

وتتسع شقة الخلاف بين الفريقين الى ان نسمع البعض ممن يمثل الفريق الاول ، يتهم المجلة بأنها تنكرت لمبادئها واهدافها والغايات التي صدرت من اجلها ، وذلك من يوم ان بدات تهتم بالادب والثقافة العامة ، الى الحد الذي كان يجردها من صبغتها الحقيقية ، وهي انها مجلة كان يجب ان تظل مقصورة على البحوث الدينية والدراسات الاسلامية بحكم صدورها عن وزارة الاوقاف .. ؛ والى حد ان نسمع ايضا البعض ممن يمثل الفريق الثاني يتهم المجلة بالاسفاف لما تنشره ـ على حد تعبيره ـ من مقالات في الوعظ والارشاد ... !!

وبين هؤلاء واولئك من لا يذهب به التطرف هذا المذهب او ذاك ، فيحمد للمجلة انها تؤدي رسالتها على خير وجه في ميدان البحوث والدراسات الاسلامية ، وتضيف الى ذلك انها تسد بعض الفراغ في ميدان الفكر بصفة عامة ، في هذا البلد الذي لم يحظ فيه الفكر بعد ، بما يستحقه من الاهتمام والرعاية والعطف والتشجيع .

والحقيقة ان هذه المجلة لم تحد قط عن اهدافها التي رسمتها لنفسها منذ البداية ، هذه الاهداف التي تتلخص في هذا التعريف الذي اختارته لنفسها في سنتها الاولى ، وهو انها **(مجلة تعني بالبحوث الدينية وبشؤون الثقافة والفكر)** والذي ادخلت عليه تحويرا بسيطا في سنتها الثانية فاصبح هكذا : **(مجلة شهرية تعني بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر)** .

وقد كان هذا التحوير مقصودا كما كان التعريف الاول مقصودا ايضا .

ذلك اننا فيما يتعلق بالقضايا الدينية لم نكن منذ اليوم الاول نريد للمجلة ان تكون منبرا للوعظ والارشاد ، لا غضا من قيمة الوعظ والارشاد او استهانة بها ، وانما لان كل لون من القول له ميدانه الخاص ، وله جمهوره الذي يتوجه به اليه ، والمجلة تكتب للخاصة من القراء ، وهؤلاء في حاجة الى من يناقش القضايا معهم ، ويثير عقولهم ، ويتحمل بعض المشقة في البحث والتفكير ليأتيهم بالجديد من الادلة والاستنتاج والمقارنة .. بحاجة الى العالم الذي يبسط لهم راي الدين بسطا في القضايا السياسية والاجتماعية والانسانية ... بحاجة الى العالم الذي يعرف كيف ينفذ الى وجدانهم عن طريق عقولهم ، وتلك مهمة الباحث لا مهمة الواعظ .

ومع ذلك فان كثيرا من الكتاب لم يفهموا الغرض المقصود من كلمة **(البحوث الدينية)** فجعلوا يمطروننا

بالخطب المنبرية الوعظية التي لا تكلف كاتبها اي مجهود عقلي ، ولا تزيد على ان تكون نسخا وتكرارا لكلام مهما تكن قيمته ، فان له مجالا آخر غير هذا المجال .

وكان من الضروري بطبيعة الحال الا ننشر شيئا من هذا القبيل .

لذلك عمدنا في السنة الثانية الى تغيير كلمتي **(البحوث الدينية)** ، بكلمتي **(الدراسات الاسلامية)** لانها اوسع مجالا من جهة ، ولما نرجو — من جهة اخرى — ان يكون لها من مفهوم اوضح لدى حضرات الكتاب والباحثين .

والواقع اننا لو قصرنا المجلة على البحوث الدينية او الدراسات الاسلامية لكنا قد وجدنا انفسنا مضطرين الى نشر كثير من الكلمات التي تسيء الى البحوث الدينية والدراسات الاسلامية ، بدلا من ان تضيف اليهما جديدا او تكشف منهما غامضا ؛ ولكنا قد وجدنا انفسنا ايضا مضطرين الى نشر بعض الاعمال البسيطة التي يمكن ان توصف بحق بالتفاهة والاسفاف ...

لذلك آثرنا ان نكتفي في كل عدد بنشر بضع كلمات او بحوث او دراسات اسلامية ، ذات قيمة خاصة وفائدة ملحوظة ، فالقليل الجيد خير الف مرة من الكثير الذي يغلب فيه الغث على السمين ، والذي تضيع فيه الاعمال الجادة المفيدة وسط ما يكتنفها من ركام الاعمال البسيطة التافهة التي لا تثقف عقلا ، ولا توقظ وجدانا ، ولا تأتي في موضوعها بجديد .

*

اما **(شؤون الثقافة والفكر)** العامة بما فيها من تاريخ وفلسفة واجتماع وادب ونقد وغير ذلك ، فقد كانت كلها من اهداف المجلة من اول يوم لصدورها ، بشرط واحد فقط ، هو الا يكون في شيء منها ، مما يطلب من المجلة ان تنشره ، ما يتنافى مع الاهداف الاخرى للمجلة .

فالمجلة لا تستطيع أن تنسى انها تصدر عن وزارة دينية ، وانها تصدر اولا لخدمة البحوث الدينية والدراسات الاسلامية ، ومن ثم فيجب ان تظل بعيدة عن كل ما هو غير خلقي ، وعن كل ما يمكن ان يعتبر تجديفا او تنكرا للقيم والمثل العليا .

وفيما عدا ذلك فان الدين لا يخاصم المعرفة ، بل يدعو الى طلبها ، ولا ينكر الادب ، فان نبيه صلى الله عليه وسلم كان يطرب للشعر ويثيب عليه ، وكان يهتز للتعبير الرشيق والاحساس البليغ ، وكان لا يلقي الشاعرة الخنساء الا هاشا باشا مرحبا ، وكان يقول لها في كل مرة : **هيه يا خناس !**

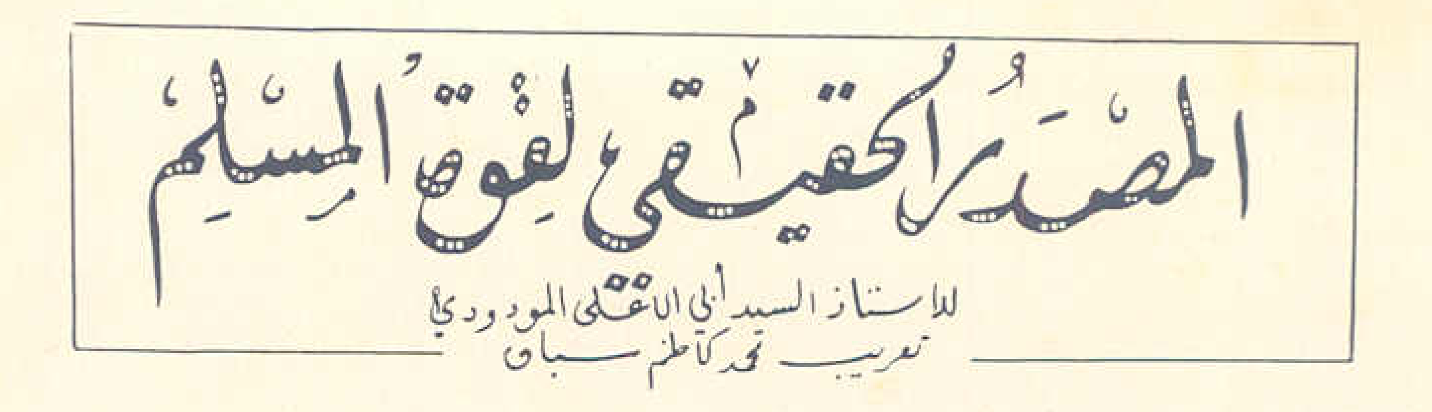
وهو الذي — اثر عنه — انه قال : **ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة .**

دعوة الحق

اقرأ في باب «النقد الأدبي» في صفحة 67 من هذا العدد :

إصلاح الميزان

للزعيم الاستاذ علال الفاسي



من حوادث مطلع القرن الثاني للهجرة ان رتبيل ملك سجستان والرخج، كسر الخراج، وابى ان يدفعه لعمال بني امية ، فاغاروا عليه الغارات ، ولكنه لم يخضع وفي ايام الخليفة الاموي يزيد بن عبد الملك بعث اليه وفدا من المسلمين يطالبه بالخراج ، فلما دخل عليه الوفد اقبل عليهم يسائلهم :

اين القوم الذين كانوا يأتوننا من قبلكم خماص البطون من الطوى ، ينتعلون الخوص وفي وجوههم سيماء من اثر السجود ؟

قيل له : قد مضوا . فقال رتبيل : انتم لاشك انضر منهم وجوها ، ولكنهم كانوا اصدق وعدا واشد منكم بأسا . ويقول المؤرخ ان رتبيل قال قوله هذا والتوى بما عليه من الخراج ، وما زال خالعا يده من طاعة الحكومة الاسلامية مدة نصف قرن او نهازه .

ذلك في عهد كان كثير من التابعين وتابعيهم فيه على قيد الحياة ، وكان زمان الائمة المجتهدين، لم يمض على وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الا قرن واحد ، والمسلمون امة موفورة القوة والحياة ، لا يزالون يبسطون نفوذهم على الدنيا ، وقد ملكوا فارس والروم ومصر وافريقيا واسبانيا ، ولا تساميهم امة من امم الارض في العدة والعتاد، والعزة والبذخ والثروة والاموال هذا والايمان يعمر القلوب ، واحكام الشرع تتبع اكثر مما تتبع الآن ، ونظام السمع والطاعة قائم ، والامة ينظمها تنظيم محكم ، الا ان خصمهم الذي كان قد صارع اسلافهم البدو السذج من رجال عهد الصحابة ، وعجم عودهم ، احس بفرق عظيم بين هؤلاء الشاكين في السلاح ، واولئك المعدمين العزل .

من اي شيء كان هذا الفرق يا ترى ؟

كأني بعلماء فلسفة التاريخ يجعلونه فرقا بين البداوة والحضارة ، فيقولون : ان اهل البداوة كانوا لشظفهم اصبر على المشاق ، والذين جاؤوا من بعدهم جعلتهم الثروة والتمدن يألفون الدعة والعيش الناعم ، ولكني اقول : لم يكن ذلك علة هذا الفرق ، بل كانت علته في الحقيقة هي الايمان والاخلاص والنية والاخلاق وطاعة الله ورسوله؛ فهذه كلها كانت مأتى القوة الحقيقية للمسلمين ؛ لم تكن قوتهم من كثرة العديد ولا من وفرة العتاد ولا من قناطير الذهب والفضة ولا من حذق العلوم والصناعات ولا من توفر لوازم الحضارة والتمدن، وانما كانوا نهضوا بقوة الايمان والعمل الصالح ، وهذه هي التي جعلتهم اعزة في العالم ، والقت في قلوب الامم هيبتهم ، كما ملأتها ثقة بخلقهم وامانتهم ؛ وهم ما داموا حائزين لهذا الذخر من القوة والعزة ، بقوا في الارض اقوياء يجلون ويرهبون مع قلة العدد ونزر الزاد ؛ ولكنه لما ضاع عنهم هذا الذخر اصبحوا يضعفون على مرور الايام واصبحت ريحهم تفشل ، ولم تغن عنهم كثرة العدد واستفاضة الاسباب المادية .

فقد رأيت ان الذي قاله رتبيل — وهو عدو للاسلام والمسلمين — هو اوعظ من آلاف المواعظ والوصايا نسمعها من اوليائنا والناصحين ، قد بين رتبيل في الحقيقة ان القوة الحقيقية لامة ما ليست في جيوشها الزاحفة ولا في اسلحتها اللامعة ولا في جنودها المتأنقين في المآكل والملابس ، ولا في وسائلها واسبابها الكثيرة ، بل قوتها هي الخلق الفاضل والسيرة الطيبة والمعاملة الصحيحة والامل البعيد ؛ وهذه هي تلك القوة الروحية التي تفتح قلوب الامم بدون الوسائل المادية ،

وتمكن المتربين من مصاير المترفين ، ولا تملكهم البلاد والاقطار فحسب ، بل تملكهم مع ذلك النفوس والقلوب

بهذه القوة يتقدم اللابسون نعال الخوص ، المهزولون المعرقون ، المغمدون سيوفهم فى الاطمار ، فيشعرون اهل الارض من انفسهم من الهيبة والرعب والسيطرة والجبروت والقدر والمنزلة والسلطة والثقة ، ما لا يتهيا ابدا للابسي الوشي والديباج ، واخوان البذخ والترف ، اولى الوجوه الناضرة والمنازل الرفيعة ، والمتجهزين بالمناجيق الضخمة والدبابات الفخمة .

ذلك ان وفرة القوة المعنوية تتلافى قلة الاسباب المادية ، ولكن وفرة الاسباب المادية ما كانت لتلافى فقدان القوة المعنوية ؛ ولو ان غلبة تحصل بدون هذه القوة ، فانها احرى ان تكون عارضة موقتة ، لان القلوب لا تفتح ابدا بدون هذه القوة ، وانما تتطاطا الرقاب ، ثم تبقى لتنتهز اول فرصة للتشامخ والاستكبار .

الم تر ان البناء لايتحقق احكامه بنقوشه وزخارفه والوانه ، ولا بفنائه الرحب وروضته الغناء ، ولا باي جمال خارجي آخر ، كما لا يزيد فى قوته كثرة ساكنيه، ولا وفرة اثاثه ولا تعدد اجهزته وآلاته ، وهو ما دام واهي الاسس اجوف الجدر متآكل العمد متفتت الالواح والخشب ، فانه لا يمنعه شيء من السقوط ، وان كان عامرا بالاهل زاخرا بالمتاع ، يسر الناظرين بزينته وتحاسينه . انا نحصر نظرنا فى المظاهر ، ولا تكاد ابصارنا تتعدى منظر عيوننا؛ ولكن حدثان الدهر لا يقف فعله عند الظاهر ، بل هو ينفذ الى الصميم، فهو يمارس الاسس ويخبر متانة الجدران ويمتحن سلامة العمد ، فان وجد هذه كلها محكمة متراصة ارتد كالموج ترده الصخرة الصماء ، وقوى عليه البناء برصانته واحكامه، مع انه عاطل من كل زينة ؛ وان كانت الاخرى ، حطمته لطمات الحدثان حتى ينهار مع كثرة سكانه وجودة نقوشه والوانه .

هذه بعينها هي حال الحياة القومية ، فالذي يجعل امة ما قوية غالبة بين الامم ليس منازلها ولا ملابسها ولا مراكبها ، ولا مرافق حياتها الناعمة ولا فنونها اللطيفة ، ولا مصانعها ولا كلياتها — بل هو المبادىء التي تقوم عليها حضارتها ، ثم هو رسوخ تلك المبادىء فى القلوب ، وهيمنتها على الاعمال ؛ وهذه الاشياء الثلاثة اي سلامة المبادىء ، والايمان القوي بها ، وهيمنتها الكاملة على الحياة العملية ، هي فى حياة الامم بمثابة الاساس المتين والجدار القوي والعماد المحكم فى البناء.

فالامة التي توفرت فيها هذه الامور الثلاثة تامة ، فلا جرم ان تكون غالبة بين الامم، تعلو كلمتها فى الارض، وينبسط نفوذها على الشرق والغرب ، وتتأصل ثقتها فى القلوب ، وتخضع لاوامرها الرؤوس ، وتكون مكرمة محترمة ، وان كانت تسكن الاكواخ وتلبس الاسمال ، وكان افرادها ضامري البطون من الحاح الفاقة ، ولم تكن فى مدائنها كلية ، ولا ارتفعت من حاراتها مدخنة ، ولا كانت لها فى العلوم والصناعات يد ؛ ذلك بان كل هذه الاشياء التي تعدونها من اسباب الرقي والتقدم ، ان هي الا نقوش والوان للبناء ، وليست اسسه وقواعده واركانه ؛ وانت ان كسوت الجدران المنخورة ورق الذهب فلن يمنعها من الانهيار ، وهذا هو الذي يعيده القرآن ويكرره :

فيصف مبادىء الاسلام بانها تطابق تلك الفطرة الثابتة غير المتبدلة التي قد فطر الله تعالى عليها الانسان لذلك فان الدين المشيد على تلك المبادىء هو الدين القيم ، اي الدين الذي يقيم جميع شؤون المعاش والمعاد على الطرق الصحيحة المستقيمة : « فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرت الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون» (الروم) . ثم يقول بعد ذلك ان استمسكوا بهذا الدين القيم وآمنوا به واعملوا بمقتضياته ، تغلبوا فى الدنيا وتورثوا الارض وتستخلفوا فيها : « ان الارض يرثها عبادي الصالحون» الانبياء . «وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » (آل عمران) . « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض » (التوبة) . « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ، فان حزب الله هم الغالبون » (المائدة) .

وبخلاف هذا ، ان الذين قد دخلوا فى حظيرة الدين فى ظاهر امرهم ولكن لم تخالط بشاشته قلوبهم ولا هو قد اصبح قانون حياتهم ، فلا ريب ان ظاهرهم رائق معجب (واذا رايتهم تعجبك اجسامهم) واقوالهم لذة للاسماع (وان يقولوا تسمع لقولهم) ولكنهم فى الحقيقة جثث هامدة لا روح فيها (كانهم خشب مسندة) يخافون الناس اكثر مما يخافون الله (يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية) اعمالهم كسراب يتراىء كالماء ولا ماء فى الحقيقة (اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) ، وامثال هؤلاء لا يمكن ان تتاتى لهم قوة جماعية لان قلوبهم متنافرة ، وهم لا يستطيعون ان يتشاركوا فى عمل من الاعمال بالنية الخالصة (باسهم بينهم شديد ،

تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) فلا يمكن ان يكون لهم من القوة ما يختص بالمؤمنين الصالحين (لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة او من وراء جدر) وهم لن ينالوا امامة العالم (قال لا ينال عهدى الظالمين) ، وليس لهم من العاقبة الا ان يذلوا ويخزوا فى الدنيا ويلقوا فى الاخرة عذابا وعقابا (لهم فى الدنيا خزي ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) .

ولعلك تعجب ان كتاب الله لم يقرر الذريعة الى رقي المسلمين وغلبتهم فى الارض الا الايمان والعمل الصالح ، ولم يدع المسلمين ان يؤسسوا الجامعات وينشئوا الكليات ويقيموا المصانع ويصنعوا السفن ويؤلفوا الشركات ويفتحوا المصارف ويخترعوا الآلات، وان يحاكوا الامم الراقية فى اللباس وطرائف الاجتماع والعادات ، ثم انه جعل السبب الوحيد للتخلف والانحطاط وخزي الدنيا والآخرة هو النفاق ، لا انعدام الاسباب التي تحسبها الدنيا اسباب التقدم والرقي .

ولكنك ان تفهمت روح القرآن وغصت معانيه السامية ، زال عنك هذا العجب ، فاقل ما يجب ان يفهم فى هذا الصدد هو ان الشيء الذي يقال له « مسلما » لا قوام له بالاسلام ، ولا يتحقق وجوده من حيث انه مسلم الا بالاسلام ، فهو ان يؤمن برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويتبع القوانين التي انزلت عليه يتحقق اسلامه ، وان كان يملك شيئا آخر ما عدا الاسلام ، وبالعكس من ذلك ان يكن متحليا بكل ما يعد من زينة الحياة الدنيا ولم يعمر قلبه الايمان ولم تتصف حياته باتباع قوانين الاسلام ، فانه يمكنه ان يكون حائزا لدرجة او طبيبا بشهادة او مالكا لمصنع او رئيسا لمصرف او قائدا لجند او اميرا للبحر ، ولكنه لا يمكن ان يكون مسلما ؛ لذلك لا يجوز ان يعد رقي ما رقي فرد مسلم او امة مسلمة ، ما لم تتحقق الحقيقة الاسلامية فى ذلك الفرد او الامة، وبدون هذا لن يكون ذلك الرقي رقي المسلم ، مهما كان عظيما ؛ وظاهر ان مثل هذا الرقي لا ينشده الاسلام ولا يطمح اليه ببصره .

ثم انه قد يكون ان امة ما ليست بمسلمة وقد اسس على غير الاسلام افكارها واخلاقها ونظامها الاجتماعي ؛ هذه الامة يمكنها ولا ريب ان تنهض بالمبادىء الخلقية والسياسية والاقتصادية والمدنية التي تختلف عن الاسلام ، ثم تبلغ اوج الرقي الذي تعده رقيا من وجهة نظرها ، ولكنه مما يغاير هذا ويختلف عنه البتة ان تكون امة قد اسست افكارها واخلاقها ومدنيتها واجتماعها وسياستها واقتصادها على الاسلام ، ثم تكون ضعيفة فى هذا الاسلام من ناحيتي العقيدة والعمل كليهما؛ فمثل هذه الامة مهما هيأت لنفسها من اسباب الرقي المادي ، لا يمكنها البتة ان تنهض فى الدنيا امة قوية شديدة البأس ، غالبة على غيرها من الامم ، وذلك بان الذي عليه اسس وجودها القومي واخلاقها وحضارتها هو نفسه ضعيف واه ، وهي القاعدة والاساس ، هيهات ان تلافاه الزينة والجمال الظاهر .

على انه ليس المقصود بهذا كله انا ننكر الاهمية الصحيحة للعلوم والفنون واسباب الرقي المادي ، بل المقصود ان هذه كلها فى الدرجة الثانية للامة المسلمة ، يتقدمها كلها احكام الاساس ؛ فاذا استحكم ، فلا حرج ان يتخذ من وسائل الرقي كل ما يلائم هذا الاساس ، بل من الواجب ان تتخذ جميع تلك الوسائل ، ولكنه اذا كان الاصل بنفسه واهيا ، وكانت جذوره فى سويداء النفوس ضعيفة ، وسيطرته على شؤون الحياة فاترة ، فلا بد من ان تنحل الاخلاق وتسوء سيرة الافراد وتفسد المعاملات وتسترخي ضوابط النظام الاجتماعي وتتشتت القوى والكفاءات ، ولا تكون نتيجة ذلك الا ان تخور قوة الامة وتشول كفتها فى ميزان الامم الدولية مع مضي الايام ، فتغلب الاخرى عليها ، وفى هذه الحالة ليس يغني عنها شيء من كثرة الوسائل ووفرة الجامعيين الافاضل والزينة والزخرفة الخارجية .

ثم هنالك ، فوق هذا كله ، ان كتاب الله يقول بكل ثقة : « انتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » و «الا ان حزب الله هم الغالبون » و « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض » فترى ماذا تستند اليه هذه الثقة ، وبناء على اي شيء ادعى القرآن انه مهما كانت عليه امم الارض من الوسائل المادية ، سيغلبها المسلمون لامحالة بسلاح الايمان والعمل الصالح وحده ؟ .

هذه العقيدة يحلها القرآن بنفسه ، فاسمعه يقول : « يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ؛ ان الله قوي عزيز » (الحج) . و « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت » (العنكبوت) .

المقصود ان الذين يعتمدون على القوى المادية ، يعتمدون فى الحقيقة على اشياء ليست لها فى نفسها قوة، ومن نتيجة هذا الاعتماد على ما لا قوة له انهم يعودون

بانفسهم لاقوة لهم ، وكل ما يبنون عند انفسهم من حصون محكمة رصينة ، تكون واهنة كبيت العنكبوت ، وهم لا يستطيعون ابدا ان يكافحوا الذين يتقدمون باعتمادهم على الله ذي العزة والقدر الحقيقيين . « ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » (البقرة) .

ويتحدى القرآن انه كلما التقى جمعان من اهل الايمان واهل الكفر ، كان الانتصار لاهل الايمان لا محالة « ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » (الفتح) ؛ « سنلقي فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا » (آل عمران) . وذلك بان الذين يقاتلون عن الله تعالى يكون فى عونهم التأييد الالهي ، ومن كان معه التأييد الالهي فلا يدى لاحد بكفاحه « ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم » (محمد) ؛ « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (الانفال) .

هذا من قوة المؤمن الصالح وايده ؛ وبجانب ذلك ان من القانون الالهي ان من كان نزيها محمود السيرة ، بريئة اعماله من لوثات الاثرة والطمع ، متبعا للقانون المنزل من عند الله تاركا وراء ظهره اهواءه ومآربه النفسية ، فانه يتحبب الى خلق الله ، فالقلوب تنجذب شوقا اليه ، والانظار ترتفع اليه بالتحية والاحترام ، ويؤمن بصدقه اعداؤه فضلا عن اوليائه ، ويثقون بعدله وعفته ووفائه « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا » (مريم) ، « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » (ابراهيم) ، « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعلمون » (النحل) .

ولكن ، نتيجة اي شيء كل هذا ؟ ليس هذا نتيجة ان يقول المرء كلمة « لا اله الا الله » ويتسمى باسماء المسلمين ، ويتبع بعض التقاليد المعلومة فى المجتمع الاسلامي ، او يؤدي بعض الشعائر ، بل يشترط القرآن لظهور هذه النتائج الايمان والعمل الصالح ؛ انه يريد ان ترسخ حقيقة « لا اله الا الله » فى قلوبهم ونفوسهم رسوخا يجعلها غالبة على افكاركم وتصوراتكم واخلاقكم ومعاملاتكم ، تنطبع حياتكم بطابعها ، ولا يتسرب الى اذهانكم معنى يختلف عن معاني هذه الكلمة ، ولا يصدر عنكم من عمل يخالف مقتضى هذه الكلمة .

فلتكن نتيجة التفوه بكلمة « لا اله الا الله » ان يحصل مع ذلك انقلاب تام فى حياتكم ؛ تسرى روح التقوى فى عروقكم ، ولا تخضع رؤوسكم لاحد غير الله ولا تمتد ايديكم الى احد غير الله ، ولا تخشى نفوسكم ما سوى الله ؛ فلا يكون حبكم ولا بغضكم الا الله وحده ، ولا ينفذ فى حياتكم قانون غير قانون الله ، فتكونون مستعدين ابدا لبذل كل ما تحبون فى سبيل رضا الله تعالى ، واذا بلغكم احكام الله ورسوله ، لم يكن عندكم بازائها الا « سمعنا واطعنا » قولا وفعلا . اذا حصل كل ذلك فيكم ، لم تكن قوتكم قوة انفسكم واجسامكم وكفى ، بل كانت قوة احكام الحاكمين الذي يسجد له ما فى السماوات والارض طوعا وكرها ، وتنور وجودكم بنور السماوات والارض ، الذي هو المحبوب الحقيقي لجميع الخليقة .

كان هذا كله حاصلا فى المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، فكان من نتائجه ما قد شهد به سجل التاريخ ؛ كان ذاك العهد من قال فيه « لا اله الا الله » تبدلت حياته غير الحياة ؛ يكون خاما فيصبح كالذهب المسبوك ، كل من يراه فكانه راى التقوى المجسم والصدق المتمثل ؛ يكون اميا فقيرا يعاني الفاقة ويلبس الخشن ويجلس على الحصير ، ولكن يكون من هيبته فى القلوب ما لا يكون لذوي العظمة والابهة من الملوك ؛ كانه مصباح اينما ذهب ، اقتبس من نوره كثير من المصابيح ؛ ثم من نفر من هذا النور وتجرا على ان يزاحمه ويطفئه ، وجد فى شعلته ما يحرقه ويفنيه .

مثل هذه القوة الايمانية والسيرة الطيبة الصالحة ، كان يملكها المسلمون الذين انبروا للعرب كلها فى ميدان الكفاح ، وهم لا يزيدون يومئذ على ثلاثمائة ونصف ، ولما بلغ عددهم بضعة ملايين ، خرجوا فى الارض يغزون الامم ويفتحون الممالك ، وما زاحمهم فى هذا الطريق قوة الا كسروا شوكتها وذللوها تذليلا .

فقوة المسلم الحقيقية ــ كما اسلفنا ــ هي الايمان والسيرة الطيبة ، الناتجة عن رسوخ معاني كلمة « لا اله الا الله » فى القلب ، وان لم تكن هذه المعاني راسخة فى القلب ، بل نطق بها اللسان فحسب ، ولم ينشا عنها انقلاب فى ذهن المرء وفى اعماله وبقى الانسان بعد نطقه بهذه الكلمة كما كان من قبل ، فلا فرق بينه وبين المنكرين لها من حيث الاخلاق والاعمال ، يطاطىء راسه لغير الله كما يطاطئون ، ويستجدي غير الله كما يستجدون ،

ويخاف ما سوى الله كما يفعلون ، ويبغي رضاه ويشغف به حبا ، ثم كان كمثلهم عبدا للهوى ، يجعل القانون الالهي وراءه ظهريا ، ويتبع القوانين الوضعية او يتبع اهواءه ، وتلتاث افكاره وآماله ونياته بمثل ما يلتاث به افكار غير المؤمن بالله وآماله ، وتكون اقواله وافعاله ومعاملاته كمثل ما يكون منها لغير المؤمن .

تقول ان كان هذا كله واقعا ، فقل لي بربك لماذا يفضل المسلم غير المسلم ؟ انه اذا انعدمت روح الايمان وروح التقوى ، فان المسلم لبشر كغير المسلم لا ميزة له عليه ، ولم تعد الموازنة بينهما الا باعتبار القوة المادية والاسباب المادية ، والاقوى بهذا الاعتبار لا جرم ان يغلب الاضعف .

والفرق بين الحالتين واضح على صفحات التاريخ، بحيث يدركه الناظر لاول نظرة فيها .

ففي الحالة الاولى : قامت ثلة من المسلمين ، فدكوا عروش الحكومات العظام ، ونشروا راية الاسلام على ما يمتد من شاطيء نهر (اتك) الى سواحل الاطلانتيك .

وفي الاخرى : هاهم اولاء قد بلغوا آلاف الملايين على صفحة الارض ، ولكنهم خاضعون لدول الكفر ، ومن البلاد ما يعمره مئات الملايين منهم ، وقد مضى على وجودهم فيه قرون ، ولكن الكفر والشرك باق فيه ثام بين اظهرهم .

الازهـــــــار

« ... عرفت الانسانية شعر الحب ، وقتما عرفت حب الازهار ! ... ان اليوم الذي قدم فيه اول رجل بطاقة الزهر الاولى الى محبوبته ، هو اليوم الـذي ارتفع فيه الانسان فوق مستوى الحيوان ، لانه بارتفاعه عن حاجات الطبيعة المادية ، اصبح انسانا .. وبادراكه الفائدة الدقيقة المتسامية لما هو «غير مفيد» ، حلق في سماوات الفن .

في الافـراح والاحـزان ، « الازهـار » هـي لنا الصـديـق الامـين ، فنحـن نطعم ، ونشـرب ، ونغني ، ونرقص ، وهي معنا ! ... ونحن نحب ، ونحن نتزوج وهي معنا ! ... ونحن نمرض في فرشنا وهي معنا ، بل نحـن لا نجرؤ ان نموت الا وهي معنا ! ... وحتى عندما نرقد في التراب ، فليـس سواها يأتي اخيرا ، لتبكي بقطرات نداها فوق قبورنا ! ... وكيف نستطيع العيش بغيرها ؟ ... اهناك اقسى من أن نتصور العالم « ارمل » يحيا بدونها ؟ ! ...

لكـن مهمـا يكن ذلـك مؤلما فـان مـن العبث ان نخفـي عـن انفسـنـا الواقـع : نحـن ــ برغـم دنونـا مـن الازهـار ــ لـم نرتفـع كثيـرا فـوق مسـتوى الحيـوان ! ... مـا مـن « حقيقـة » راسخـة في كيـانـنـا دائمـا غير الجوع ! ... ما من شيء مقدس عندنا غير شهواتنا ... الهنا عظيم ، ولكن نبيه في نظرنا هو الذهب ، من اجله ، وفي سبيل قرابينه ، ندمر الطبيعة برمتها !.. نحن نفخر باننا اخضعنا «المادة» ، ولكنا ننسى ان المادة هي التي اخضعتنا وجعلتنا لها عبيدا .

يا لفظاعة ما نرتكب باسم الثقافة والاحساس والفكر ؟ ! .. حدثيني ايتهـا الازهار اللطيفة ! .. يا دموع النجوم ! ... ايتها الناهضـة في الحديقة ، تترجح رؤوسك تحت رشفات النحل ، وقبلات الشمس ، ولمسات الندى ! ... اتعرفين مـا ينتظرك غدا من مصير رهيب ؟ ... »

الشاعر الياباني : **أكاكورا**

هداية الأربعين

للأستاذ مصطفى الزرقا
أستاذ الشريعة بالجامعة
السورية — دمشق

فى عصر اليوم الاول من رمضان زرت صديقا لي من كبار الموظفين ، قريب عهد بالزواج ، فوجدته وادعا وداعة الصائمين ، وللصيام فى وجهه عنوان ظاهر يقرؤه الناظر اليه .

قلت ــ اراك خافتا صامتا على خلاف عهدي بك فى رمضان وغير رمضان .

قال ــ اني الى الصيام مشتاق ، وقد تحملت اليوم فى صومي المشاق .

قلت ــ كلنا صائم ولا اشكو ما تشكو لاني اتغلب على مشقة الصيام بالاستراحة وقلة الحركة وترك التطواف قدر الامكان ، لان الراحة اعظم معوان على الصيام .

قال ــ اتدري اي مرة اصوم الآن من عمري ؟ وصاحبي المحدث عنه قد جاوز الاربعين من العمر .

قلت ــ فخبرني : كم عمرك لاحسب كم رمضان قد صمت ؟

قال ــ هذا اول شهر ابدا صيامه فى حياتي ، ولم اصم قبل ذلك يوما قط .

قلت ــ لم اكن لاتوقع ذلك كله ، ولكني قد اظن انك قد اهملت الصيام مدة دراستك فى اوروبة ، شان الكثير من زملائك .

قال ــ والله ما علقت (اي ما صمت) يوما من رمضان فى حياتي قبل هذا اليوم ، وقد كنا نرى ، كما يوهموننا ، ان الصيام ليس سوى اجاعة مضعفة للبدن ، غير معقولة طبعا ولا طبا فرضتها اسطورة اسمها الدين ، فاذا تقبلتها العقول الساذجة لا ينبغي ان تتقبلها العقول المثقفة ، والافكار النيرة ــ والاشخاص الذين يفهمون ان الجسم كالآلة المحركة (اي الموتور) ، تحتاج الى زيت ووقود دائمين ما دامت تعمل .

وهنا اخذت العجلة فبادرت صاحبي بقولي : افلا تحتاج المحركات الى عملية تنظيفات ، تخرج منها ما رسب فيها من رذى الزيت وعكره ، وما الح على محراقها ومحراكها من شحار وغبار ، ثم ارايت تلك المصافي التي تقوم فى المحركات بتصفية زيت الانزلاق ، وزيت الاحتراق ، كما تقوم كبد الانسان باحتجاز تلك السموم ومقاطعة طريقها فى البدن ، الا تحتاج تلك المصافي فى المحركات الى تنظيف ما يعلق بثقوبها ويسدها بين الحين والحين ، حتى تستطيع امرار الزيوت نقية الى اماكنها من الآلة ؟

ان الطب الحديث يقرر ان الجسم يحتاج الى اجاعة نظامية ، وهي ما نسميه الصيام ، لكي يرتاح به جهاز الهضم ، ويتاح الوقت المناسب للكبد ولسائر الاعضاء المختصة ان تطرح السموم التي تتراكم فى العضوية ، حتى يستعيد الجسم نشاطه وحيويته، كما يستعيد المحرك قوته وانتظام عمله ، بعد عملية التنظيف بالجلي (اي الروداج) وبالتمسيح ، وتجديد الزيت ، وان الصيام النظامي يعتبر فى الطب تدبيرا صحيا لطرح سموم البدن ، يسمى باللغة الفرنجية : Cure de desintoxication فالذي خلق هذا البدن كالآلة ، شرع له من التدابير المصلحة نظير ما تحتاج اليه تلك الآلة من عناية بالتنظيف والتجديد والاراحة واعادة التوازن فى سائر اجزائها ومحاورها كلما اختل ذلك بين الحين والحين باستمرار العمل وهذا يكون بالصيام الذي ترتاح فيه الاحشاء واجهزة الهضم والافراز وتتصرف فيه الكبد واعوانها الى طرح السموم والقيام بالترميم ، وهذا يفسر لنا السر فى توارد الشرائع الالهية كلها على ايجاب الصيام فان الله تعالى شرعه فى الشرائع السالفة التي ارسل بها رسله سابقا ، كما جاء فى القرآن العظيم من قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما

كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» فنظام الصيام لو لم توجبه الشريعة لاوجبته الطبيعة ومن حسن الحظ ان صاحبي هذا مهندس يعرف جيدا علم الآلات الحركية ويجيد فهم لغتها ومصلحتها .

فتنفس الصعداء وقال لي : آه يا اخي لم تكن فيما مضى نفهم معنى السموم بمفهومها الطبي اليوم ولا ندرك ان الاغذية الجيدة قد تنقلب في البدن سموما بطيئة تتراكم في العضوية وتحتاج الى طرح بنظم من الحمية والتدابير الصحية ، ثم تنهد تنهد الاسف وقال لم يكونوا ايها الاستاذ فيما مضى يعلموننا الدين تعليما جيدا يربطه بنظام الحياة ، وانني الآن التمس ذلك بنفسي بعد الاربعين من العمر واشعر بالحاجة الى ان ارجع الى البحث عن اصول الاسلام ومصادرها الصحيحة وعن فرائضه فاتعلمها من جديد كالاطفال وامارس عباداتي فاشعر بالطمانينة تحيط بقلبي ، وبالسكينة تسكن اليها نفسي ، وهنا قام صاحبي فاحضر لي من على منضدته سلسلة من كتب الديانة المدرسية الجديدة وقال : اني جد مسرور بالقراءة فيها ومعرفة فرائضي وعباداتي ، واعد نفسي سعيدا منذ عهد قريب بممارسة صلواتي وواجباتي الدينية .

فقلت له اما بعد ان عرفت بعض حكمة الصيام ومنافعه واذعنت لها فلا يسعني الا ان انبهك الى ان هذا يجب ان يكون تعريفا لك بان اوامر الشريعة الاسلامية كلها تنطوي على مصالح البشرية وعلى حكم قد تخفي منها نواح وقد تظهر لنا ، فمن واجب المؤمن ان يمتثل اوامر الشريعة وان لم تظهر له حكمتها وفائدتها ، لان الانسان لم يؤت علم كل شيء ، فلا يصح ان يجعل علمه الناقص مقياسا لمعقولية اوامر الشريعة ، وقد تكون حكمة بعض الاوامر روحية خليقة اكثر من كونها مادية او صحية . وقد بقيت مغبوطا بحال صديقي هذا وما هداه الله اليه ، وكنت قبلا اتعهده الفينة بعد الاخرى بالموعظة اللطيفة واحضه على ممارسة عباداته واشرح له بعض حكمها ، وكان يحتج بانه لا يعرف الفرائض والسنن وطلب الي كتابتها فكتبتها له ، وكان يعدني بانه عما قريب ساجده قائما بواجباته .

وفي الحال ساورتني فكرة حول السن التي وصلت فيها سفينة عمره الى ساحل الرشاد ، وبدا فيها تفكيره الديني الذاتي في حدود الاربعين من عمره ، وهي السن التي يشعر فيها الانسان بنضج وتأمل لم يكن يشعر به من قبل ، ويتبدل فيها كثير من مفاهيمه ونظرياته في الحياة والاشخاص ، وتتكون فيها لديه المفاهيم والنظريات المستقرة ، وهي السن التي اختارها الله تعالى لنبوة انبيائه فتمثلت سريعا قوله تعالى في سورة الاحقاف من القرآن العظيم ، حكاية عن اطوار حياة الانسان :

« حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ، قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه ، واصلح لي في ذريتي ، اني تبت اليك واني من المسلمين . اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون » .

واذا كان الصيام بهذه المثابة من الضرورة والفائدة في تدابير الصحة الجثمانية ، فان جميع نتائجه وفوائده تتوقف على حسن نظام الافطار ، فاذا سيء نظام الافطار كما هي عادة الناس اليوم انقلبت حسناته الى سيئات .

الدين والفن

نقلا عن كتاب (فن الأدب)
تأليف : توفيق الحكيم

هناك صلة — في اعتقادي — بين رجل الفن ورجل الدين ، ذلك ان الدين والفن كلاهما يضيء من مشكاة واحدة ، هي ذلك القبس العلوي ، الذي يملأ قلب الانسان بالراحة والصفاء والايمان .. وان مصدر الجمال في الفن هو ذلك الشعور بالسمو ، الذي يغمر نفس الانسان ، عند اتصاله بالاثر الفني .. من اجل هذا ، كان لابد للفن ان يكون مثل الدين ، قائما على قواعد الاخلاق .

وهذا رايي ! ... ولكنه ليس راي كل المشتغلين بالفن .

فلقد اشتد الجدل من قديم بين طائفتين ، طائفة تقول : ان الفن ينبغي له ان يكون اخلاقيا ، وطائفة تقول : ان الفن يجب ان يتحرر — حتى من الاخلاق ، لان الجمال في الفن ينبع من الاتقان ، وان الاجادة — في تصوير الدمامة والرذيلة — لا تقل فضلا عن الاجادة في تصوير الحسن والفضيلة ... هذا صحيح ... واني لاشد الناس تمسكا بحرية الفن ، وادراكا لقدسية هذه الحرية ، ولا اتصور فنا لا يصور الرذيلة ، كما يصور الفضيلة ، ولا يبرز القبح ، كما يبرز الحسن ... وان الدين ايضا — في تنزيله — يصور لنا رجس المشركين ، واثم الكافرين ، وقبح الاشرار والمفسدين ، كما يبرز لنا فضل المؤمنين واحسان المحسنين ، ولكن المقصود ليس حرية التصوير ، فهذه مكفولة في الفن ، ملحوظة في الدين ، انما المقصود هو ذلك الاحساس الاخير ، الذي ينقله الفن والدين الى النفوس ! ...

ما من ريب في ان الاحساس الاخير ، الذي ينقله الدين الى النفوس — مهما يكن لون الصورة ، ونوع التصوير — هو احساس اخلاقي .

فهل هذا هو واجب الفن ايضا ؟ او ان الفن حر حتى في احداث الاثر الذي يريد ، غير مقيد حتى في اقرار المشاعر غير الاخلاقية في نفوس الناس ؟ ...

يقول « شوبنهور » ان النية لا قيمة لها في الاثر الفني .. اي ان نيات الفنان الصالحة او الطالحة لا تقدم ولا تؤخر في القيمة الفنية لعمله ...

ويقول « جويو » ان الروح الاخلاقي عند الفنان كعبقريته يجب ان ينبعا معا وفي وقت واحد من اعماق طبيعته ... وان الفن غير الاخلاقي هو على كل حال احط مرتبة ؛ حتى من وجهة النظر الفنية الخالصة .. ذلك ان الفن العالي ليس ذلك الذي يثير في النفس احر المشاعر واعنفها فحسب ، ولكنه ذلك الذي يثير فيها اكرم المشاعر وارحمها . ان خطر الفن يرجع الى تلك القدرة العجيبة فيه ، تلك التي يستطيع بها أن يستدر عطفك على مخلوقاته ، ويستلبك اعجابك بصوره : وان العطف والاعجاب يعيدان كالمرض . فاذا ابدع الفن في تصوير نوع من الشذوذ او الانحطاط ، وحملك بهذا الابداع على ان تعطف على الانحلال وتعجب بالتدهور : فان مجتمعنا باسره يمكن ان تسري فيه العدوى عن طريق هذا الفن .

ما مهمة الفن الحق اذن ؟ اهي ان يقف المجتمع واعظا ومرشدا وهاديا الى سواء السبيل ؟

من المجمع عليه ان الوعظ والارشاد ليسا من وظيفة الفن ، لان وظيفة الفن هي ان يخلق شيئا حيا نابضا ، يؤثر في النفس والفكر .

ما هو نوع هذا التاثير ؟ .. هنا المسالة ! ..

ان نوع التاثير هو الذي يحدد نوع الفن ، فاذا طالعت اثرا فنيا — قصيدة او قصة او صورة — وشعرت بعدئذ انها حركت مشاعرك العليا ، او تفكيرك المرتفع ، فانت امام فن رفيع ... فاذا لم تحرك الا المبتذل من مشاعرك ، والتافه من تفكيرك ، فانت امام فن رخيص .

هنالك سؤال آخر : ما مصدر هذا التاثير في العمل الفني ؟ ... اهو الاسلوب ام اللب ؟ ... اهو الشكل ام الموضوع ؟ ..

ان الاثر الفني الكامل في نظري ، هو ذلك الذي يحدث فينا ذلك الشعور الكامل بالارتفاع ... وقلما يحدث هذا الا عن طريق السمو في اللب والاسلوب ،

لان ضعف « الشكل » ، وسقم « الاسلوب » يحدثان فى النفس شعورا بالقبح والضيق والاشمئزاز ، وهذا ينافي الشعور بالجمال ، والتناسق ، والانسجام .

شان الفن ، هنا ايضا ، شأن الدين .. فما من رجل دين ، يثير فى نفسك احساسا علويا حقا الا اذا كان فى طريق حياته مستقيم السلوك ، سليم الاسلوب ! ... بغير ذلك يختل التناسق بين الغاية والوسيلة ، وبهذا الاختلال يداخل النفس شعور الشك فى حقيقة رجل الدين ...

لو علم رجل الفن خطر مهمته ، لفكر دهرا قبل ان يخط سطرا ! ... ولكن الوحي يهبط عليه فيسعفه ، ــ ومعنى هبوط الوحي ، ان شيئا ينزل عليه من اعلى ــ شانه فى ذلك شان المصطفين من أهل الدين ! ... وهل يمكن ان يهبط من أعلى الا كل مرتفع نبيل ؟ ...

للدين وللفن ... السماء هي المنبع ! ...



النشاط الثقافي فى جميع مجالاته محتاج ابدا الى تشجيعات خارجية ، وهذه التشجيعات الخارجية تشمل القراء والدولة ، واقصر حديثي فى هذه السطور عن مهمة الدولة فى النهوض بالثقافة .

لقد كانت المحافل الادبية فى العصرين الاموي والعباسي بخاصة ، مرآة للثقافة الاسلامية الخالصة ، ثم المتأثرة بما ترجم عن دول اخرى مثل الفرس واليونان ، وكانت اغلب هذه المحافل تحت رعاية مباشرة للخلفاء ، وربما كان بعض هؤلاء الخلفاء ذا باع فى شؤون الفكر والادب ، ولعل جلالة ملكنا المعظم قد ترسم تلك الخطى فأحب جلالته ان يجعل من 18 نونبر منتدى يلتقي فيه المثقفون فيتعارفون ويتدارسون احوال بلادهم الثقافية . لكن يبدو ان هذا السعي الجليل قد ضاقت دائرته ، فلم يعد غير مباراة للشعر واخرى للنثر ، ابى شعراؤنا وكتابنا الا ان يحددوا موضوعها تحديدا ، فاذا بعضهم يعيد ما قاله من سنة أو سنوات خلت ، واذا البعض الآخر يسطر عرضا مفصلا لاحداث السنة وهو ما ليس من الادب فى شيء .

لم يستطع اكثر ادبائنا اذن وهم يقرضون او يكتبون ان يستشفوا ما وراء تلك الاحداث من معان انسانية ومثل نبيلة ، ثم ان هذه « الحوليات » دفعتهم الى ان يستطيبوا حياة الدعة والخمول طوال السنة الى ان يهل شهر نونبر ، فينهضون متثاقلين الى «ملهماتهم» يكتبون عنها انتاجهم اليتيم . حتى اذا دفعوا به الى لجنة المباراة وظنوا انهم استراحوا اخذتهم الرجفة على الجائزة السنية واللقب الثمين .

ان ادباءنا ــ وهذه حالهم ــ لا يقدرون مسؤولياتهم كبناة للنهضة الثقافية فى بلادهم ، يساهمون فى رفع مستواها ويتدارسون بتتبع شؤونها فيناقشون ناقدين او مقدرين .

ومن ثم فاني اقترح ان يكون يوم 18 نومبر عيدا للعرش والثقافة ايضا ، وان تمنح الجوائز بتقييم الانتاج السنوي للمثقفين ، واخيرا ان تشمل هذه الجوائز اوجه النشاط المختلفة فى العلم والادب . فتخصص جوائز للمخترعين والمؤلفين والادباء والصحفيين .

وبذلك نكون قد شجعنا جميع مرافق النهضة المرتقبة فى وطننا الفتي ، وندفع المثقفين الى الاحساس بالواجب ومضاعفة الجهود .

الاتجاهات الدينية في الادب المصري المعاصر

كتبه بالفرنسية : الدكتور طه حسين - ترجمه محمد برادة

هذا البحث كتبه الدكتور طه حسين سنة 1946 وهو فى باريس ؛ وقد نشر فى كتاب : « الاسلام والغرب » L'Islam et l'Occident الذي يحتوي على ابحاث كثير من المستشرقين والادباء العرب ... وقد حدا بي الى ترجمته اهميته فى تتبع المراحل التي اجتازها الفكر العربي المعاصر ، وتاريخه للعقبات التي صادفته قبل ان يتمكن من الحصول على حرية التفكير والتعبير.

م . ب

اذا اردنا ان نحدد طبيعة ميلاد الوعي العربي ، فيمكننا القول بانه كان ذا مظهرين متميزين فى اغلب الاحيان ، ولكنهما ينتهيان دائما الى التمازج والالتقاء. اول هذين المظهرين ديني ، وثانيهما سياسي .

ذلك انه فى نهاية القرن الماضي ومطلع القرن العشرين ، قامت حركتان كان لهما ابلغ الاثر فى الراي العام الاسلامي داخل مصر اول الامر ، ثم فى بقية البلاد العربية بالشرق الادنى .

وهاتان الحركتان – اللتان تتصلان بالدين – جعلتا جامعة الازهر تقوم برد فعل قوي يعبر عن راي التقليديين ولم يتاخر رد الفعل هذا عن الانتشار بين الجماهير حتى اصبح ذا طابع عام .

واولى الحركتين كان يقودها جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده اكثر تلامذته تحمسا لافكاره . وكان مرمى هذه الحركة اخراج الفكر الاسلامي من دائرة التزمت المجدب التي كان متجمدا فيها منذ الاحتلال التركي ، ثم العمل على استرجاع حريته التي تمتع بها تمتعا كاملا خلال الخمس قرون الاولى من الهجرة .

وكان الاستاذ وتلميذه محقين فى ارجاع سبب انحطاط العالم الاسلامي الى انعدام الحرية التي اتاحت له – قديما – تشييد هذه الحضارة الرائعة الموروثة عن الاغريق واثراءها ثم نقلها الى اوربا فيما بعد .

وكان من رايهما ان استرجاع حرية الفكر والبحث والاصلاح هي الوسيلة الوحيدة للانسجام مع شروط الحياة العصرية ؛ كما انها هي الوسيلة التي تتيح للعالم الاسلامي الاسهام فى اثراء الحضارة . وفى اعتقادهما ايضا انه بدون تحرير الانسان من نفسه لا يمكن تحقيق تحرر سياسي سواء فى الداخل من سيطرة طغاة استامبول والقاهرة ، او فى الخارج من السيطرة الاوربية المباشرة او غير المباشرة ... يجب ان يشعر الفرد انه حر امام نفسه وامام المجتمع ليستطيع ان يطالب بالحرية السياسية ويعمل على نيلها . بل ذهب جمال الدين وتلميذه الى ابعد من هذا ، فطرحا نهائيا كل تقيد بالمعتقدات اللاهوتية والاحكام الفقهية ؛ وطالبا بان يمنح الفرد حقه المقدس فى مناقشة تعاليم المذاهب سواء كانت معتزلية او شيعية او خوارجية او سنية .. كما طالبا بأن يكون للمجتمع حق لا يقف عند حد اختيار مذهب فقهي يوافقه ، بل يتعداه الى سن قوانين جديدة تمليها حاجياته المستحدثة التي

لم تتعرض اليها الاحكام الفقهية القديمة . وحجتهما في ذلك ان المسلمين الاولين قد فعلوا هذا ، فلماذا لا يفعله المسلمون العصريون ؟ لماذا نجعل من الاسلام – وهو دين التسامح والحرية – دين تعصب واستعباد ؟ ان الاسلام قد توافق مع الثقافة اليونانية فلماذا لا يتوافق مع الثقافة الاوربية ؟

ومن الطبيعي أن الازهر رفع عقيرته بالصياح امام هذه الجراة ، فناصبهما العداء . واضطر جمال الدين الى مغادرة العالم العربي ؛ واصبحت الحياة شاقة بالنسبة لتلميذه ولكنه مع ذلك تحملها اذ لم تكن تعوزه الشجاعة من جهة ، ومن جهة اخرى كان الحكم المطلق في مصر قد اخذ يشرف على نهايته .

في هذه الاثناء اختلطت السياسة بالدعوة الاصلاحية : فاتهم الشيخ محمد عبده واصدقاؤه بمحالفة المستعمر ، وكانت الحجة في ذلك مفارقة الشيخ للازهر وتوقفه عن متابعة الحركة الاصلاحية التي اضطلع بها !

اما الحركة الثانية فقد اختارت الحقل الاجتماعي ميدانا لها ؛ وكان غرضها تحرير المراة المسلمة والعمل على ان تسترد حريتها القديمة لتتمتع بها على نحو ما تفعل مثيلاتها الاوربيات ؛ ولم يكن زعيم هذه الحركة عالما دينيا بل حاكما متخرجا من كلية الحقوق بمونتبولييه Montpellier

على ان تحرير المراة واسقاط حجابها ، واخراجها من بيتها لتستطيع المشاركة في الحياة الجماعية متمتعة بنفس الحقوق التي للرجل ، لم يكن امرا سهلا يمكن تقبله في وسط محافظ مثل الوسط المصري عند نهاية القرن الماضي .

وكان من اليسير جدا ايجاد سبب يربط بين هذه المطالب الاجتماعية وبين الاصلاحات الدينية التي نادى بها الشيخ محمد عبده ؛ وبذلك سهل اتهام قاسم امين بالالحاد وعدم وقوفه عند حد تحبيذ الثورة ضد التقاليد بل تجاوزها الى انتهاك قداسة القرآن . وكان اصحاب هذه التهمة يرددون : الم يامر الله نساء النبي بملازمة البيت وعدم الاندماج بالناس كما كان شان المراة الجاهلية ؟ الم يحرم الله على كل امراة مسلمة كشف جمالها ومفاتنها للملا ؟؟

❋

واذا كانت السنوات الاولى من القرن العشرين قد شهدت الراي العام المصري مشغولا بمشاكل دينية واجتماعية ، فلقد شهدته ايضا مهتما بالمسالة السياسية . والواقع ان مصر لم تسكت قط على الضيم ولم تحتمل الاستعمار البريطاني ، فكان رد الفعل في اوائل هذا القرن عنيفا كاشد ما يكون العنف .

ولما كان الانجليز كغيرهم من الاوربيين ، يرون في الاصلاح الديني الذي نادى به الشيخ محمد عبده والاصلاح الاجتماعي الذي تزعمه قاسم امين ، مطالب مشروعة ، فان هذين المفكرين الجريئين سرعان ما الصقت بهما تهمة العمل ضد الحركة التحررية الوطنية واعتبرت اصلاحاتهما ذات تجديد خطير . ولقد فارق الشيخ محمد عبده وقاسم امين هذه الحياة دون ان يشاهدا انتصار مذهبيهما ؛ ولكنهما تركا اتباعا متحمسين ومصممين العزم على الكفاح من اجل القضية العادلة ، الامر الذي كان من الصعوبة بمكان خاصة خلال سنوات التفاهم بين المستعمرين والخديوي عباس .

وقامت الحرب العالمية الاولى فوضعت حدا لهذه الحالة ، وشهدت الحركة الوطنية لسنة 1919 مذاهب تفوق هذين المذهبين في مطالبهما ، ولم يعد شباب ما بعد الحرب يطالب بحق الحرية في البحث وانما اعطى لنفسه هذا الحق ، بل ذهب الى ابعد من هذا فشك في كل القيم القديمة . وكذلك نساء الطبقة البورجوازية لم يعدن متفرجات فقط في المناقشة حول حريتهن ، وانما ابحن لانفسهن اخذها ونزعن الحجاب ، وغادرن البيوت ، وشاركن الى جانب الرجل في المظاهرات ضد الانجليز وطالبن بنصيبهن من الخطر في المعركة . .

واصبحت حرية التفكير والتعبير ، وحرية المراة شيئا معترفا به لا ينكره احد ، يشجع عليه زعماء الثورة ، ويتقبله الازهريون الذين شاركوا بدورهم في الحركة الوطنية ؛ وبلغ من تقبل الازهريين لهذه الافكار انهم اخذوا يعتبرون من يعارض مذهب الشيخ محمد عبده وقاسم امين من بينهم ، محافظا واحيانا ينظرون اليه كرجعي .

وانضافت الى هذه الحركة حادثتان توجتا هذا التقدم نحو استقلال الفكر في مصر خلال هذه السنوات الخصبة .

كانت اولاهما ظهور كتاب علي عبد الرازق حول الخلافة (1) حيث حاول الكاتب ان يبرهن على ان هذه السنة كانت لا تنتمي الى الدين فى شيء ، اذ لم ينص عليها لا فى القرءان ولا فى الاحاديث . كما ان النبي نفسه لم يعين خليفة يتولى امور المسلمين من بعده . وكان من سوء حظ هذا الكتاب انه ظهر فى فترة رد فعل سياسي ضد الدستور الديمقراطي ، فعمدت السلطات العامة الى تحريك شيوخ الازهر ضد الكاتب ؛ وبما انه متخرج من الجامعة العتيقة فقد اصدر عليه زملاؤه حكما يدينونه فيه وعزل من منصبه كقاضي ديني ... ورغم ذلك فقد كسب شعبية واسعة النطاق وحظى بالتاييد فى قضيته ، وكان تاييدا شاملا من كل المصريين بما فيهم الاغلبية العظمى من الازهريين انفسهم !

وفيما عدى ذلك ، فان الكاتب لم يتعرض لاذى، ولقد مضت عشرون سنة على صدور كتابه ولم يعد هناك اليوم من يؤمن بأن الخلافة تشريع ديني حتى بين هؤلاء الذين ادانوا علي عبد الرازق فيما مضى ؛ وهو اليوم عضو فى مجلس الشيوخ واخوه يشغل منصب شيخ جامعة الازهر .

اما الحادثة الثانية فهي صدور كتابي «فى الشعر الجاهلي» حيث انكرت صحة جزء كبير من هذا الشعر ، وذلك لسبب بسيط وهو ان كل ما كان جاهليا قد وصل الينا مشافهة .. وان الابيات التي تنسب الى شاعر او آخر من شعراء الجاهلية، تنطبق الفاظها تمام المطابقة على الفاظ القرآن ، هذه الالفاظ التي يحاول شرحها والتدليل على اصالتها بالرجوع الى نصوص القرآن ...

واذن فقد توصلت الى انكار جزء واسع من هذا الشعر المنتحل — فى اعتقادي — اثناء القرن الثاني لاسباب مختلفة . وبنفس المنهاج اخضعت للشك — دون ان امس الدين — بعض المعتقدات التي ورد ذكرها فى القرآن واحاديث الرسول .

وكان لهذه الآراء وقع عنيف فأصبح الاستنكار عاما ، واحتج الازهريون واساتذة المدارس احتجاجا قويا ، ووصل تاثير هذه الحملة الى السلطات العامة ، فوصلت القضية الى البرلمان ، وكان مقدموها يطالبون بعزل الكاتب بل وبالغاء كرسي الادب العربي الذي كان يشغله فى الجامعة المصرية ... غير ان وزير التعليم اذ ذاك علي الشامي باشا ، نظر الى القضية على انها تخص حرية الفكر ؟ كما ان رئيس المجلس عدلي يكن باشا طالب مجلس الوزراء بالثقة ... ولكي تتلافى ازمة وزارية فقد احيلت القضية الى النيابة العامة التي امرت بتقييدها بعد ان اجرت البحث وجمعت بين الكاتب وممثلي الازهر وسجلت اقوالهم .

وهاتان الحادثتان قدستا — الى الابد — انتصار حرية التفكير فى العالم الاسلامي . ولم يكن هذا الانتصار انتصارا على الدولة فحسب وانما كانت اهميته الكبرى فى انتصاره على الراي العام ايضا .

وفيما عدا ما تقدم لم يلحق الكاتبين سوء ، وكانت النتيجة ان اصبح كتاباهما كلاسيكيين ، واصبحت قداسة الخلافة وصحة الشعر الجاهلي ضمن الخرافات ... ويضاف الى هذه النتائج ان اللغة العربية التي كانت من قبل بمنجى من كل نقد وينظر اليها على انها شيء مقدس ، اصبح ينظر اليها ابتداء من هذا التاريخ على انها لا تدخل فى الدين ، واصبحت رهن اشارة الذين يتكلمونها .

وتوالت ردود الفعل السياسية فى العالم العربي؛ فلم يعد هناك خطر يتهدد حرية الشؤون الفكرية ؛ وكمثل على ذلك ان الحكومة المصرية سنة 1933 فى الفترة التي كان رد الفعل السياسي فى اوجه ، حاولت — بطلب من الازهر — أن تمنع نشر كتاب تاريخي قديم بحجة أن الامام ابا حنيفة قد اسيء ذكره فى هذا الكتاب ... ولكن محاولة الحكومة لم تتم ، وكان الراي العام اقوى من الحكومة والازهر مجتمعين !

والى هذا الحد كان الصراع محتدما بين الحركة التحريرية العصرية وبين الحركة التقليدية الدينية ، وقد راينا بأن الغلبة كانت للحركة الاولى . الا انه بعد ان حالف النصر الحركة التحريرية اخذت ملامح اتجاه جديد فى الظهور ، وكان هذا الاتجاه يظهر غريبا ، ولكنه فى حقيقة الامر جد طبيعي .

ففي الواقع لم يكن هناك فصل بين التجديد والاسلام ، وانما كانت هناك معارضة للاوهام والمعتقدات الجامدة ، والحكم المطلق السياسي الديني ان صح هذا التعبير .

---

(1) عنوان الكتاب : الاسلام واصول الحكم ، بحث فى اصول الخلافة والحكم فى الاسلام . المترجم

فعندما اطمأن المجددون على حقهم فى عـرض افكارهم بكل حرية ، توقفوا فترة من الزمن ثم استأنفوا الطريق فأخذوا يعيدون التفكير فى التاريخ الاسلامي القديم .. فعلوا ذلك رجالا احرارا منعتقين من كل قيد . ومن هذا العمل نشأ فيما بين 1933 و 1946 ادب مستقل مستوحى من الدين .

ويتحتم ان نعترف بأن كتابين فرنسيين كانـا بمثابة الشرارتين اللتين اشعلتا موقدين مختلفين : احد الكتابين لجيل لوميتر Jules Lemaitre وعنوانه « على هامش الكتب القديمة » (1) ، والثاني « حياة محمد » لاميل درمنكيم Emile Dermenghem وقد قدم حسين هيكل عرضا للكتاب الاخير ، دفعه فيما بعد الى أن يدرس بنفسه حياة الرسول وينشر نتائج هذه الدراسة فى كتابه : « حياة محمـد » استعرض فيه باسهاب حياة الرسول فى مجلد ضخم يحوي كل التفاصيل مصوغة بعقل مجدد . وقد اراد حسين هيكل ان يخضع تاريخ هذه الفترات البطولية الى دقة المزاج العلمي ، فناقش كل المسائل وحللها ، غير ان النظرة الدينية التقليدية كانت تنتصر دائما .. ولعله نسي أن بعض الاحداث لا يمكن اخضاعها لدقة العلم وذلك مثل البرهنة على أن اسماعيل ــ وليس اسحاق ــ هو الذي تعرض لاختبار التضحية ؛ وايضا التدليل علميا على امكانية سفر الرسول من مكة الى بيت المقدس فى ليلة واحدة ورجوعه ... الخ ، فكل هذا يتعلق بالايمان ولا يخضع للعقل .

وقد طبق حسين هيكل فى كتابه منهاج جمال الدين الافغاني ومحمد عبده الذين كانا يريدان ــ بأية طريقة ــ ربط الايمان الاسلامي بالعلم والحضارة . وهذا الكتاب لقي رواجا واسعا فى كل العالم العربي سواء بين ذوي الثقافة العالية او بين الجماهير العامة ، الامر الذي يدل على ان الشعوب الاسلامية كانت تطمح حقيقة الى التجديد ولكن دون ان تقطع صلتها بالتراث القديم . وقد تشجع هيكل بما لقيه من نجاح ، فواصل عمله ونشر تباعا : حياة الخليفة الاول أبو بكر فى جزء واحد ، وحياة الخليفة الثاني عمر فى جزءين ، وهو بصـدد كتابة حياة الخليفة الثالث عثمان . وقد تجاوز طموحه الآن تاريخ الاسلام واتجه الى تاريخ المسلمين متبعا دائما نفس المنهاج التعليلي ، لا قيا نفس النجاح ولكن مع بعض التحفظات ــ تقل وتكثر ــ من طرف العلمـاء والمؤرخين المحترفين .

وفى سنة 1940 نهج نهجه عباس محمود العقاد الذي الف سلسلة دراسات تحت عنوان عبقريات ظهرت منها : عبقرية محمد ، عبقرية ابي بكر ، عبقرية عمر ، وعبقرية خالد بن الوليد ، وعبقرية مؤذن الرسول بلال ، وعبقرية علي . وهناك ايضا كتاب عن عائشة وعـن الشهيد الاكبر الحسين بن علي ... والعقاد فيما كتبه لم يتبع منهاج هيكل ولم يقصد الى التاريخ او الادب الخالص وانما هو فى الواقع يسجل خواطره التي كثيرا ما يغلب عليها الطابع الفلسفي على نحو مافعله كارليل .. ولم يكن نجاح العقاد بأقل من نجاح زميله .

اما فيما يتعلق بكتاب جيل لوميتر فانني بعد ان شغفت به كثيرا وضعت على نفسي الاسئلة التالية : هل يمكن اعادة كتابة مآثر الفترة البطولية من تاريخ الاسلام فى اسلوب جديد ام انه يتعذر ذلك ؟ ؟ وهل تصلح اللغة العربية الحديثة لاحياء هذه المآثر ؟

لقد حاولت ان اقصي بعض الاساطير المتصلة بالفترة التي سبقت ظهور النبي ؛ ثم قصصت مولده وطفولته ونشرت هذه السلسلة من القصص تحت عنوان مقتبس من جيل لوميتر وهو : على هامـش السيرة . وهذا الكتاب من عمل المخيلة ، اعتمدت فيه على جوهر بعض الاساطير ثم اعطيت لنفسي حريـة كبيرة فى أن اشرح الاحداث واخترع الاطار الـذي يتحدث عن قرب الى العقـول الحديثة مع احتفاظه بالطابع القديم . وقد لقي الجزء الاول من هذا الكتاب ترحيبا حارا فاردفته بجزء ثان ثم بجزء ثالث .

وانا لم اقصد فيما كتبت الى سرد التاريـخ او التدليل على اقتراح ديني ، وانما صببت اهتمامي خاصة على اظهار الجوانب البطولية لهذه الفترة الخصبـة ؛ وبذلك خاطبت قلوب المسلمين المتعطشين الى المثـل العليا ، المرتبطين ــ فى نفس الوقت ــ بماضيهم المجيد.

وقد ادلى توفيق الحكيم بدلوه فى هذا المضمار .. ولم يكن ما كتبه عمل خيال لانه لم يخترع شيئا ، ولا عمل تاريخ لانه لم يدرس شيئا ، وانما قام بسبـك مراحل حياة الرسول فى حوار متبعا طريقته المفضلة فى التعبير ...

وكل هذا الادب المستمد من مصدر ديني ، يصادف تقديرا كبيرا من العالم العربي . وكل كتاب من هـذه

---

(1) En marge de vieux livres

الكتب اعيد طبعه عدة مرات ؛ واصبحت هذه المؤلفات تقرا على انفراد ، وتقرا فى حلقات جماعية وتـذاع فى الراديو . . . وصار الشباب يحاولون تقليدها .

وقد يظن البعض ان الخطوة التي لقيها هذا النوع من الادب تدل على رجوع الى القديم له صيغة رد فعل، ورجوع الى الفكر المحافظ . . . وهذا الظن لا اساس له من الصحة . فالعالم العربي المعاصر كان يجد نفسه فى وضعية جد متناقضة بعد انتهاء القرن الماضي : كانت مقتضيات الحياة العصرية تدفعه الى التعلق بالحضارة الغربية ومع ذلك فقد ظل شديد الارتباط بالقديم ، شديد الافتتان بالمثل الدينية .

ولقد كان العالم العربي يتوزعه مطلقان (1) : العقيدة التقليدية من جهة ، والحضارة المتحررة من جهة اخرى . . فاستطاع ان يتخلص ـ خلال السنوات الاولى من القرن العشرين ـ من اثر المطلق الاول ، وتهيا لتذوق تقاليد دخلها التجديد والتنقيح ، كما تهيا ايضا لاحياء ماضيه متطلعا نحو المستقبل فى انطلاق .

وهذا الادب الجديد كل الجدة ، يمكن ان نقول عنه ـ فى تحليل اخير ـ انه لا يعدو ان يكون تـذرا وانتصارا للكفاح من اجل حرية الفكر ، واستمرارا لماض فهم العرب كيف يحتفظون به لمواجهة المستقبل فى ثقة وامل .

(1 Deux absolus

الثمرة قبل الشجرة ! !

فلقد استولت على النفوس ، اليوم ايضا روح الاستهانة بالمثل العليا . . . وتملك القلوب والاجسام شيطان المتعة اليسيرة العاجلة ! . . . ما من احد يريد ان ينقطع الى علم ، او يتوفر على فن . . . **انما الكل يتطلع الى الثمرة قبل الشجرة ! !** فلم يعد للكثيرين جلد على درس ، او صبر على كدح . . . وبعضهم لا ينظر الى الجهد الذي يجب ان يبذل ، ولكنه يبصر المراتب التي يجب ان يرقى اليها ؛ لا يريد ان يضيع وقتا فى الغرس البطيء ، والاعداد الطويل ، ولكنه يريد الثمرة عجلا متلهفا . . . لذلك قل الاطلاع العميق ، وندرت القراءة المجدية ، فاختلت الموازين ، وفسدت القيم ! . . .

يضاف الى ذلك شعور بالنقص ، وضعف فى الثقة بالنفس والجنس : فالفكرة المنسوبة الى الاوربي تحترم بدون بحث ، والفكرة المنسوبة الى مصري او شرقي تهمل بغير فحص . . . كما ان اختلاف الثقافة : من كيف وكم ، وتباين العقلية : من قديم وحديث ، او سطحي وعميق ، وتضارب الاذواق : من سلامة وسقم ، او ارتفاع وانحدار ، كل ذلك يجعل مهمة الادب الجدي اليوم عسيرة ، ويضيق نطاق الجديرين بالنظر فيه . . .

توفيـق الحكيم



يمتاز الانسان عن الحيوان بالعلم ، ووسيلة العلم الكبرى وآلته الضرورية هي « الاسماء » التي بها تدرك حقائق الاشياء ويعرف الاشخاص ، فالف كلمة في صفة شيء من الاشياء لا تغني غناء كلمة واحدة هي علم على ذلك الشيء ، صف زهرة تفتحت في الروض باعلى ما اوتيت من بلاغة الوصف ، فهيهات ان تدل على حقيقتها ما لم تقل انها وردة أو ياسمين ، كذلك استفرغ بيانك في وصف شخصية انسانية بارزة فلست بمفيد سامعك اليقين ما لم تسمها وتقل — مثلا — الامام محمد عبده او الامير عبد القادر الجزائري .

لذلك قال بعض الحكماء : نصف علم الطب في معرفة اسماء الاعضاء والعروق في الجسم الانساني ، من حفظها فقد استكمل نصف العلم ، ولكون مدار العلوم والفنون كلها على معرفة الاسماء والمصطلحات جعل الله تعالى في الانسان ولعا طبيعيا عجيبا بتسمية كل ما يأتي تحت مشاهدته او يدخل تحت حس من حواسه ، ومن عجائبه في هذا الباب انه قد وضع الاسماء حتى لتلك الاماكن القاصية من هذه الكرة الارضية ، التي لم تطأها قدماه بعد ، ولا هي تصلح لحياته ابدا لشدة حرها او بردها ، وانه يسمي في هذا العصر كل ما يبتكر من الاختراعات العلمية قبل ان يجربه وينجح في تجربته ، وانا ما بلغنا امر السيار المصنوع الذي ارسلته روسيا في الخلاء حتى سمعنا اسمه (سبوتنيك) وصارت السنتنا تردده ، وكذلك لم يبلغنا خبر الصاروخ (Rocket) الذي وجهته اميركا الى القمر قبل ايام فانفجر في اول الطريق ، حتى علمنا ان كان اسمه (توربيل) واعجب من هذا كله ما جاء في بعض الجرائد اخيرا من صورة جغرافية للقمر تبدي ما على صفحته من بحار وجبال ، واذا كل بحر او بحيرة منها يحمل اسما خاصا له ، هذا بحر البرد ، وذاك بحر السكينة ، بجانبه بحر الخصوبة ، من ورائه بحر السحائب ، فمن سمى يا ترى تلك البحار الواقعة في القمر ؟ ولماذا . سماها هذا الانسان لذلك الولع الطبيعي المركب فيه بتسمية كل شيء يتناوله سمعه او بصره او خياله .

وان « الاسماء هي اول ما علم الله تعالى ابا البشر قبل ان يهبط الى الارض ، رد بذلك شبهة الملائكة ودحض حجتهم يوم اعلن في الملأ الاعلى : اني جاعل في الارض خليفة . فالملائكة لما علموا ان المقصود لهذه الخلافة هو الانسان ، وقد اوتي الحرية في الارادة والعمل ، ساورتهم المخاوف والشبهات ، فقالوا : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ قال الله تعالى : اني اعلم من مزايا هذا المخلوق والقابليات المودعة فيه ما لا تعلمون ، ثم عرض على الجمع بعض الاشياء ، واغلب الظن ان كانت من اشياء هذا العالم ، وقال للملائكة : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم — في شبهتكم — صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، اي ان العلم الذي قد آتيتنا محدود لا يشمل معرفة هذه الاسماء ، ثم التفت سبحانه الى آدم فقال : يا آدم انبئهم باسمائهم . فلما انباهم باسماء تلك الاشياء المعروضة ، بفضل العلم الذي قد وهب له الله من قبل، قال الله تعالى للملائكة : الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض .

هذا على تفسير جمهور العلماء المفسرين من السلف والخلف للضمير المتصل في قوله تعالى : ثم عرضهم على الملائكة ، وهو ان مرجعه اشياء عرضها الله على جميع الحضور في ذلك المشهد ليمتحن علمهم باسمائها ، ولكن هناك مذهب آخر في تفسير هذا الضمير ، نريد ان نسترعي اليه الانظار ، هو ما ذهب اليه ولعله انفرد به المفسر الكبير الاستاذ امين احسن الاصلاحي في هذا العصر ، وذلك ان الضمير في هذا السياق راجع الى اشخاص — لا الى اشياء — هم صفوة الانسانية من الرسل والانبياء والصلحاء والمجددين ، وقد بين الاستاذ مذهبه هذا في محاضرته القيمة (تصور الدولة في الاسلام) التي القاها في مؤتمر الدراسات الاسلامية المنعقد بلاهور في مفتتح هذه السنة .

فقال الاستاذ : « ... قال الله عز وجل للملائكة : انكم تخشون هذا الفساد من قبل الانسان

لانكم لم تطلعوا على تدبيري – في استخلافه – من جميع نواحيه ، ثم عرض عليهم رجالا من ذرية آدم وسالهم ان صح ما تظنون بآدم وذريته وما تخشون منهم ، فقولوا لي من هؤلاء ! اهؤلاء كلهم مفسدون في الارض ؟ ام فيهم من عسى ان ينشر فيها البر والمعدلة ، فاعترف الملائكة بعدم علمهم من الامر شيئا . ثم امر الله تعالى آدم – وقد كان علمه اسماء ذريته من قبل – ان يخبر الملائكة باسمائهم ، فاخبرهم آدم بمن كان سيبعث في ذريته من الانبياء والصلحاء والمجددين لهدي الانسان صراط الله السوي . وعندئذ تبين للملائكة ان الخلافة التي يريد الله تعالى ان يجعلها لآدم في الارض ، وان كانت تصحبها الحرية في الارادة والعمل ، مما يخشى ان يسيء استعماله الانسان فيفسد في الارض ، الا ان الله تعالى قد اقتضت حكمته مع ذلك ان ينزل في الارض كتابه وشريعته ويبعث فيها رسله وانبياؤه ، حتى يحددوا من تلك الحرية ويجعلوها تابعة لمرضاة الله ، وما ان تبين لهم هذا حتى ادركوا التدبير الالهي السامي بجميع نواحيه ، واطمانت اليه نفوسهم » .

ومهما كان من الوجه في تفسير الضمير في الآيات المذكورة آنفا ، فمما لاشك فيه ان معرفة الاسماء هي الامر البارز الاهم في هذا الحادث العظيم الذي حدث في الغلس قبل فجر التاريخ الانساني ، ويؤخذ منه ان ميزة العلم التي اراد الله تعالى ان يخص بها آدم وذريته دون سائر الخلق جعل مبداها واساسها معرفة الاسماء والاعلام ، والهم الانسان الاول هذه المعرفة ببديع قدرته

*

من هذه الخطورة للاسماء في حياة الانسان وقدم عهده بها جاءت عناية الانسان بتسمية اولاده واحفاده ، فكان تخير الاسماء للبنين والبنات من واجبات الآباء التي يقومون بها منذ القديم بكل شوق وعناية ، بل كان الامر عند بعض الملل من الواجبات المقدسة التي لا يقوم بها الا الآباء الدينيون في الكنائس ضمن تقليد ديني معروف يدعى المعمودية .

والطابع الذي بقي غالبا على اسماء الافراد الانسانيين قديما وحديثا هو طابع العقيدة والايمان ، فالاسماء في الغالب اما تاتي بعد اسماء الانبياء والصلحاء تبركا بشخصياتهم السامية ، او تتركب من جزئين احدهما يضاف الى الآخر ، وهو اسم اله او معبود ، او تكون مشتملة على معان طيبة او صفات مرضية قد جاءت الاديان تنشرها وتحض الناس عليها ، وان اسامي

الانبياء – عليهم صلوات الله – كابراهيم واسماعيل واسرائيل – وهو اسم يعقوب عليه السلام – ويوسف وموسى وداود وسليمان ويحيى وعيسى ، تضمن كلها معاني الايمان والفضيلة والتفاؤل ، واكثرها وضعت بوحي الله تعالى ، ففي التوراة ان ابراهيم عليه السلام سماه الله تعالى بنفسه يوم كلمه وقلده رسالته فقال له : « فلا يدعى اسمك بعد ابرام ، بل يكون اسمك ابراهيم ، لاني اجعلك ابا لجمهور الامم » واسماعيل معناه سمع الله ، وقد كان الله تعالى سمع دعوة ابراهيم في ان يرزق ولدا ، فرزقه اسماعيل ، واسرائيل معناه عبد الله ، وكل كلمة تختتم بـ (ايل) تضمن اضافة الى الله في شكل من الاشكال ، كعمانوئيل ، وتفسيره الله معنا ، وهذا اسم سمي به عيسى عليه السلام قبل ان يدعى يسوع بوحي من اللهتعالى ، كما يفيد الانجيل . واما يحيى عليه السلام فسماه الله تعالى بنفسه كما يصرح به القرآن الكريم : يا زكرياء نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . فكان يحيى عليه السلام اول من دعي بهذا الاسم .

ولما جاء خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم ليكمل الله على يده دين الاسلام ، كان الشرك غالبا على عقائد العرب ، ظاهرا في اسمائهم ، فابطل النبي الشرك وابطل معه تلك الاسماء التي تنسب عبودية الانسان الى غير الله ، كعبد اللات وعبد العزى وعبد يغوث وعبد شمس ، واستبدل بها لاتباعه من الاسماء ما يصرح بعبودية المرء لله الواحد الاحد ، كعبد الله وعبد الرحمان والاسم الاخير خاصة نال قبولا زائدا بين المسلمين ولاسيما قريش ، فروى الجاحظ في بعض رسائله عن الشعبي قال : لو ولد لي مائة ابن لسميتهم كلهم عبد الرحمان للذي رايت في قريش من اصحاب هذا الاسم .

ولهذا القبوللاسم عبدالرحمان عندناسببمن اثنين. احدهما ان كان الرحمان اسما من اسماء الباري تعالي يعرف بين اهل الاسلام خاصة ولا يعرفه من الكفار المشركين الا الاقل ، فكان بذلك علما على اله المسلمين بوجه خاص ، وقد جاء في القرآن: واذا قيل لهم اسجدوا للرحمان ، قالوا وما الرحمان ؟ انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا . فذهب اكثر المفسرين الى ان العرب لم تعرف هذا الاسم ، فاستفهموا عن مسماه عندما دعوا الى عبادته ، ولكن عدد غير قليل من المفسرين لم يروا هذا الراي وقالوا : ان العرب عرفت هذا الاسم للرب تعالى ، وانما كان اذكارهم للرحمان اذكار تهكم وخبث ، ومن حججهم في هذا الباب قول الله تعالى عن

المشركين : وقالوا لو شاء الرحمان ما عبدناهم ، فنقل عن المشركين هذا الاسم ، ولو لم ينطقوا به لما فعل .

وقول اعشى قيس :

ولا جعل الرحمان بيتك فى العلا
باجياد غربي الصفا والمحرم

وقول حاتم الطائي :

كلوا الآن من رزق الاله وايسروا
فان على الرحمان رزقكم غدا

والسبب الآخر هو كون عبد الرحمان من الاسماء الجديدة على سمع العرب اذ ذاك ، وذلك انا وجدنا عبد الله علما على غير واحد من الجاهليين ، ولكن لم نجد فيهم من سمي عبد الرحمان ، والمرء مولع ابدا بكل جديد .

*

هكذا رضي الاسلام لاتباعه اسماء وكره اسماء ، راج من ذلك بين المسلمين وضع خاص من الاسماء التزموه على طول القرون ، حتى عرفوا به وعرف بهم ، وذلك ان يكون اسم امرىء منهم مركبا من اجزاء بعضها مقدس والآخر غير مقدس ، والجزء المقدس اما يكون اسما من اسماء الله الحسنى ، او يكون كلمة (الدين) او اسما من اسامي الانبياء والمرسلين ، وخاصة اسماء نبينا العربي محمد صلى الله عليه وسلم ، او اسماء الصحابة والتابعين ، التي تقدست بقداسة النفوس الزكية المتسمية بها . — ثم يكون هذا الاسم عربيا فى جميع اجزائه وذا معنى مفهوم .

وبقي هذا الوضع قائما معمولا به زمنا طويلا ، حتى اتسعت رقعة الفتوحات الاسلامية، وشمل الاسلام بلاد العجم ، هنالك تغير هذا الوضع قليلا بما سرت الاعجمية فى الاسماء التي كانت فيما قبل تكون عربية فى جميع اجزائها ، فشاعت بين المسلمين اسماء هي عربية فى جزئها المقدس اعجمية فى غيره ، وهذا فى الامم الاعجمية التي فتحها دين الاسلام ، ولم يفتحها لسان العرب ، فبقيت لغاتها الاعجمية على حالها كايران وباكستان والهند واندونيسيا والصين ، على ان الهند وباكستان قل فيهما جدا رواج هذه الاسماء المختلطة، ولم يتسم بها فيهما الا ابناء الطبقات الممعنة فى التخلف والجهل ، ولعل الحال كذلك فى باقي الاقطار الاعجمية ، اما الاقطار التي فتحها المسلمون العرب بدينهم وبلغتهم كليهما ، كاقطار الشمال الافريقي ، فهناك جاءت اللغات المحلية او العامية تبسط نفوذها على الاسماء ، واصبحت اسماء المسلمين تتالف من اجزاء حروفها عربية وكلماتها غير عربية ، اذا اردنا بالعربية هذه اللغة الفصحى ، ولا نستطيع ان نقول بالضبط متى وكيف ابتدا هذا التاثير للعامية فى الاسماء العربية ، ولكنا نعلم ان هذا التاثير باق الى يومنا ، بل هو — ان لم نكن مخطئين فى التقدير — الى زيادة وانتشار ، فان استعرضت اليوم اسماء المسلمين فى الجزائر — مثلا — او ما حواليها من الاقطار، وجدت معظمها على نحو : كحلة محمد، وجندلي محمد ، وتغليسية محمد ، وشعابنة صالح ، وعلي جقاب ، واحمد رماش ، ومحمد كسوري ، فالجزء المقدس باق على عربيته ولكن الآخر غلبت عليه العامية او المحلية ، فضاقت بذلك معاني الاسماء وعاد فهمها مقصورا على المحليين .

ولم يقف نفوذ اللغات المحلية فى الاسماء عند هذا الحد ، بل جاوزه الى ان استولى على الجزء العربي المقدس فيها ومحى آثاره محوا ، حتى اصبحت الاسماء — اسماء المسلمين بحقك — لا يرى بين اجزائها جزء مقدس ولا جزء عربي فصيح ، وانا نذكر ان كنا نطالع قبل اعوام فى بعض الجرائد العربية الصادرة من الجزائر اسماء من امثال : عمامرة معمر ، ورابح عمامرة ، ونجار رشد ، والمنور مروش ، وامساقم النائح ؛ فلا نستدل على كونها اسماء لابناء المسلمين الا بانها وردت فى ثبت من الطلبة المتعلقين بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

اما مصر ، مثابة العروبة ومركز العربية ، فصحب النهضة العلمية والسياسية فيها اتجاه جديد فى الاسماء اصبح عنوانا على التقدم والرقي ، ومن مظاهر هذا الاتجاه البارزة :

الميل الى تفخيم الاسماء وجعلها ذات ثلاثة اجزاء، بعد ان كانت تتخذ اكثرها من جزئين فى العصور المتوسطة او من جزء واحد فقط فى القرون الاولى ، وهذا الميل الى التطويل فى الاسماء ايضا غدا ينمو ويزكو حتى صرنا نطلع اخيرا على اسماء رباعية ذات اربعة اجزاء ، ولا شك ان هذه الاسماء الثلاثية او الرباعية لا مغمز فيها لطاعن من جهة الدين او الخلق ، لان الدين لا يعنيه طول الاسماء وقصرها ، وانما تهمه معانيها وان

لاتكون متناقضة مع عقائده وتعاليمه . ولكن يخيل الى الناظر فى هذه الاسماء ان من ورائها نوعا من النزعة البورجوازية يحمل المرء على ان يجمع له ما يزيد على حاجته من اسماء . فالاسم الواحد من مثل (احمد محمود بكر هلال) (1) لو وجد فى القرون الاولى لكان كفى اسما لاربعة اشخاص مختلفين ، ولو كان فى القرون الوسطى لدل على رجلين على الاقل ، ولكنه فى هذا العصر لا يشير الا الى رجل واحد ، فهذا اسراف فى الاسماء ، وياليت شعري بم يحلل علماء النفس هذه الظاهرة فى الاسماء ، اهم يردونها الى شعور بالنقص على النفوس ، فيراد تلافيه بالتوسع فى الاسماء وما اليها من المظاهر ، ام يردونها الى طبيعة العصر ، ولكل عصر لاشك طبيعة ومزاج لامندوحة عنه لمن اراد ان يجاريه ويمشي فى ركبه .

من تلك المظاهر استعمال الالقاب التركية كثيرا فى الاسماء مثل مدحت وعزت وطلعت وبهجت ونشات مكان الجزء المقدس او غير المقدس فيها ، فيقال احمد عزت ومحمد مدحت وبدر نشات ، وكل هذه الاسماء وما لف لفها تدل على روح عصرية فى اصحابها .

ومنها الاستكثار من استعمال صيغة النسبة فى الاسماء كفوزي ووجدي وشكري وفتحي ورمزي وفهمي مع تنكير المنسوب بتجريده من (ال) التعريف على خلاف قواعد النحو ، فيقال : احمد فوزي ومحمد شكري ومحمود رمزي ، وكان الوجه ان يقال الفوزي والشكري والرمزي باثبات (ال) التعريف ، كما عهدناه فى الاسماء القديمة نحو الشريف الرضي وياقوت الحموي وابي حيان التوحيدي، وتاملنا كثيرا فى اجتناب اخواننا المصريين لاداة التعريف هذه ، فلم نعلله الا بتوخيهم الخفة والسهولة فى النطق بالاسماء ، واداة التعريف لاشك تورث الاسماء بعض الثقل والاسترخاء ، والفرق بين النطق بكامل كيلاني وبكامل الكيلاني ظاهر .

ومن الاسماء العربية فى مصر ما هو ذو ثلاثة اجزاء ويأتي جزؤه الثالث الاخير على صيغة المبالغة ، ورأينا فى هذا الجزء الاخير من تلك الاسماء انه من لوازمها لا من كمالياتها ، لانه يفيد احدى الفائدتين : اما يدل على المهنة التي عرف بها اسلاف المرء الاقدمين فيكون علما على اسرته ويبين النسب ، كما فى احمد حسن الزيات، وعباس محمود العقاد ــ على حد تخميننا ــ او يتضمن معنى ساميا تستخرج منه العزائم والهمم ، فيفيد عندئذ فائدة التاثير النفسي كما فى عبد الوهاب عزام وعبد الوهاب خلاف ، على ان لهذه الاسماء المختتمة بصيغة المبالغة من التناسب والانسجام الصوتي ما يجعلها من احسن الصيغ للاسماء .

*

التفاؤل بالاسماء قديم فى المجتمع البشري ، وقد تفاءل النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بالاسماء الطيبة المعاني وكره من الاسماء ما يضمن معنى غير مقبول ، قال سعيد بن المسيب بن حزن بن ابي ذهب المخزومي : قدم جدي حزن بن ابي وهب على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كيف اسمك ؟ قال : حزن ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل سهل ، قال : ما كنت لادع اسما سمتني به امي ، قال سعيد : فانا لنجد تلك الحزونة فى اخلاقنا الى اليوم ، وروى سفيان عن هشام الدستوائي عن يحيى بن ابي كثير قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امرائه : لا تبردوا بريدا الا حسن الوجه حسن الاسم وروى الرياشي عن الاصمعي قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على رجل من الانصار فصاح الرجل بغلاميه : يا سالم ويا يسار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمت لنا الدار فى يسر . وسال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا اراد ان يستعين به على عمل عن اسمه واسم ابيه، فقال ظالم بن سراقة ، فقال : تظلم انت ويسرق ابوك ، ولم يستعن به فى شيء .

وهذا التفاؤل بالاسماء الحسنة والتشاؤم بالاسماء القبيحة امر معقول لا ينكره العقل السليم ، وذلك ان اسما حسنا اذا دعى به رجل ما مرارا متكررة على الايام والاشهر والسنين فلا يستبعد ان يستقر معناه فى واعيته الباطنة ويغلب على افكاره ، ثم يسري منها الى اخلاقه واعماله ، وكذلك ان اسما قبيحا اذا تكرر على سمع مسماه عشرات من المرات فى كل يوم ، فانه ادنى ان تهون معانيها عند المرء وتألفها نفسه وتستانس بها ، ومثل هذا التاثير النفسي من مقررات علم النفس ، ولا نكران لفعله فى افكار الناس واعمالهم .

اما غير المعقول الذي لا يقبله الطبع السليم فهو المذاهب العجيبة التي جاء بها بعض الفضوليين فى البحث

(1) اسم مفروض قسناه على غيره من اسماء الاشخاص المعروفين .

عن دلالات الاسماء وتاثير معانيها في اخلاق المرء وعاداته، من هذه المذاهب قول بعضهم ان للاسماء خصائص لابد ان تظهر في شخصيات اصحابها ، ولا علاقة لهـذه الخصائص بمعاني تلك الاسماء ودلالاتها بل هي منوطة بتلك الاسماء على سبيل المصادفة والاتفاق ، سمعنا من احد القائمين بهذا المذهب ان اسم (محمد علي) ـ مثلا ـ من خصائصه النباهة وعلو المنزلة ، فكل من سمي محمد علي لابد ان يكون بارزا في بيئته او مجتمعه منزلة ونباهة وساق لتايبد مذهبه هذا امثلة من محمد علي جناح ، زعيم باكستان الاول ، قائد حركتها ومؤسس دولتها ، ومحمد علي بوجرا رئيس وزراء باكستان سابقا وسفير باكستان في اميركا حالا ، والتشودري محمد علي الذي كان رئيس الوزراء يومذاك وهو اليوم رئيس حـزب سياسي ، واضاف على هذه الامثلة الوطنية امثلة مـن خارج باكستان فذكر محمد علي علوبة باشا اول سفراء مصر لدى باكستان ، ومحمد علي الزعيم الهندي الاكبر ابان حركة الخلافة في الهند ، الذي مات ودفن بالقدس فرثاه شوقي ابلغ رثاء . قال هذه امثلة خمسة مـن المدعوين باسم محمد علي . ما منهم الا من تسامى الى عليا منازل الشرف وذيوع الصيت ، حتى اصبح رئيسا لوزارة او زعيما لامة او سفيرا لدولة ، وكل ذلك بفضل خصائص هذا الاسم ، هنالك ساله بعض من حضر المجلس : وما قولك يا استاذ في الكثرة الكاثرة من اصحاب هذا الاسم الذين نشاوا في الطبقات المتوسطة او الفقيرة من المجتمع اين نباهتهم وعلو منزلتهم ؟ قال : لابد ان يكونوا بارزين على غيرهم سمعة ونباهة في بيئتهم المحدودة التي هم فيها ، فارجعوا الى بيئاتهم وابحثوا عن احوالهم يتحقق لكم الامر ، وجاء جوابه بالغا مـن السخافة بحيث اضحك جميع السامعين .

والمذهب الآخر الذي يماثله في السخافة والاضطراب قولهم بان لمعاني الاسماء تاثيرا في اخلاق المتسمين بها ضربة لازب ، وهذا المذهب يقتضـي ان يكـون كـل (محمود) في هذه الدنيا طيب السيرة ممدوحا لدى الناس ، وكل (جميل) صاحب جمال ووسامة وكل (امين) رجل امانة ونزاهة ، وهذا يكذبه الواقع في حياتنا اغلظ التكذيب . ولو كانت صفات الانســان واخلاقه تطابق هذه المطابقة الكاملة لمعاني الاسمــاء ودلالاتها ابدا ، لهان والله كثيرا عمل المصلحيـن الاخلاقيين من الانبياء والصلحاء والمرشدين ، وامتلات الدنيا رشدا وصلاحا وجمالا وكمالا لان معظم الاسماء التي ما زال يدعى بها بنو آدم في كل زمان ومكان تحوي على معان طيبة مرضية .

*

ومن الاسماء ما استهدف لكثير من النقد والطعن من هذه الجهة او تلك ، وقد كاد الناقدون ان يضيقوا على صاحبه الخناق لاجله ، ولكن كان من صبره وثباته في وجههم ما بدد اعتراضاتهم وابقى عليه اسمه كما هو . وقد ذكر المغفور له الاستاذ محمد كرد علي في كتابه (المذكرات) : « ان حاول احد خلص اصدقائي ان يبدل كنيتي (كرد علي) ويستعيض عنها بعلي فقط ، واخذ يقنعني بذلك زمنا ، وحجته ان هذا الاسم من الالقاب المرعبة ، واذا اطلق علي يوخذ منه ان صاحبه كردي فظ لا يعرف غير السلب والنهب . وكنت احاجه في هذا المعنى واريد ان يتفضل علي بكنية اسرتي يطلقها علي في الكتاب والخطاب ، واقول له ان في كني الافرنج والعرب اثقل من كنيتي واخوف منها ، وان في اجدادنا الماضين من كانت كنيتهم ارحش واسمج ، مثل ابن بصاقة وابن ابي كدية وابن كتاكت وابن كحينا ... »

واشد من ذلك وقع للاستاذ الكبير السيد ابي الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية بباكستان حينما تقدم بدعوته الاسلامية فجاوز مرحلة الفكر والقول الى الجهد والعمل ، فشكل الجماعة الاسلامية ودعا عامـة المسلمين وخاصتهم الى السعي وراء اقامة النظـام الاسلامي فانبرى له طائفة من رجال الدين كانوا راضين عنه وعن دعوته ما دامت في حدود القول والفكر، فاخذوا يعيبون شخصيته ودعوته وكل ما يقوم به من اعمال ، ومما عابوا وانكروا هو كنيته (ابو الاعلى) بحجة ان الاعلى من اسماء الله تعالى الخاصة ، فلا يجـوز ان تضاف اليه الابوة ، ويتكنى به مسلم عامي فضلا عن عالم يتصدى للدعوة والاصلاح ، وشددوا نكيرهم على هذا الاسم ليسيئوا ظن الناس بالاستاذ وبجماعتـه ، فكانت ضجة ومعمعة ، ثم سكنت لانها لم تكن تستند الى علم او برهان ، وكانت الآية : وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . وحدها كافية في دحض حجتهم الباطلة ، ومما لا شك فيه انه لو لم تكن هذه الآية في القرآن لاضطر الاستاذ الى ان يخوض مع منتقديه في معركة حامية الوطيس كانت شغلته عن شؤون الدعوة والاصلاح زمنا طويلا .

الرحالة المغاربة وآثارهم

للاستاذ محمد الفاسي
عميد الجامعة المغربية

- 3 -



وقد ازدهر فن الرحلة في ايام الدولة العلوية ايما ازدهار فالفت منذ القرن الحادي عشر عدة رحلات من شتى الانواع تشير بالخصوص الى الرحلات الحجازية وقد بلغ عدد التي وقفت عليها او بلغني خبر وجودها نحو الخمسين رحلة نذكر منها اهمها مبتدئين بالرحلة العياشية التي فتحت هذه السلسلة الطويلة .

سافر ابو سالم العياشي الى الحجاز سنة 1064 والف رحلة سماها : ماء الموائد وقد نالت شهرة ذائعة وطبعت بفاس على الحجر في مجلدين ضخمين منذ خمس وخمسين سنة الا اني – اعتبرها سببا في انحطاط هذا الفن لان العياشي ابتعد في كتابه هذا عن التقاليد التي اسسها الرحالون الاولون كابن جبير الاندلسي والعبدري من وصف المراحل والاهتمام بالناحية الطبيعية الجغرافية وباخلاق الناس وعوائدهم مما يجعل قراءة الرحلات لذيذة ومفيدة وجعل الرحلة عبارة عن مؤلف علم حشر فيه من المناقشات الفقهية والصوفية وغيرها ما لا مساس له بالسفر واكثر من ذكر الاجازات والاسانيد الشيء الذي كان الاولون يخصصونه كتب البرامج والفهارس ، ولعل الذي دعاه لذلك الذوق العام الذي كان يسود المثقفين منذ ايام السعديين ، حيث هب المغرب من اقصاه الى اقصاه للدفاع عن بيضة الاسلام ومقاومة الاحتلال المسيحي الذي انتهز ضعف السلطة المركزية ايام الوطاسيين وحاول الاستيلاء على البلاد فقام علماء الدين يذكون العاطفة الاسلامية لصد هذه الغارات وكلل عملهم بالنجاح في وقعة وادي المخازن ولاكن بقيت النفوس مطبوعة بذلك الطابع الخاص الذي جعل المؤلفين لا يكادون يكتبون في فن ولو بعد ما بعد عن الناحية الفقهية ، الا ويرون انفسهم ملزمين بالاستطرادات الراجعة لهذه الناحية .

وقد تبع هذه الطريقة من جاء بعد العياشي فصار كل ذي اختصاص يبحث عن المناسبات ليملأ رحلته بما يتعلق باختصاصه .

وقد كنت وقفت في خزانة الفاضل الحاج عبد السلام بنونة رحمه الله بتطوان على رحلة حجازية اسمها المعارف المرقية في الرحلة المشرقية » الفها ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد الرافعي التطواني وقد رحل سنة 1096 ويظهر انه كان اديبا شاعرا فجعل من كتابه هذا منتخبا لاشعاره وهي مع ذلك لا تخلو من فائدة .

وفي سنة 1100 حج ابو العباس سيدي احمد بن محمد (فتحا) بن عبد الله معن الاندلسي ، ورافقه في حجته تلميذه ابو العباس القادري فالف رحلة سماها : (نسمة الآس في حجة سيدنا ابي العباس)

وهي في الجملة من هذا النوع ، الا انها تمتاز باسلوب جميل حي يجعلها في نظري من ابدع الرحلات التي الفت في المغرب . وقد سافر سيدي احمد بن عبد

الله في جماعة كبيرة من اصحابه مع الركب المغربي على طريق البر ، وقد ذكر القادري كل المراحل من فاس الى مكة ، لاكن باختصار لا يخلو مع ذلك من فائدة عن احوال طريق الحج في اوائل القرن الثاني عشر ؛ وهذه الرحلة لا تزال مخطوطة .

وسافر بعد هذا التاريخ ابو العباس احمد بن ابي عسرية الفاسي الفهري المتوفى سنة 1137 ، والف رحلة قال عنها السلطان ابو الربيع سليمان في كتابه « عناية اولي المجد بذكر آل الفاسي بني الجد » وهي جامعة مفيدة ذكر فيها جماعة ممن لقيهم بالمشرق والمغرب » وتعتبر هذه الرحلة ضائعة اليوم لانها لم توجد في خزانة من الخزانات المعروفة رغم كوني رايت ابي الطيب القادري ينقل عنها في كتابه نشر المثاني .

وللعلامة اللغوي شمس الدين محمد بن الطيب الصميلي الشرقي المعروف في المشرق بابي الطيب الفاسي المتوفى بالمدينة المنورة سنة 1170 رحلتان حجازيتان ، ضاعت احداهما ، وبقيت الاولى التي وصف فيها اخبار رحلته من فاس الى مكة سنة 1139 ويوجد منها مخطوط فريد في خزانة جامعة لايبسك بالمانيا مكتوب بخط مشرقي ، وقد اطلعت عليه في الخزانة المذكورة ولخصته . وقد سافر ابن الطيب الشرقي صحبة الركب المغربي ووصف المراحل ، وهو يهتم بالاعلام ويحققها ويناقش بعض الرحالة السابقين — والجغرافيين ، واسلوبه متين وكل ذلك يجعل من هذه الرحلة اثرا قيما .

اما شخصية صاحبها فهي غنية عن التنويه ، فقد كان امام اللغة في وقته ، وهو شيخ شارح القاموس الشيخ مرتضى الزبيدي وعمدته في تاليفه ، ومن النكت الطريفة المتعلقة بهذه الرحلة انه كتب على مخطوط لايبسك : « هذه رحلة السيد ابي عبد الله الشهير بالطيب نور الله ضريحه وفتح علينا ببركاته « فظن بعض المستشرقين ان نور الله اسم المؤلف وقراه نور الله فنقل ذلك بروكلمان في تاريخه الاداب العربية ، وتبعه جرجي زيدان ؛ وهكذا خلقوا شخصية لا وجود لها اطلقوا عليها اسم : الطيب نور الله .

وفي سنة 1134 سافرت السيدة الجليلة خناثة بنت بكار زوج مولانا اسماعيل وام ولده مولاي عبد الله لقضاء فريضة الحج واصحبت معها حفيدها سيدي محمد بن عبد الله وهو طفل صغير ، وكان في معيتها الكاتب ابو محمد عبد القادر المدعو الجلاني الاسحاقي، فالف عن اخبار هذه الحجة الشريفة رحلة في جزئين ، يوجد الجزء الاول مخطوطا بخزانة جامعة القرويين ، والكلام عليه في الرحلات الرسمية .

وقد امتاز هذا القرن الثاني عشر بكثرة ما الف اثناءه من الرحلات الحجازية وغيرها ، ولا يسعنا الوقت للكلام عليها بالتفصيل ، وانما نشير الى رحلة العلامة الحضيكي ، وقد غادر البلاد السوسية سنة 1152 والف رحلة توجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ؛ وفي سنة 1158 سافر الى الحجاز العالم الصوفي ابو محمد عبد المجيد الزبادي الحسني والف رحلة توجد في عدة خزانات وتسمى بلوغ المرام بالرحلة الى بيت الله الحرام .

وفي سنة 1169 وقعت اول رحلة للمؤرخ الشهير ابى القاسم الزياني ، وقد حج مرارا وذهب سفيرا الى تركيا ، والف رحلة عريضة تعرض فيها لكل اسفاره ولكثير من اخباره وتوجد منها عدة نسخ مخطوطة وتسمى الترجمانة الكبرى ، ومحل الكلام عليها في الرحلات العامة .

وحج في اواخر هذا القرن الثاني عشر رحالة جليل هو العلامة الكبير ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري والف رحلة اعتبرها من اهم ما كتب المغاربة في هذا الموضوع ، وتوجد منها نسخة عليها خط يده بالرباط : الناصري بمراكش ، ويؤسف كبير الاسف لكونها لم تحظ بالطبع ، وهي اولى بذلك من الرحلة الناصرية التي اشرنا اليها سابقا .

وقد خرج ابن عبد السلام الناصري من زاويتهم بتامكروت من بلاد درعة وقطع الصحراء الى بلاد سجلماسة ، ومنها خرج مع ركب الصحراء وسار . وفي المخيلي ببلاد الاغواط اجتمع الركب السجلماسي مع الركب الفاسي ، وهذه الرحلة تحتوي على تفاصيل دقيقة عن كل المراحل والمنازل التي بين تمكروت وتافيلالت ، وبين هذه وبلاد الاغواط ، ثم طريق الحجاج المشهورة ؛ وهو يتعرض بتفصيل لاقوال الجغرافيين والرحال ويمحصها وينقدها ، فينقل مثلا عن مسالك الكبرى وعن الروض المعطار وعن رحلات ابن جبير وابن رشد والعبدري والبلوي الاندلسي

والتجاني التونسي والعياشي والناصري والقادري والزبادي ، فيصحح قول هذا ويزيف قول الآخر ، فتراه مثلا يرجح قول العبدري على ما ورد فى كتاب البكري بقوله : « لحصول المشاهدة له بخلاف البكري» ومن المعلوم ان الجغرافي الاندلسي وضع مؤلفه ، ولم يرحل قط عنالجزيرة الاندلسية . ثم ان عبد السلام الناصري له ولوع خاص بالتنقيب عن الكتب والبحث عن الخزانات فى كل بلد حل به ، وقد ملأ رحلته بالمعلومات القيمة عن كتب مهمة وصفها وصفا شاملا .

وكان ابن عبد السلام هذا من علماء السلف اعداء البدع والضلالات وهو يتعرض للخرافات الشائعة عند العوام فيما يتعلق بقبور الاولياء والصالحين ويبطلها وقد قال « ان شد الرحال لغير المساجد الثلاثة كزيارة الاولياء ونحوها اختلف العلماء فيها بالجواز وغيره ، ومحل الخلاف ما لم تتبين عليه مفسدة دينية والا حرمت بلا نزاع »

ولم تخل هذه الرحلة بالضرورة من طابع العصر ، فهي مليئة — زيادة على تراجم الرجال واجازات العلماء — بكثير من المسائل العلمية من تفسير وحديث وفقه ونحو بمناسبة مذاكرات جرت له ، او اسئلة القيت عليه ، واجاب عنها ؛ الا ان كل ذلك يصطبغ بصبغة الحياة والحرية فى الفكر .

وابن عبد السلام الناصري هذا مؤلف كتاب عجيب فى بابه ، دل على صفاء ايمانه ودينه المتين ، وصراحته التامة ، وهو فى انتقاد احوال زاويتهم الشهيرة وقد سماه « المزايا فيما احدث من البدع فى ام الزوايا » وهو موجود بعدة خزانات .

وقد حج مرة ثانية سنة 1211 ووضع فى اخبار حجته هذه ، رحلة اخرى صغيرة لا تقل فائدتها عن الرحلة الكبير ؛ وقد سافر من تمكروت الى تافيلالت، ومنها الى فاس ، وخرج منها مع الركب المغربي ؛ وقد كانت فاس جعلت مركزا لخروج سائر حجاج المغرب، فيقصدها اهل مراكش واهل سوس واهل درعة وسجلماسة وسائر نواحي المغرب ، ويخيم الجميع براس القليعة حتى يحين الوقت المعين لخروج الركب الرسمي فتتحرك هذه المدينة المتنقلة فى نظام عجيب وعلى راسها شيخ الركب المعين من قبل السلطان ويكون فى الركب قاض لفصل ما عسى ان يحدث من خصومات المسافرين وكذلك امام للصلوات الخمس .

وتنتهي هذه الرحلة الثانية بوصوله لمدينة فاس بعد الرجوع من الاقطار الحجازية ؛ وقد توفي رحمه الله سنة 1239 . وهو من افذاذ المغاربة واكابر العلماء والمفكرين ، ولاكن من جاؤوا بعده ، غمطوه حقه ، وطمسوه ذكره ، وطووا اخباره ؛ وليس ذلك الا لما كان يتحلى به من الصراحة فى القول ، ومحاربة الخرافات والبدع غير خائف فى الله لومة لائم ، ولا ملتفت لاقوال المعارضين والجامدين .

ويفتتح القرن الثالث عشر برحالة لعب دورا هاما فى تاريخ المغرب وهو ابو عبد الله محمد بن عثمان المكناسي الكاتب الوزير السفير الى دول اروبا : اسبانيا والنمسا وايطاليا والى الخليفة العثماني باسطنبول والى الشريف سرور صاحب مكة ، وقد الف ثلاث رحلات عن مختلف اسفاره ، بقي لنا منها اثنتان احداهما تتعلق بسفارته الى مملكة نابولي والى جزيرة مالطة واسمها « البدر السافر فى افتكاك الاسارى من يد العدو الكافر » والثانية تتعلق باخبار سفارته الى تركيا والى الحجاز عند الملك سرور وقد كان بانيا على الاميرة بنت سيدي محمد بن عبد الله سلطان المغرب وهذه الرحلة تسمى احراز المعلى والرقيب ؛ وقد كنت نشرت بحثا عن الوزير ابن عثمان فى مجلة المغرب الجديد والكلام على آثاره فى الرحلات السفارية وقد توفي بمراكش فى طاعون 1213 .

وفى سنة 1211 سافر ابو العباس احمد بن محمد الفاسي مع الركب المغربي الذي سار فيه ابن عبد السلام الناصري كما قدمنا ، ووضع فى حجته هذه ايضا رحلة توجد منها نسخة فى عدة مكاتب بالمغرب ، وبخزانة البلدية بالاسكندرية ، وبخزانة احمد تيمور باشا رحمه الله ؛ وهي من امتع ما كتب فى هذا الموضوع تمتاز بالتدقيق فى ايراد المسافات بين المراحل بالساعات وبالاهتمام بكل الجزئيات التي وقعت له ولغيره اثناء السفر ، وباحوال البلاد الاجتماعية ؛ فوصف عيد فيضان النيل بمصر حيث صادفه عند وصوله للقاهرة ، وذكر ان اهل المشرق مولعون بشرب القهوة قائلا « بخلاف مغربنا فى هذا الاوان فانه عمت به البلوى او كادت ان تعم بشرب اتاي وهو باغلى ثمن فى الغالب وقد جعل الناس كلهم يتكلفونه ، ولا

يخلو مجلس منه ، ولا اكرام ولا غير ذلك بدونه وفيه من السرف مالا يخفى » وهو كثير الملاحظات لا تفوته دقيقة من الدقائق التي يقع عليها بصره او تطرق سمعه من ذلك انه راى فى مجلس تدريس بالازهر طالبا اخذ « حق طباقو » التنفيحة من احد رفاقه ، وبعد ان شمه افرغه فى كراسه ورد له الحق خاويا فتضاحك الطلبة بمحضر من الشيخ ، قال « ولا حول ولا قوة الا بالله » ولما خرج الركب من القاهرة قال : وقعت غريبة وهي ان رجلا سوسيا مرض فأوصى بماله لاحد رفقائه وله ورثة بالمغرب فلما توفي اخذ شيخ الركب المصري المال الذي تركه ذلك الشخص وعلق على هذا التعدي بقوله : « فانظر ايها الاخ هذه القضية وهل يصدر مثل هذا بمغربنا فحاشا وكلا » ولهذه الرحلة فائدة خاصة لتعرف احوال بلاد المغرب العربي ومصر والحجاز فى اوائل القرن الثالث عشر الهجري حيث ان الركب مر فى رجوعه بكل المدن الطرابلسية والتونسية والجزائرية ولما كان بمدينة طرابلس اطلعه احد اهاليها على نسخة صحيح البخاري التي بخط ابي علي الصدفي بتاريخ 508 وهي اصح نسخة لهذا الاثر الجليل ، وقد اشتراها صاحبها من اسطنبول فقال عند ذلك علماؤها «قد اخليت اسطنبول» وقد وصفها ابو العباس الفاسي وصفا مدققا وذكر انها اصل سماع القاضي عياض وعليها اعتمد الحافظ بن حجر عند تاليفه فتح الباري فى شرح البخاري ، وعلى هذه النسخة اخذت رواية ابن سعادة وعنها نسخة الفاسيين التي تسمى بالمغرب « الشيخة » .

وقد الفت بعد رحلة ابي العباس الفاسي رحلات حجازية متعددة الى وقتنا هذا حتى انه لا تمر حقبة صغيرة من الزمن بدون ان توضع رحلة ، الا ان جل اصحاب هذه الرحلات المتاخرة يعتمدون فى الغالب على المؤلفات القديمة فى وصف المراحل ، ويعتنون بالمباحث الفقهية ونحوها اكثر من اعتنائهم بالناحية الجغرافية ، وبالاحوال الاجتماعية ، ومع ذلك فانها فى مجموعها تفيد لمن اراد ان يقارن بين ما كانت عليه البلاد التي كان يمر عليها الحجاج فى القرن الماضي ، وبين حالتها فى العصور المتقدمة .

من هذه الرحلات الرحلة الحجازية للعلامة الكاتب الشاعر سيدي حمدون بن الحاج السلمي المرداسي المتوفى سنة 1232 كما وقفت على النقل عنها فى كناشة لتلميذه ابي محمد عبد القادر بن عبد الواحد الفاسي الفهري ؛ ولم يذكرها له صاحب سلوة الانفاس ولا غيره ممن ترجموه له .

ومنها رحلة الشيخ العربي بن محمد الدمناتي وقد حج قبل سنة 1244 وتوفي بالصويرة سنة 253 ذكرها له ابو عيسى المهدي بن الطالب ابن سودة المري فى فهرسته قائلا عنها « وكان عقد صاحب ــ الترجمة لتلك الحجة رحلة امهرها للمطالعين نحلة واي نحلة ، فهي عندنا كالآس بمدينة فاس » ويتاسف على ضياعها اذ لم اقف عليها فى خزانته ، ولا رايت من اطلع عليها .

ومن الرحلات المؤلفة فى القرن الماضي رحلة ابي العباس احمد بن بابا الشنقيطي المتوفى حوالي سنة 1260 بالمدينة المنورة ، قال الشيخ محمد البشير ظافر فى كتابه : « اليواقيت الثمينة فى اعيان مذهب عالم المدينة » فى ترجمة الشنقيطي المذكور « وله رحلة التزم فيها من لقيه من الاعلام فى وجهته لبيت الله الحرام ، وابتدا باشياخه الذين قرا عليهم ببلده كوالده ووالدته وغيرهما واجتاز ببلاد الواسطة والجريد وتونس والبلاد المشرقية » .

ومنها « الرحلة العريضة فى اداء الفريضة » للحاج العربي المشرقي ؛ وله رحلات اخرى فى السياحة بنواحي المغرب شمالا وجنوبا ، ليس هنا محل ذكرها وهو من رجال القرن الماضي ، ويوجد طرف من الرحلة العريضة بالخزانة الاحمدية بفاس عند ابي محمد عبد السلام بن سودة مؤلف (دليل المؤرخ المغربي) .

وقد الفت كذلك فى هذا القرن الرابع عشر رحلات خصوصا فى الربع الاول منه حيث اقبل المغاربة على تادية فريضة الحج بكثرة لتوفر اسباب ذلك من وجود بواخر تشتمل على سائر وسائل الراحة ولاكن اكثر هذه الرحلات بقي عند اولاد مؤلفيها واحفادهم ولم

تدخل الخزانات العامة ، فلم يتسن لنا الاطلاع الا على القليل منها ، وهي فى مجموعها لا تختلف عن الرحلات السابقة ، ولم يدخلها بعد أي تجديد .

سيداتي ساداتي ،

كان يودي ان احدثكم عن الرحالة المغاربة كافة ولاكن نظرا لكثرة ما وضع اهل بلادنا من المؤلفات عن اسفارهم المختلفة ، حتى ان مجموع الرحلات الحجازية مثلا يفوق كل ما كتب فى العالم العربي باسره ، رأيت انني لو عمدت الى ذكرهم جميعا لكانت هذه المحاضرة عبارة عن مجرد سرد لاسمائهم ، ولعناوين مؤلفاتهم ، ففضلت ان اقتصر اليوم على الرحلات الحجازية ، تاركا الكلام على غيرها الى فرصة اخرى ـ والسلام عليكم ورحمة الله .

الرحالة المغاربة وآثارهم

« دهلي » لا « دلهي »

ورد فى العمود الاول من الصفحة التاسعة من العدد الثاني ـ السنة الثانية ـ مرتين لفظة « **دلهي** » مصحفة عن « **دهلي** » .

ومثل هذا الغلط يصدر عن تصحيحات الطابعين لاعتقادهم ان الصواب هو ما يرد فى الصحف السيارة .

واصل هذا الغلط ان اللغات الغربية التي صرنا ناخذ عنها علمنا لا تنطق فى الغالب الهاء ، فتدغمها فى الحرف الذي يليها ، لذلك يكتبون « **دهلي** » « **دلهي** » ، كما نرى مثلا الفرنسيين يكتبون « **المهدي** » « **المدهي** » ووادي « **بهت** » « **بته** » ، هكذا : MADHI - BETH

محمد الفاسي

ابن عبد الملك المراكشي

للأستاذ: محمد العابد بن عبد الله الفاسي

ابن عبد الملك المراكشي ، او صاحب كتاب الذيل والتكملة ، شخصية لامعة فى التاريخ المغربي والاندلسي معا ، وكل من اتيح له الاطلاع على بعض اجزاء الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة ، يعلم بالبداهة قيمة هذا العالم المغربي ويشهد بعظيم اطلاعه واتساع باعه وطول عارضته وذلاقة لسانه واجادته السباق فى جولاته العلمية ونقده الصريح وبراعته فى الدليل والحجة ، مع مشاركة فى مختلف العلوم المدروسة فى عصره ، ومعرفته بالاندلس وطبقات علمائها وادبائها معرفة الخبير الباحث المستقصى يقل نظيرها بين الاندلسيين انفسهم .

كل هذا يجعلنا جميعا نتطلع الى انباء هذا العصامي الكبير ، ونتشوف الى تفاصيل حياته الحافلة ومختلف دراساته ، ولكنه ــ والاسف يملأ جوانحنا ــ بعد البحث الشديد والتتبع للمظان المختلفة والمصادر المظنون بها الافادة ، نرجع من حيث ابتدانا حاملين اردية الخيبة وعقم النتيجة ، فلا نجد ترجمة مبسوطة لابن عبد الملك سواء فى موضوعات المغاربة الذين المترجم منهم واليهم ، ولا عند المشارقة الذين وقفوا على كتابه ايضا واستفادوا منه وكان مصدرهم الفياض فى كثير من تراجم الاندلسيين والمغاربة ، ولا يقل الاندلسيون عن اخوانهم المغاربة والمشارقة اهمالا وتناسيا . وامام هذا الاهمال نجد انفسنا مضطرين لترديد هذا السؤال :

ما هي البواعث والاسباب التي جعلت مترجمنا مهملا الى هذه الدرجة ؟ منظورا اليه بعين الريبة والحذر فى كثير من الاحيان ؟ وما هي الاسباب الحقيقية التي اخرته عن وظيفة خطة قضاء الجماعة بعاصمة الموحدين السابقة ؟ ولاي شيء رحل المترجم من بلاده ووطنه الى تلمسان فى وقت كانت الحروب قائمة على ساق فى هذه الناحية ؟ وابو يعقوب المريني جاثم على ابواب مدينة الجدار بخيله ورجله ؟ فهل هناك مؤامرة دبرت ضد مترجمنا احوجته الى شد الرحلة وزيارة متبوعه فى هذه الاونة الحرجة قبل استفحال الداء ؟ ام هناك خلاف بين البلاط المريني وبين قاضية شيخ الجماعة ؟ ام ليس هذا ولا ذاك بل هو سفر عادي ليس لواحد من هذه الاسباب اثر فيه ؟ ثم نلتفت مرة ثانية الى ما عرف به المترجم من طبع حاد وعصبية مزاج ولاذع نقد وعدم تهيب الى لسان ، لا يعرف هوادة ولا مجاملة فيخطر ببالنا ان ذلك احد اسباب اهمال الناس له فى موضوعاتهم التاريخية ؛ فهل هناك نص يكشف النقاب عن كثير مما جهلناه ؟

وكيفما كان الحال فسانقل لك ما امكن العثور عليه من نصوص واردة فى حق المترجم ، وبعده نتحدث حسب جهود خاصة وعلى مقتضى الامكانيات المحدودة.

قال ابن الزبير فى صلة الصلة بواسطة الاستاذ الاهواني فى بحثه القيم المنشور فى مجلة المعهد المصري بمدريد :

محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري ثم الاوسي من اهل مراكش ابا عبد الله ويعرف بابن عبد الملك ، روى عن الكاتب الجليل ابى الحسن علي بن محمد الرعيني وصحبه كثيرا وهو اعلى من عندنا رواية ، وعن ابن عبد الله محمد بن علي بن محمد بن هشام ، وابي الوليد بن عفير وغيرهم ، واستجازني قبل سنة 80 وبعد ذلك ، فكتبت له مرارا واستوفى جملة من تواليفي استناخا وتكرر الى سؤاله فيما يرجع الى باب الرواية .

وكان رحمه الله نبيل الاغراض عارفا بالتاريخ والاسانيد نقادا لها حسن التهدي جيد التصرف ، وان قل سماعه اديبا بارعا شاعرا مجيدا امتدح بعض كبراء وقته ، وكان مع نقده الاسنادي ذا معرفة بالعربية واللغة والعروض ومشاركة فى الفقه . وما تقدمت الاشارة اليه من معارفه اغلب عليه ، وكان الكاتب ابو الحسن الرعيني يستحسن اغراضه ويستنبل منازعه ، وكتب

له على بعض كتبه بخطه : صاحبي ومحل ابني لفتاء سنه وفائقي نباهة خاطره وذكاء ذهنه ، وكان يفخر بذلك .

الف كتابا جمع فيه بين كتابي ابن القطان وابن المواق على كتاب الاحكام لعبد الحق ، مع زيادات نبيلة من قبله ، وكتابه المسمى بالذيل والتكملة لكتاب الصلة، وعلى هذا الكتاب عكف عمره ولم يتم له مرامه الى ان لحقته وفاته ، لانه الزم نفسه فيه ما يعتاص الوفاء به من استيفاء ما لم يلتزمه ابن بشكوال ولا الحميدي ولا ابن الفرضي ومن سلك مسلكهم . وقد ذكرت مقصد هؤلاء الائمة في ذلك في اول كتابي هذا وفي آخره باشفي مما ذكرت هنا . لا جرم ان ترجمة كتابه بالذيل والتكملة تستلزم ما عزم عليه وتطابقه ، الا ان مقصود من قدم ذكره ليس ذلك ، وهما مقصدان ومقصده منهما واف بما قصد الآخرون وزيادة لا تعيب مقصدهم وفيها زيادة نفعه الله ونفعهم به .

ولي ابو عبد الله قضاء مراكش مدة ثم اخر عنها لعارض سببه ما كان في خلقه من حدة اثمرت مناقشة موتور وجد سبيلا فنال منه . توفي رحمه الله بتلمسان الجديدة في اواخر محرم سنة ثلاثة وسبعمائة ، ومولده ليلة الاحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة اربع وثلاثين وستمائة . ومن شعره :

لله مراكش الغراء من بلد
وحبذا اهلها السادات من سكن

ان حلها نازح الاوطان مغترب
اسلوه بالانس عن اهل وعن وطن

عن الحديث بها او العيان لها
نشا التماسك بين العين والاذن

انتهت ترجمة ابن الزبير . وعقد الشيخ القاضي ابو الحسن النباهي المالقي في كتابه المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للمترجم كلمة قال فيها بعد تلخيص كلام ابن الزبير السابق ما صورته : قال المؤلف رضي الله عنه واوقفني ولده صاحبنا ابو عبد الله على كثير من المكتوبات الصادرة عن ابيه القاضي ابي عبد الله ما بين منظوم ومنثور ، ومن ذلك قوله رحمه الله (اورد له قصيدة لامية في الحنين الى الاوطان ياتي بعضها عند ذكر شعره) قال النباهي وحكى لي ولده المذكور ، انه قصد ايام شبيبته عبور البحر برسم الجواز الى الاندلس ، فبلغ منها الجزيرة الخضراء وحضر بها صلاة جمعة واحدة ، واقام بها ثلاثة ايام جائلا في نواحيها آخذا عن اهلها . ثم قال حصل لنا الغرض من مشاهدة بعض البلاد الاندلسية والكون بها والحمد لله على ذلك . وعاد قافلا الى ارضه ، ولما توفي جرى على ابنه المسمى تحامل في متروكه لتبعة تسلطت على نشبه ادته الى الجلاء عن وطنه، فاستقر بمالقة الخ .

وفي كتاب الديباج المذهب لابن فرحون ص 283 ط فاس ما نصه : محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الانصاري الاوسي الامام العلامة الاوحد المصنف الاديب المفتي الفقيه المقرىء المؤرخ الحافظ المقيد ابو عبد الله قاضي مراكش ، من جملة شيوخه ابو زكرياء بن ابي عتيق تلا عليه القرآن بالسبع ، وابو القاسم البلدي والقاضي ابو محمد الحسن بن الامام الحافظ ابي الحسن علي محمد ، والعلامة ابو الحسن علي بن محمد بن علي الفخار الرعيني الاشبيلي الكاتب وغيرهم ، مولده ليلة الاحد عاشر ذي القعدة سنة 634 وتوفي سنة ثلاث (بياض في جميع النسخ) ودفن بتلمسان انتهى .

هذه هي الوثائق الثلاث التي يمكن ان نعتبرها شبه ترجمة لابن عبد الملك ، وبالنهاية منها يسدل الرداء على المع شخصية عرفت في القرن السابع واوائل الثامن بالمغرب ، اثنتان منهما لاندلسيين والثالثة لحجازي سكنا ووفاة . فهل هذا كل ما هنالك ممن ذكر ابن عبد الملك ؟

كان بودنا ان نقف له على ترجمة مسهبة في كتب ابن الخطيب ، وهو الشخص المحظوظ الذي يخوله علمه وادبه ونفوذه ان يفيدنا كثيرا في هذا الموضوع ، سيما مع اعتبار صلته الوثيقة بولد المترجم ، وباعتبار ان كتاب الذيل والتكملة من اهم مصادر ابن الخطيب في تراجم الاحاطة ، وان كان لا يصرح باسمه في كثير من انقاله بل ربما نقل الترجمة بلفظ ابن عبد الملك مع تغيير قليل ، غافلا او متغافلا عن بيان المصدر ، ولكنه بكل تحسر لم نقف على شيء مما كنا نترجاه ؛ ولعل السبب راجع في الحقيقة الى عدم توغل صاحبنا ابن عبد الملك في زيارة قواعد الاندلس الكبرى كغرناطة مثلا، واقتصاره على زيارة الجزيرة الخضراء ايام شبابه كما نقل ذلك النباهي وكما يصرح به ابن عبد الملك نفسه اثناء ترجمة شيخه محمد بن علي بن خميس من كتاب الذيل ؛ على ان ابن الخطيب رحمه الله لم يترك الكلام نهائيا عن المترجم، فقد حلاه باشرف الصفات واثنى على بيته ونباهته حين اجرى ذكر ولده ابي عبد الله في كتابه الريحانة قال : وجرت عليه جراية تبلغ بها وارتفد بسببها رعيا لابيه واحتراما لبيته النبيل ، فقد كان ابوه رحمه الله قاضيها

صدرا في عصره وبدرا في هالة قطره ، رحب المجال نسيج وحده معرفة بطرق الحديث واسماء الرجال ، متبحرا في علوم الآداب ، منتدبا لاقامة رسم المعارف كل الانتداب ؛ وذكره مرة اخرى في الاحاطة عند ذكر ولده المذكور ، وكلما نقل عنه وسماه باسمه الا ويذكره بكل اجلال واكبار .

ثم ماذا كان نصيب ابن عبد الملك عند مؤرخي المشرق بصفة عامة ، من الغريب أن كتاب الذيل والتكملة ذاع وانتشر ، ووصلت نسخ منه الى بلاد الشرق الاسلامي ، وجعلوه من مصادرهم المعتمدة ، ورغما عن ذلك لم يوفوه حقه ولم يذكروه الا من طريق النقل عنه؛ وامامنا الان على طريق المثال بغية الوعاة للسيوطي ، فقد جعله في ديباجة كتابه من مصادره ووقف على نسخة من الذيل والتكملة في اجزاء تسعة ، فهل بلغنا شيء عنه في كتب السيوطي المختلفة ، ويقال هذا ايضا في الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، فقد ذكر في كتابه الاعلان بالتوبيخ ص 112 انه قرأ الاجزاء الخمسة الاول من كتاب التكملة لابن عبد الملك الى قوله في السادس محمد بن احمد بن عثمان القيسي . وهكذا نقوله فيمن اتى بعد هذه الجماعة من المؤرخين امثال صاحب شذرات الذهب واضرابه ، واخيرا نلتفت الى افريقية بصفة عامة والمغرب الاقصى بالخصوص ، فلا نجد له رواجا في بضاعتهم ؛ فهذا ابو العباس الغبريني قاض الجماعة ببجاية في كتابه عنوان الدراية رغما عن معاصرته له وربما كان ابن عبد الملك في طبقة مجيزيه ، وقد ذكر في كتابه المذكور عدة من اقران ابن عبد الملك ولداته ، ومع هذا لم يعرج عليه بادنى اشارة، بل الاغرب من ذلك ان ابا العباس احمد بن الخطيب المعروف بابن قنفذ في كتابه شرف الطالب وهو الكتاب الذي رتبه على المئين والعشرات منها ووصل فيه الى عام 807 ومع ذلك عند ذكره العشرة الاولى من المائة الثامنة لم يعرج على ذكره نهائيا .

ومثلهما ابو الوليد اسماعيل ابن الاحمر مؤرخ دولة بني مرين مع تعين ذكره في دولة ابي يعقوب يوسف الذي تولى المترجم خطة القضاء ايامه ؛ فاذا انصرفنا الى الاوضاع الخاصة بالمغاربة فاننا نجد امامنا ظاهرة غريبة مدهشة ، ذلك انك لا تجد في كتبهم تعريجا عليه لا بثناء ولا ضده الا كلمات هنا وهناك .

وقد كان يغلب على ظننا اننا سنعثر عليه في فهارسهم واثباتهم ، سيما والمترجم من اساطين علم الحديث ونقدته وكانت له معرفة خاصة بالاسانيد والعلل ، وبراعة في نقدها وتزييفها او تصحيحها الى مشاركة في علوم اخرى عرف بها واخذت عنه، فما سبب هذا الاهمال حتى من ذويه وقرابته ؟ اذاك راجع الى شدة شكيمة المترجم وحدة طبعه كما قلنا ؟ ام هناك اختلافات سياسية كانت الموجب الاول في ابعاده عن خطة القضاء اولا ؟ ثم سرى ذلك الاهمال السياسي الى اهمال ادبي ادى الى نبذه حتى من الناحية العلمية الصرفة ؟ لا ادري ، وكل ما يمكن ان اقوله ان ابن عبد الملك غريب في كل شؤونه واطواره ، وقد امتدت تلك الغرابة اليه حتى بعد وفاته .

وهنا يتعين ان نتفهم جيدا عبارة ابن الزبير السابقة من ترجمته ، فمن المستبعد جدا ان تكون حدة خلقه السبب الوحيد في هذا الابعاد والاهمال ، وكيفما كان الحال فان اكثر فهارس المغاربة لم تسند عنه اي طريق من طرق روايتها الا ما قرأته في كتاب استنزال السكينة بتحديث اهل المدينة لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي من اسناده عن ابن عبد الملك الحديث الرابع عشر المسلسل بالمراكشيين والثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين والحادي والثلاثين والثاني والثلاثين والثالث والثلاثين ، كما ان ابا زيد المذكور اسند من طريقه كتاب الشفا للقاضي عياض بواسطة تلميذيه ابن البناء المراكشي وابن صفوان، كما قرأت في كتاب المنح البادية في الاسانيد العالية لابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفاسي في المسلسل الثاني والستين بالمغاربة اسناده حديث من قال رضيت بالله ربا من طريق ابي جعفر بن صفوان عن ابن عبد الملك . ورايته ايضا في القسم الثالث يروي طريق ابي عبد الله محمد بن الحسن السجلماسي دفين باب عجيسة من فاس — من طريق ابن البناء عن ابن عبد الملك عن ابي محمد بن القطان وكذلك روى بنفس السند طريقة ابن الزيات فراجع تفاصيل ما ذكر في الكتب المشار لها ، ومصدرهم جميعا الشيخ ابو السعود الفاسي في اجازته العامة لجماعة من علماء الحجاز والمغرب في خصوص الفهارس مؤرخة بعام 1083 .

كل هذا استفدناه من مراجعة معاجم هؤلاء الشيوخ، اما الكتب الموضوعة في الاعلام والرجال للمغاربة فقد ذكرت لك سابقا ان اكثرهم لم يتعرض له الا بسطور قليلة او بصفة استطرادية، فالاول كابي العباس ابن القاضي المتوفى سنة 1025 في كتابه درة الحجال رقم 464 ط الرباط ونصه محمد بن عبد الملك الانصاري ابو عبد الله القاضي بمراكش وهو مؤلف الذيل والتكملة

لكتابي الموصول والصلة توفى سنة 703 . انتهى لفظه . والثاني كابي عبد الله العبدري رفيق المترجم وصديقه فانه ذكره واثنى عليه اثناء اجتماعه بابن دقيق العيد وحلاه بصاحبنا الفقيه الاديب الاوحد الخ .. وناهيك بصفة الفقيه الاديب الاوحد عند العبدري وامثاله .

ولنرجع الى نص ابن القاضي فان الموجود في نسخة خطية من الدرة وفي المطبوع ايضا ، ان وفاة المترجم كانت سنة 703 وهو المعروف المتداول ، وقد نقل الاستاذ الاهواني في بحثه المشار اليه اولا نص ابن القاضي وغفل عن تحقيق وفاته حيث تصحفت عنده بسنة 708 . ثم نقول بعد هذا كله ان ابن القاضي في كتابه الجذوة الموضوع لمن حل من الاعلام مدينة فاس لم يذكر في تراجمها ابن عبد الملك مع معرفتك انه حل بها اثناء مروره الى تلمسان ، ومن عادة ابن القاضي رحمه الله الاجحاف والايجاز عند ذكر امثال هؤلاء انظر ص 6 ما اتى به في ترجمة حافظ عصره ابي الحسن ابن القطان ، وقابله مع ترجمته عند ابن عبد الملك في الذيل ، هذا اذا وجد مصدرا لترجمته اما اذا لم يسعده الحظ فانه يعدل عن تلك الترجمة بالمرة .

وممن ذكر ابن عبد الملك من المؤرخين الفاسيين الاديب الكاتب ابو عبد الله محمد بن علي الفشتالي في نظمه التاريخي مشيرا على طريقة حساب الجمل الى تاريخ وفاته بقوله (وقل في ابن عبد مالك « ذاب خشبة) ومدلول ذاب على الطريقة المذكورة هو سنة 703 ولعل في قوله ذاب خشبة اشارة خفية الى حال ابن عبد الملك كما اومانا اليه .

وكيفما كانت معاملة مؤرخي المغرب والمشرق لهذه الشخصية الفذة وكيفما كانت اسباب ذلك الاهمال فقد انقطع عنا خبر المترجم اثناء اقامته بتلمسان منذ سافر اليها سنة 699 ، وفي هذه الآونة بالضبط كان ابو يعقوب المريني نازلا بساحة تلمسان ومحاصرا لها حصاره الطويل ، وانت عليم بان ابا يعقوب اسس اثناء هذا الحصار مدينته الجديدة سنة 700 وجعلها مدينة تضاهي اكبر المدن مستجمعة سائر مرافق حاجيات العمران والحضارة ، ومن دون ريب كان بجانب الملك جماعات من اهل العلم وادباء وشعراء ، فاين ابن عبد الملك ازاء هذه الجماعات والحركات واين جولاته وغمزاته كما نعلم ذلك من نشاطه الفكري واي ذكر له عند من ارخ هذا الحصار التلمساني ؟ بالاسف لم نقف على شيء ينير لنا الطريق ، وكل ما بايدينا حكاية ابن الزبير ومن تبعه لتاريخ وفاته بتلمسان الجديدة ؛ ثم وقفت على وثيقة عتيقة بخط بعض تلاميذ ابن عبد الملك لم يسم نفسه قال فيها ما صورته : يقول كاتب اصله سالت شيخي الفقيه الاجل قاضي الجماعة الاعدل العالم العلم الفذ القدوة المقدم ابا عبد الله محمد بن الشيخ الاجل الفقيه الصالح المقدس المرحوم ابي عبد الملك الانصاري بداره من مدينة اغمات وريكة في سابع ذي قعدة من عام اثنين وسبعمائة عن اسم مؤلف هذا الكتاب (يعني كتاب المختار لابن عبد الحق التلمساني) فقال هو محمد بن عبد الحق الى آخر ما اتى به ؛ وهذه الوثيقة بخط كاتبها مثبتة باول ورقة من الجزء الاول من كتاب المختار المذكور رقم 174 / 40 من خزانة القرويين ؛ وقد افادتنا ان المترجم كان مقيما في آخر عام 702 باغمات وريكة بعد ما كان بفاس في طريقه الى تلمسان في جمدى الاولى عام 699 ، فهل اكمل ابن عبد الملك رحلته الاولى الى تلمسان في التاريخ المشار اليه ثم آب بعد ، ام صدرت له اوامر خاصة بالرجوع الى مسقط راسه ، وقد انقطعت عنا انباؤه بعد الى تاريخ وفاته ، فبين تاريخ وجوده باغمات في سابع قعدة عام 702 وتاريخ وفاته بتلمسان في اواخر محرم 703 مدة لا تتجاوز ثلاثة اشهر ؛ ثم ما هي صفة اقامته باغمات في هذه الحقبة ، فهل هي اقامة اختيارية ام هناك نوع من انواع التغريب والنفي ، سيما وقد عرفت اغمات بكونها ملجا المغربين وقاعدة المنفيين ، وصلتها بالمعتمد بن عباد وعبد الله ابن بلقين بن باديس شهيرة في التاريخ ، ومالي اذهب بك بعيدا وهذا قاض آخر وهو محمد بن ابراهيم المشتهر بالاصولي ورفيق ابن رشد في محنته قد غربه منصور بني عبد المومن الى اغمات ولم يزل بها حتى عفا عنه ، فهل كان نصيب ابن عبد الملك في آخر مراحله التغريب ؟ .

يتبع

الموارد المالية في دولة الاسلام

3

تكلمنا فى الحديث السابق عن زكاة الاموال وجلينا آراء جماعة من الصحابة ، فمن بعدهم الذين يرون وجوب الزكاة فى الاموال المستفادة وقت استفادتها من غير اشتراط مرور العام عليها وهي فى ملك صاحبها ، وبينا كيف يطبق ذلك على اكرية الديار والحوانيت والفنادق واجور الموظفين ومئونة الجيوش كما كان معاوية يأخذ الزكاة من اعطيتهم . ونقلنا قول شيخ الاسلام بن تيمية : تجب الزكاة فى جميع اصناف الاجرة المقبوضة .

والآن نريد ان نلقي نظرة على جميع ما تنبته الارض ، لنرى كيف طبق بعض الائمة نصوص اخذ الزكاة منها ، ولا باس ان نشير مقدما الى اننا نبحث فى امكانيات احياء قاعدة الزكاة على اساس عملي دقيق النظام ، يتلاءم ويتمشى مع مقتضيات العصر الحاضر، ويمكن للامم الاسلامية كافة ان تسير عليه ، وتتجنب طرق الجباية على غير الطريقة الاسلامية الشرعية . فان الامم الاسلامية اذا فعلت ذلك تكون فى نظامها الجبائي راسا لا ذنبا ، وتحيي قاعدة من قواعد الاسلام الخمس التي بنيت عليه حياتها الاعتقادية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ما يناهز اربعة عشر قرنا من السنين ، ولما اسلفناه سوف لا اقتصر فى القاء هذه النظرة على ما يفهم من النصوص الشرعية مذهب معين ، فربما يوجد فى راي بعض الائمة من الفهم الدقيق للنصوص ومقتضيات الاحوال ، ما لا يوجد فى راي الجماعات الاخرى .

فقد وردت آيات واحاديث فى الزكاة ظاهرة فى العموم ، ووردت بعض الاحاديث مختصة ببعض الاشياء فاختلف الائمة فى فهمها ، فمن الآيات العامة قوله تعالى مخاطبا رسوله الكريم : «خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ، ان صلواتك سكن لهم» وهذا يشمل كل مال وهو ما يعد للانتفاع به من الطيبات الطاهرة ، من الحبوب والفواكه والماشية والذهب والفضة وغير ذلك ، كما يعم الاشخاص صغارا وكبارا ذكورا واناثا . وصح وثبت عن النبي (ص» قوله فيما سقت السماء العشر ، اي كل نبات او ثمر سقته السماء اي نزل عليه المطر فسقي به فيؤخذ منه العشر على وجه فريضة الزكاة . وصح وثبت عن النبي (ص) قوله ليس فيما دون خمسة اوساق من حب او تمر صدقة . كما ثبت قوله : ليس فيما دون خمسة اوساق من البر والشعير والتمر والزبيب صدقة ولا فيما دون خمس اواق صدقة ، ولا فيما دون خمس من الابل صدقة . فحمل جمهور كبير من الائمة هذا الحديث الاخير على ان النبي نفى الصدقة عما عدا الحب والتمر فيما يتعلق بالنبات ، واشترط فى وجوب الزكاة فى الحب والتمر ان يبلغ القدر المتحصل منها خمس اوساق اي احمال من احمال الابل وهي معروفة عند العرب . والحق بعض الائمة بالحب والتمر ما يبقى فى ايدي الناس اي ما يدخر على طريق القياس فيما يظهر ، قال ابو سيف صاحب ابي حنيفة حسبما فى مؤلفه الشهير كتاب الخراج : ولست ارى العشر الا على ما يبقى فى ايدي الناس ليس على الخضر التي لا بقاء لها ولا على الاعلاف ولا على الحطب عشر . والذي لا يبقى فى ايدي الناس هو مثل البطيخ والقثاء والخيار والقرع والبادنجان والجزر والبقول والرياحين واشباه ذلك فليس فى هذا عشر .

واما ما يبقى فى ايدي الناس مما يكال بالقفير(1) ويوزن بالارطال ، فهو مثل الحنطة والشعير والذرة والارز والحبوب والشهدانج واللوز والبندق والجوز. والفستق والزعفران والزيتون والقرطم والكراويا والكمون والبصل والثوم وما اشبه ذلك .

اما الامام ابو حنيفة فيظهر انه يفهم الزكاة على انها حق لله فى كل ما يحتمل المواساة من انتاج الارض، فقد نقل عنه تلميذه ابو يوسف انه كان يقول فى كل ما اخرجت الارض من قليل او كثير العشر اذا كان فى ارض العشر وسقي سيحا ونصف العشر اذا

(1) اي بوعاء خاص ، ويطلق القفير على الزنبيل والجراب ، هذا ان لم يكن محرفا عن القفيز و هو مكيال معلوم .

سقي بقرب او دالية او سانية والخراج اذا كان في ارض الخراج من الحنطة والشعير والتمر والزبيب والذرة والحبوب وانواع البقول وغير ذلك من اصناف غلة الشتاء والصيف، مما يكال او لا يكال، فاذا اخرجت الارض شيئا من ذلك قليلا او كثيرا ، ففيه العشر، ولا تحسب منه اجرة العمال ، ولا نفقة البقر اذا كان يسقى سيحا او تسقيه السماء ، وان كان يسقى بقرب او دالية او سانية، ففيه نصف العشر . وحدثنابذلكعن حماد عن ابراهيم النخعي انه قال : ما اخرجت الارض من قليل او كثير من شيء ففيه العشر وان لم تخرج الا دستجة بقل ، فكان ابو حنيفة ياخذ بهذا ويقول لا تترك ارض تعتمل لا يوخذ منها ما يجب عليها من الخراج اذا كان في ارض الخراج وما يجب عليها من العشر اذا كان ارض العشر قليلا اخرجت ام كثيرا»

فهو يرى ان الزكاة عامة ولا يعفي منها شيء مما انبتت الارض اخذا بعموم الاحاديث . بينما يرى الجمهور ان النبي في قوله ليس فيما دون خمسة اوسق من البر والشعير والتمر والزبيب صدقة قصرا لوجوب الصدقة على هذه الاشياء ، وان ما شابهها وكان في معناها يلحق بها على طريق القياس حيث كان يدخر ويكون قوتا للناس .

وهناك وجه آخر يحتمله قول النبي « ليس فيما دون خمس اوسق من البر الى الى آخر الحديث ، هو اعفاء هذه الامور الخمسة من الزكاة في قليلها حتى تبلغ خمسة اوسق نظرا لشدة الحاجة اليها في المعيشة الضرورية اليومية ، بينما تبقى الزكاة في الامور الاخرى التي لا تتوقف عليها الحياة ، توقفها على هذه الخمسة على عمومها واطلاقها ، فتجب الزكاة في قليلها وكثيرها وهذا امر معقول في التشريع كما تفعله بعض الدول المعاصرة ، بل جلها من اعفاء كثير من الامور الضرورية للحياة من الضرائب وفرضها على امور اخرى ليست في مرتبتها من شدة الحاجة اليها او هي من قبيل الكماليات ، وهذا ما يظهر لي انه مذهب جمهور الظاهرية . قال الحافظ ابن حزم في هذا الصدد ، وقال ابو سليمان داود بن علي وجمهور اصحابنا : الزكاة في كل ما انبتت الارض وفي كل ثمرة وفي الحشيش وغير ذلك لا نحاشي شيئا . قالوا فما كان من ذلك يحتمل الكيل لم تجب فيه زكاة حتى يبلغ الصنف الواحد منه خمسة اوسق فصاعدا وما كان لا يحتمل ، ففي قليله وكثيره الزكاة . وهذا المحمل للاحاديث الشريفة عند النظر الصادق هو اولى المذاهب بالاعتبار لانه اعمال للحديثين معا ، حيث يبقى حديث فيما انبتت الاض العشر عاما فيما عدى الاشياء المذكورة في حديث الخمسة اوسق ، كما يعمل حديث الخمسة اوسق فيما هو نص فيه ، بينما بعض المذاهب الاخرى يجعل حديث الخمسة اوسق ناسخا لعموم حديث فيما انبتت الارض العشر ، فمنهم من يقتصر على ما في حديث الخمسة اوسق ويتعصب له كابن حزم ويرد على جميع اصحابه او جمهورهم على الاقل، ومنهم من يترك عموم حديث ، فيما انبتت الارض العشر ويرتكب طريق القياس والالحاقات فيما يوكل ويدخر فيقع التخليط .

ومن جهة اخرى فاننا نرى ان الاقتصار على ايجاب الزكاة في خصوص الحبوب المذكورة هو نوع محاربة لها حيث تفرض الزكاة عليها وحدها مع ضرورتها للمعيشة .

ولو عمل الامام ابو حنيفة باعفاء ما دون الخمسة اوسق من الحبوب المذكورة من الزكاة حتى تبلغ هذا الحد لوافق مذهب الظاهرية واعمل الحديثين العام في كل ما انبتت الارض ، والخاص بالحبوب كلا فيما يقتضيه ، على ان الامام ابا حنيفة ليس وحده فيما ذهب اليه بل هو تابع لعدد من الائمة قبله . قال ابن حزم وعن مجاهد وحماد بن ابي سليمان وعمر بن عبد العزيز وابراهيم النخعي ايجاب الزكاة في كل ما اخرجت الارض قل او كثر ، وهو عن عمر بن عبد العزيز وابراهيم وحماد في غاية الصحة ، وقد استفدنا من هذه النظرة العابرة كيف نظر الائمة الى احاديث الصدقة وكيف اتجهوا في تطبيقها ومن صادف الصواب منهم في التطبيق ، كما استفدنا ان التشريع الاسلامي ليس فيه قصور كما يظن هذا الظن من يقتصر على النظر اليه من خلال ما يقرره اهل مذهب معين .

ونستفيد من هذا الاتجاه فوق هذا كله ان الاولى بالمسلمين في مشارق الارض ومغاربها ان يبحثوا نظام الزكاة في الاسلام على اساس جديد مستمدين من منبعه الصافي : الكتاب والسنة الصحيحة ، ويعملوا على تطبيق ذلك ، فان نظام الزكاة الذي لا لا زال يكتسي صبغة التقديس والاحترام في عقيدة المسلمين ، لا ينبغي اهماله او رميه بالقصور من غير بحث في حقيقته ومراميه .

وما اجدر واحق هذه المؤتمرات الاسلامية التي نسمع بين الحين والحين بانعقادها ببحثها لمثل هذه المواضيع الهامة التي تتصل بصميم الشريعة الاسلامية

والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

اللغة العربية في المغرب

للأستاذ
عبد الله الجراري



حدثنا التاريخ وقرانا له ـ ان حركة الفتح الاسلامي بهذه الرقعة المغربية الطيبة ـ كان التراب اليها في مسيس الحاجة الملحة لاسباب شتى ودواعي دينية واقتصادية واجتماعية وثقافية فشاءت الاقدار وقضت الحكمة ان يؤم المغرب رسل من ابناء الشرق العربي يحملون معهم رسالة الحضارة الاسلامية بكل ما تحمله معانيها المقدسة وتزخر به مدلولاتها الروحية رغبة في التمدين ، ونشر الوية الاسلام الخفاقة على ربوعه المشرقة ، ونسخ كل ما كان يجري في اصقاعه المترامية الاطراف من ملل ونحل وعادات وعبادات تلونت خرافاتها ، وتعددت اساطيرها تحت اعاصير التطاحن الملي من جهة ، والنهم التوسعي المنافس من جهة اخرى، وبعد مناوشات ومغامرات اذعن سكان المغرب الاصليون في مجموعهم الى الرسالة الخالدة التي كونت منهم اخوة في الدم والدين والعادات فانضمت طائفة منهم الى جيوش الاسلام غازية مجاهدة في نواحي المغرب الاقصى والاندلس وما يليه ، رغم ان المعظم لم يدخل هذا الدين من علم وفهم ، وانما عن اعجاب بالعرب ، او طمع في الغنيمة او فرارا من الجزية وارتفاعا بانفسهم الى مرتبة المسلمين اصحاب الدعوة والدولة ، بيد ان العقيدة الاسلامية لما تغلغلت في نفوسهم بعد ، وتمكنت فيهم تعاليمها الحرة اخلصوا لها عن صدق وايمان .

وقد قرانا للتاريخ ان سكان التراب المغربي انحدروا من الشرق العربي عبر مصر الشقيقة وعمروا بقاعه الخصبة كما هي فكرة محققي التاريخ وكتبته في القديم والجديد . وبطبيعة هذا الاقتراب قد حلوا فيها بما لهم من اعراف وعادات ومالوفات هي الى الشرق امس منها بسواه فكان هذا من ادعى الاسباب وتقارب الاشباح في اتصال النفوس والارواح ، وتسهيل الحاجات واطمئنان المفتوح للفاتح في كل الماجريات والمطامح دينيا وتمدينيا .

فتح المغرب صدره لابناء العروبة الفاتحين متعاونا معهم على نشر العقيدة الاسلامية وبث مبادئها السامية ، وتنوير افكار السكان الاحرار بتعاليمها المشرقة والمطبوعة بطابع ديموقراطية الاسلام الحق الحافز لهم في نفس الوقت على تلقي هذا الدين الجديد دين السماء الحنيف بكل انطلاق وانشراح خصوصا وقتما اخذوا يطبقون تعاليمه في احوالهم الشخصية والاجتماعية ، وكل ما يهدف الى الحياتين الدنيا والاخرى عملا بكلمة الرسول الجامعة : (اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا) وقد لمسوا بحق في هذه الاثناء يسر سبيله القويمة وانطلاقه المرح في وجه المتمسكين بتعاليمه ذات اليمن والسهولة مما حببه الى القلوب اكثر من المتوقع حوافز ضاعفت من رسل الدين الجديد لاول الفتح نشاطهم نحو نشر الشعائر المقدسة في الاوساط المؤمنة والتنازل لتبسيط ما اتى به الرسول الاعظم من كتاب وسنة على النموذج الذي قام به الرسول نفسه في تبليغ الرسالة وهداية البشر الى الطريق السوي والصراط النازح عن مساوىء المجوسية واساطير الشرك، واوهام الافاكين والخرافيين

ومن وراء هذا الانبعاث الجديد ، والطفرة الموفقة اللتين فاز المغاربة فيهما بوثبات ثابتة على محكم صراط ـ فكر المسلمون وبناة قواعد الدين تفكيرا جديا في

اخوانهم البرابرة من الناحية الثقافية او التعليمية بتعبير اقرب للوضعية التي كان الاخوان عليها لاول عهدهم بالاسلام حيث جاء دور تعرف دينه الحنيف وتفهمه وتعلم لغته .

فالتف البربر باخوانهم العرب يأخذون عنهم ما هم بحاجة اليه بخصوص هذين الناحيتين غير انهم وبا للاسف لم يجدوا من الحكومة الاسلامية عناية بارزة بهذا المشروع الهام ، كانهم يرون اهم منه — ما يتطلبه الفتح من تعبئة وتقعيد للمراكز على اختلاف جهاتها وافكار ابنائها وليس هذا بدعا في المغرب فنفس الظاهرة ما وقع في الشرق العربي وما اليه اثناء الفتح الاسلامي الاول حيث اشتغلت الحكومات الاسلامية بالفتوحات وبث اصول العقيدة في نفوس الجدد من الدين قدر لهم اعتناق الدين الاسلامي الظاهر .

نعم فمن الطاف الله جلت قدرته ان الهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فبادر رحمة الله عليه للامر بتعليم البربر الاسلام بمجرد جلوسه على عرش الخلافة سنة 99 هـ — فوجه عشرة من التابعين وصلحاء العرب لتعريف الناس بامور دينهم ، وكان من بين هؤلاء المعلمين حبان بن ابي جبلة كما نص على ذلك ابو العرب محمد ابن تميم في تاريخ افريقية ، ولم يكن للراغبين في الاسلام من اهل المغرب مفر من اللجوء في تعرف امور الدين الى العرب رسل الرسالة وهداة الشعوب .

ثم لم يكن الحجر الاساسي للعروبة بالمغرب من وضع الدولة الادريسية — فقد وجدت هذه الدولة المغرب لابسا حلة العروبة مغمورا بتقاليد العرب منذ ازيد من قرن اذ كانت به دول عربية — كدولة بني منصور بالريف التي اقامها صالح بن منصور الحميري فانه لم يكد يفتح تمسمان حتى اقطعه اياها الوليد بن عبد الملك — فاسس دولة في المغرب سميت بعد ذلك بدولة بني صالح او مملكة نكور ، وظلت هذه الدولة قائمة الاركان ثلاثة قرون ساهمت اثناءها في نشر اللغة العربية لا في الريف وحده بل في باقي ربوع المغرب حيث رفعت لواء المذهب المالكي . وقاومت تيار الخوارج في صف الادارسة اضف الى ذلك دولة بني مدرار بسجلماسة ، وهاتان الدولتان وان كانتا بربريتي الاصل — فقد كانتا من انصار العربية كما لمح لذلك فيلسوف التاريخ عبد الرحمن بن خلدون ، وكذلك بنو عصام اصحاب الدولة والصولة بسبتة التاريخية العظيمة التي اعتصى استرجاعها على دول ودول حيث ستكون معجزة ارجاعها الى حظيرة العز والسؤدد من مزايا دولتنا العلوية الفاخرة ، ومن نصيب الجالس على العرش بطل التحرير محمد الخامس دام تأييده ، وهؤلاء البلغواطيين وعلى راسهم الطاغية صالح بن طريف عندما اردوا المروق من الدين ، وافتعال قرآن يعارض القرآن العظيم ، لم يجدوا مندوحة عن اللغة العربية ، وفعلا كان قرآنهم المزور عربيا ، واداة تفاهمهم العربية . والمولى ادريس نفسه لم يبايع الا لكونه جاء بدعوة عربية ، ووجد امة بربرية لها معرفة بالعربية تستطيع بها ادراك ما تبسط من التراكيب والمدلولات القولية .

طارق واثره في ايقاد جذوة الحماس وفتق الالسنة

قد علمنا تاريخيا ان القائد موسى بن نصير الوارد على المغرب بعد حسان بن النعمان لسنة 87 هـ والذي جعل اللغة العربية رسمية بالمغرب اهتم اهتماما كبيرا بالزيادة في نشر الدين والعربية ورتب طائفة من العرب ليعلموا البربر القرءان وفرائض الاسلام وادخل في حظيرة الاسلام والعروبة اصقاعا شاسعة بالمغرب الاقصى وجعل مولاه طارقا عليه حيث عاصمته عروس التراب المغربي طنجة البهجة الحلوة .

ونظم الجيش من العرب والبربر لغزو اوربا ، وجعل فيه جملة القرءان ثلاثمائة لتعليم العربية والدين وغير بعيد بطبيعة هذه الكثرة ، ان يكون قد رتب في بقية المغرب اكثر من هذا العدد . وفي هذا العهد اصطبغ المغرب بالصبغة العربية ، وتمكنت قدم العرب والعروبة بالمغرب وسار العرب والبربر جنبا لجنب نحو هدف شريف في مقدمته فتح الاندلس .

ومنذ هذا العهد القوى الخصب ، والعرب والبربر يتداخلان ويمتزجان في المغرب والاندلس جميعا .

وهنا نقف غير ناسين او متناسين كلمات القائد المغوار طارق بن زياد خصوصا خطبته الحاسمة التي اهابت برجاله وحفزت قواته المسلحة للاندفاع على الاسبان اندفاع اليائس من الحياة الطامح الى الشهادة حتى هزموهم شر هزيمة ، ووالى القائد فتوحاته في اسبانيا ، وقبض على (رود ريك) ءاخر ملوك القيزيقوط بها وقتله سنة 94 هـ ولا نذهب بعيدا اذا قلنا ان الفضل

الوافر يعود لمغناطيس الخطاب السحري الحكيم الذي بقلوب جيشه الباسل كما اقام الدليل الناطق على دهاء القائد وحنكته الحربية ووعي الجيش البربري الذي كان ينيف عدده على الثمانية ءالاف جندي بينما بقية الاثنى عشر الف مقاتل من العرب ، قال البطل طارق — وقتما شاهد قوة رود ريك المدهشة :

(ايها الناس اين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر ، واعلموا انكم فى هذه الجزيرة اضيع من الايتام فى مادبة اللئام ؛ وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ، ولا اقوات الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم الى ان قال وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت ، واني لم احذركم امرا انا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس ابدا بنفسي فما حظكم فيه باوفر من حظي الى آخر الخطبة التي دلت على قوة طارق ودهائه الحربي المدهش مما اخضع الجيش ووجهه التوجيه النهائي نحو المضي فى مقارعة العدو والصمود امامه الى آخر نفس اضف الى هذا حيلته المدهشة الحاسمة التي قضت على كل امل ورجاء يمكن ان يكونا بقيا فى نفس الجند تجاه الحلم بالعود الى العدوة المغربية — حيث امر بحرق السفن الاربع التي اقلت جيشه الى الجزيرة على ما قيل طائفة طائفة وجاء التصريح به فى تاريخ مروان بن حيان حسب نقل صاحب النفح اثناء عرض قصة المعركة وان كان فى هذا العمل الجرىء ما فيه من عدة وجوه :

1) ضياع قوة بحرية لها قيمتها فى صيانة الثغور وارهاب العدو المنازع اذ القوة البحرية لدى الامم البحرية تعد كاحد جناحي طائر وهو فى الواقع لا يستطيع التحليق بواحد .

2) ان هذه السفن ليست ملكا لطارق على ما حدث به بعض المؤرخين كابن حيان ، وانما هي مستعارة من منافس (رودريك) بليان النصراني ومن العبث ان يعمد الانسان الى مستعار لا يد له فى ملكيته ويتصرف فيه لحد الابادة والاحراق .

3) من الممكن الجائز (لا قدر الله) ان يقع فى صفوف القائد طارق ما يقع من دهش وانحلال يقضيان على معنوية الجيش فى اثناء تلك الضائقة — التي قد لا يجد فيها منصا من الفرار والالتجاء الى السفن رغبة فى النجاة بانفسهم من كارثة العدو المدجج حتى اذا امكنتهم الفرصة بعد اعادوا الكرة من جديد ونالوا من العدو الغاشم ما تسمح لهم به شجاعتهم المألوفة ، اما الالقاء بالآف والآف المهج والارواح — فى احضانه دون ان تجد متنفسا فى الحومة فشيء يعد تهورا وخورا قد لا تستسيغهما ءاراء الاكفاء من قواد الحروب — وابطالها فى ميادين الوغى ، افلا نحتفظ بجل هذا الجيش او نصفه على الاقل كنواة تبنى على كاهلها قوة الآتي القريب خير من التغرير به الى حد الفناء النهائي ، واني لنا بتكوين ابطال مجربة من نوعه .

وهذا ما يجعلنا بعيدين عن الكنه والحقيقة ازاء هذا القيل الذي لا تساعد عليه خبرة القائد طارق بالحرب وخدعتها، وما يجب ان يتخذ فيها من احتياطات لا سيما فى النفوس الغالية التي لا تسمح ولو بابسط جندي يسقط فى صفوفها رخيصا دون ان تراق له دماء ودماء .

ومن نوع هذه الريبة ما يقال فى مدينة — طليطلة — الاندلسية التي فتحها طارق فى جملة ما فتح من مدن الفردوس المفقود — ان الفاتح طارقا عثر فيها على مائدة سليمان كما زعموا وانها طوق ذهب وطوق فضة مكللة باللؤلؤ والياقوت ، اللهم الا اذا كان الجن قد نقلها من الشرق الى الغرب ووضعها فى جنة الاندلس حيث وجدت على هذا الزعم فشيء آخر لا نكاد نومن به حتى الساعة وان صدق سواه من الآيات حسب النصوص الذي لا يقل الشك ولا يتطرق اليه النقد ، والواقع ان هذه الاسرائيليات لم يعد لها محل من الثقة فى نفس الشباب اليقظ الواعي فهي لديه من بقايا خرافة ومما يمت اليه بسبب فى عالم الافك والتضليل وما كان يحلم به قبل من اقوال مخدرة — كانقد ولا تنتقد — وسلم للفارغة تنج من العامرة انها فلسفة خائرة انطلت حيلها الصبيانية فى ازمن غابرة على بسطاء وبسطاء وكفى .

لنعد الى الخطاب القيم — الخطاب الذي برهن كذلك على قوة عارضة هذا القائد البربري المحنك والذي استطاع ببيانه السحري اقناع جيشه وتكوين منهم فرسانا وابطالا ءامنوا كل الايمان بمبدا الاستماتة والانغمار فى الساحة الى النهاية ، وطبعا كان هذا الجند الباسل يدرك مدلول ما احتواه الخطاب الحماسي العربي وهو ما هو علوا فى البيان والروعة والسمو يجعلنا نؤمن بان برابرة المغرب لذلكم العهد الاسلامي الفتي كان لهم المام واسع ومعرفة لا تقصر عن فهم امثال هذا الخطاب الحربي البليغ الذي حول فزعهم ثباتا وشجاعة ، واضطرابهم يقينا وسمودا .

ولا عجب ان تخلق منهم هذه المعرفة نخبة تستطيع مع الايام ان تفتح لنفسها آفاقاواسعة فى فن القول وبديع الكلام تمكنها من انشاء الاساليب القويمة، والتراكيب القوية المتمكنة سنة الكون فى النوع البشري وخليقة لا تلبث ان تجعلمن هذه الفئة جندايقلد قواده ويساير ابطاله فى كل ما يسمو به لاوج العز والسؤدد ، واقرب شيء يكون ميسورا لديه — ان يقوم ويقول خصوصا فى الميدان العسكري وساحات — التدريب وحومات الوغى والنزال ، وبطبيعة هذا الجو المرهب يقع تجاوب بين رؤساء الفيالق ومسيري الفرق مع القائد الاكبر طارق المغوار — علاوة على ما للمخالطة وفك قيود الانعزالية من تأثير على الالسن وانطلاقها فى اسرع زمان للتحدث باللسان الرسمي فى الدولة والجاري فى الاوساط الشعبية ، والمستعمل فى التخاطب العادي بين افرادها على ان انتشار المقرئين والمعلمين آن ذاك يعد بحق من بواعث الاندفاع لتلقي اللغة العربية الجديدة — لغة القرآن الكريم — لغة الوحي والتنزيل .

وقد اشتد شوق الاخوان البرابرة وقوى شغفهم باللسان العربي الجديد ساعة ما اخذ القائد طارق يخاطب اخوانه بلون جديد من الوان الكلام منشدا اخوانه قصيدته فى الفتح حسبما نقله الاديب المقري فى النفح عن المؤرخ الحجاري فى كتابه المسهب وعن ابن اليسع فى المغرب قائلا :

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا
عسى ان يكون الله منا قد اشترى

نفوسا واموالا واهلا بجنة
اذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا
اذا نحن ادركنا الذي كان اجدرا

ورغم ان ابن سعيد تحدث حول هذه الابيات — انها مما يكتب لمراعاة قائلها ومكانته لا لعلو طبقتها فلنهمس اليه قائلين : الا تكرر البيت الثالث مرددا معناه السامي فى التضحية لتدرك مدى نفوس الابطال وما تهدف اليه من سمو ، وترمي اليه من عز وسؤدد يحلقان بها الى عرعرة القمم ويرفرفان بها فى عالم الشهداء حيث موطن الكرامة والسعادة ؛ وفى استطاعتنا ان نلتمس العذر للمؤرخ ابن سعيد فى قولته هذه التي لا اخال الا انه مدفوع اليها بسهولة التركيب وسلاسة الالفاظ البعيدة عن الوحشية والتقعر فكانت هذه حوافز جعلته يستسهل القطعة ويضعها فى مصاف الشعر المراعى لقائله لا لروعته على اننا والحالة هذه لسنا بصدد تحليل الشطر والشطرين كي نستشرف على ما يمكن ان يتجلى فيهما من روعة ومتانة توحي بهما عبقرية الشاعر المبدع وتطلع بهما علينا شاعريته الرفيعة بل حسبنا ان نرى هذا اللون من الكلام المقفى ، والاسلوب المتزن الجديد الذي لا تفتأ تقاطيعه الشعرية ، ونبراته الغنائية ذات النوبات التفعيلية القارة تجتذب نفسية الاخ البربري ، وتحرك شوقه الحار لهذا النوع الطريف من القول الحافز بهدوئه الموسيقى الى الاصغاء بقلب واع ، ونفس تواقة للنسج على منواله الهندسي الدقيق رافعا مكانه فى مقام الكلام الى اسمى ذروة فى الوزن والتقفية .

وعلى عكس هذا الوتر نقرت هند صاحبة الحجاج اذ تقول :

وما نبالي اذا ارواحنا سلمت
بما فقدناه من مال ومن نشب

البيتين مجيبة الفتاك الثقي عن بيته :

(فان تضحكي يا هند يا رب ليلة) الى ءاخر القصة التى دار فى حوارها تلكم الكلمة الذهبية المسكتة الحمد لله الذي ابدل درهمنا بدينار .

على ان هذا العكس له مقامه الماس ببساطه الخاص الذي لا يدع مجالا لتصويب النقد اليه ، اذ الادب تواق بطبعه للنظر والمخالف بالاحرى كاقرب شيء يكون خطورا بالبال .

وعفوا اذا ما سبح القلم بين الفينة والاخرى فى خضم هذا النوع من البديع المعروف فى فن القول الرقيق بالاستطراد الذي هو فى مدلوله بمنزلة الفارس فى المعركة يبدي لمبارزه انه فر رجاء ان يكر .

وفى هذه اللحظة يتجلى الحسن بمعناه الجميل الذي يرعاه شاعر المعرة فى قصيدته الرائية

يا ساهر البرق ايقظ راقد السمر
لعل بالجزع اعوانا على السهر

الى ان يقول :

والحسن يظهر فى شيئين رونقه
بيت من الشعر او بيت من الشعر

على ان ترقية المستوى العلمي والادبي بعد تمركز العمران والاقتصاد والسياسة بالمغرب ـ لم يجدا مجالا للنمو والترعرع ، ولم يتح لهما ان يجاري الاقطار الاسلامية الاخرى فى النهضة والتجدد والاخذ باسباب الحضارة والتمدين اخذاصحيحا لخطر الخوارج النازحين اليه من الشرق لاضطهادهم من جانب حكوماته حيث انهم لم يجدوا مجالا فسيحا لترويج بدعهم وبث دعايتهم ، فى امن وامان مثل المغرب .

وقد قاسى منهم الامرين وذاق بسببهم من المحن والاهوال صنوفا والوانا حيث لعبوا دورا خطيرا فى حوادثه السياسية، واثاروا فتناوحروباكان كل من العرب والبربر فى غنى عنها ـ فبينما الايمان متذبذب والشعور الديني ءاخذ بالضعف لبعد العهد بالهداة المرشدين امثال عقبة وموسى .

الادارسة واستقرار الاسلام واللغة العربية بالمغرب

وفيما الاقوال والخلافات المذهبية رائجة ونزعات الملحدين ووساوس اهل الضلالات متسربة الى نفوس هذا الشعب البربري الضعيف الذي لا زال لم يستقم مزاجه ولم يتمخض فكره بالعقيدة الاسلامية الحق اذا بنور الادارسة يشع على ربوع المغرب العزيز ـ ويشاهد استرسال هذا الحب وتتابعه فى نفس الاخ البربري لحد القوة ينمو ويتقدم ويأخذ انشاؤه حظا من اوقات ابن الرسول ـ ادريس الاول قدس الله روحه فيقول فى بهلول بن عبد الواحد المضغرى الذي كان من خاصته المشايعين والمناصرين لخطته الاصلاحية والدينية عندما طفقت روابطه تنحل مع الدولة متزلفا لاغالبة افريقيا :

ابهلول قد حملت نفسك خطة
تبدلت منها ضلة برشاد

اضلك ابراهيم مع بعد داره
فاصبحت منقادا بغير قياد

كانك لم تسمع بمكر ابن اغلب
وقدما رمى بالكيد كل بلاد

ومن دون ما منتك نفسك خاليا
ومناك ابراهيم شوك قتاد

واذ كان المولى ادريس يوطد دعائم الاسلام بهذا البلد العزيز ، ويسعى فى لم شتات فكرة التوحيد وتركيز اسس الديمقراطية ، وبث مبادئها السامية فى ابناء المغرب العربي ـ كان من دهائه الحاد وسهره على صيانة هذه الوحدة كلما احس بمناوىء ومتمرد يعمل تحت ستارا لخفاءلانهيار الدولة ، وشل حركتها البنائية الا وسلط عليها مشرفيه البتار فاراداه لوقته.

وقد حدثنا التاريخ ان ادريس نور الله ضريحه حينما شعر من اسحاق بن محمد الاوربي ـ بالانحراف عنه وموالاة ابن الاغلب ـ بادر لقتله وبذلك صفت له الرقعة المغربية ، وتمكن سلطانه فيها .

وغير خاف ان ابراهيم بن الاغلب كان قد دس لراشد مولى الفاتح الاكبر من قتله ، وعلى الفور طير الخبر للرشيد يعرفه بخدعته ونصيحته قائلا :

الم ترني بالكيد ارديت راشدا
واني باخرى لابن ادريس راصد

تناوله عزمي على بعد داره
بمحتومة قد هياتها المكايد

فتاه اخو عك بمقتل راشد
وقد كنت فيه شاهدا وهو راقد

والعكي هذا هو ابن مقاتل العكي والى افريقية للرشيد .

كل هذا والمسلم البربري ـ يرى ويسمع من بين تفاعيل القريض واراجيز الشعر واشطار القافية الجذابة ـ ما يرهف حسه ، وبلين طبعه ويحفزه للتأثر تحت نقرات الوزن ، ودندنة الترتيلات الشعرية وقد البست حلة القوة المخبوءة وراء شاشة هذا العرض الذي كان ينطوي عليه ابن الاغلب من خداع وكيد أعربت عنهما القافية بهذا اللون من الاساليب الشعرية ، وشيء من هذا القبيل هو بطبيعته المنسجمة دقة ورقة لا يعتم ان يسمو بمعنوية المستمع ويشحذ احساسه المزدوج فيثب وثبة المتفاني الولوع للتمرن على هذا الفن الرقيق من القول ، ولا بدع ان نرى البطولة بين عشية وضحاها تتمركز فى نفسه التواقة لخوض غمار المعامع والاستماتة فى حومات المعارك وبالاخص اذا استمع الى قول ابن الرسول الانور يقول :

اليس ابونا هاشم شد ازره
واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي مما يئول الى النصب

ولكننا اهل الحفائظ والنهى
اذا طار ارواح الكماة من الرعب

هذه الابيات الحماسية القوية لها سبب ادبي خاص عليه انبنت قافيتها المطبوعة بطابع الرجولة الفياضة المتركزة على اناة الطويل المتوالي النبرات الهادئة والمشعرة فى نفس اللحظة باندفاع كل من المنشد والمستمع عن حساسية وشعور لمنازل الاحرار ؛ ذلك ان داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الاوربي (نسبة الى قبيلة اوربة البربرية التي آوت المولى ادريس اول ما وطئت قدماه هذا التراب المغربي العزيز) ومنها عاينت اربل من قبائل الخميسات اليوم . الذين كانوا الى عهد غير بعيد يشدون الرحلة الى مواسم الفاتح السنوية متقدمين بهداياهم الفاخرة لابنائه كذكرى من ذكريات مجدهم الاثيل المنحدر الى اجدادهم الاول على يد الفاتح الاكبر قدس الله روحه .

قال شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة اضعافنا فلما تقارب الجمعان ترجل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال قال : فقاتلناهم قتالا شديدا ، فكان ادريس يضرب فى هذا الجانب مرة ثم فى الجانب الآخر فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع الى رايته فوقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه فطفقت انظر اليه وادمن الالتفات نحوه وهو تحت ظلال البنود يحرض الناس ويشجعهم ، فاعجبني ما رايت من شجاعته وقوة بأسه ، فالتفت نحوي فقال ياداود ما لي اراك تديم النظر الي ؟

قلت ايها الامام انه اعجبني منك خصال لم ارها فى غيرك قال وما هي يا داوود ؟

قلت : اولها ما اراه من حسنك وجمالك ، وثبات قلبك ، ومن طلاقة وجهك ، وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك ، قال : ذلك بركة جدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا وارائة ابينا علي بن ابي طالب رضى الله عنه قلت ايها الامام — اراك تبصق بصاقا مجتمعا وانا اطلب الريق فى فمي فلا اجده — قال يا داوود ذاك لاجتماع عقلي وثبات جاشي وعدم الريق من فيك لطيش لبك ، وافتراق عقلك ولما خامرك من الرعب ، قال فقلت ايها الامام وانا ايضا اتعجب من كثرة تقلبك فى سرجك ، وقلة قرارك فى موضعك قال: ذلك مني زعم للقتال وعزم وصرامة وهو احسن فى الحرب ، فلا تظنه رعبا ، وفى هذه اللحظة انشأ يقول : اليس ابونا هاشم شد ازره الابيات — فهذا التجاوب الاسلامي المكسو حلة صدق وصفاء بين خليفة المسلمين وفرد من افراد رعيته المخلصين ليهدينا فى وضوح الى — ما لرجال الخلافة وملوك الاسلام فى عهوده المشرقة من انطلاق وانشراح ولين فى الوقوف جنبا لجنب تشخيصا لروح الديمقراطية الحق ذوبانا منهم وامتزاجا بالاوساط الشعبية دون ان يتبرموا او يانفوا او يعرفوا للاستقراطية والميز مدلولا يحول دون اتصالهم برعاياهم الاوفياء .

ولا ادل على هذا المعنى الكامل (والتاريخ يعيد نفسه) ما اصبحنا نراه اليوم فى جلالة عاهلنا المفدى البطل الاشوس مولانا محمد الخامس حفظه الله فى رحمة الصغير ، والعطف على الكبير ، ومواساة المحتاج والمعوز فى استرسال وتتابع . (الله عودك الجميل فقس ما قد مضى)

نعم لقد استفدنا من هذا العرض الذي ادلى به داوود الاوربي ان قائد المعركة وبطل الدولة ادريس عندما حان اللقاء تطهر وركع ركعتين ودعا ربه ، ثم امتطى صهوة جواده واقتحم الساحة ضاربا مرة هنا وعاونة هناك غير غافل عن جنده الباسل وهو فى وطيس المعمعة يستميت دون الانتصار الذي تستحلى الشهادة فى ساحته المقدسة وعتياره الطاهر الذي تفتح فيه العين بصدر رحب ، مخالفة لشرعة الادباء القائلين : (العثيار بكسر العين ، ولا تفتح فيه العين) فلتحيى لغة الميدان وليسم رجالها فى اوج الخلود .

عقدت سنابها عليها عثيارا ✻ لو تبتغي عنقا عليه لامكنا

فى هذا الجو القاتم ، والظرف المتزاحم الخاسم — يذهب الامام ويجيء تحت ظلال البنود ، وخطوط الرماح يحرص ويشجع — والرجل الاوربي يديم النظر اليه تباعا متعجبا من ثباته وطلاقة وجهه الشيء الذي اضطر معه الخليفة لسؤاله عن ذلك فما كان من الاوربي الا ان صارحه شارحا له دوافع استغرابه وتعجبه .

وكان هذا من المولى ادريس فتحا للباب فى وجه الرجل البربري جعله يسترسل فى الاستفهام بلسان عربي مبين عن كل ما لفت نظره من حالة الامام وقوة جاشه ، وخفة حركاته ومواصلة جولاته الحربية ميمنة وميسرة، وامام وخلف وقلبا — قلت ايها الامام : اراك تبصق بصاقا مجتمعا وانا اطلب الريق فى فمي فلا اجده ؛ قال : يا داوود ذلك لاجتماع عقلي وثبات جاشي ، وعدم الريق فى فيك لطيش لبك ، وافتراق عقلك ، ولما خامرك من الرعب .

انها لحقيقة ثابتة فى النوع البشري كلما اصيب اودهاه مشكل ، او غمرته داهية فى هذا المحيط الرهيب وفى مضيق هذا الفزع المساور يجف الريق وينقطع البصاق ان لم يغر نهائيا ويصبح الانسان الفرق متبلعا كالشرق بريقه يبحث عن جرعة ماء يدفع بها غصته ، وانحراف لهواته عن الطبيعة خورا وجبنا يمنى بهما كثير ممن لم يتلقوا دروسا فى العرامة والبطولة، ولم يساعدهم الحظ بالتشبع بمبادىء التربية الوطنية التي تستطيع ان تبرز ما كمن فى النفس من رجولة ، واستبطن فى خلاياها من نبل وقوة وايمان وثبات ضمير وصمود امام الخطوب والشدائد مكارم يمنحها الانسان بالطبع والوراثة او يكتسبها احيانا بمثاقفة اكفاء اشبعوا بروح التربية الصحيحة ، وتلقفوا مبادئها المشرقة فى معاهد التكوين الجسمي والخلقي المبنيان على تعاليم الاسلام وسننه التربوية الخالدة التي كم اعتنت بهذا المبدا الانساني ، واحاطته بمزيد الاعتبار والاكبار رغبة فى تحبيبه الى النفوس الواعية لما له من تاثير فى تقدم المجموعة الانسانية وانتصارها على المناوئين والاعداء .

وهذا ما تتابع واسترسل متسلسلا منذ حقب واجيال بعيدة حتى عصرنا الماثل حيث اصبحنا ولله الحمد وله المنة نلمسه فى غير ميدان وقد ناصرنا الثبات، وحالفنا الفوز .

ومن شجاعة هذا الاوربي الادبية الشجاعة المشربة بروح البطولة التي اوحت بها طبيعة البساط ماريء عليه من تقدم نحو الامام بسؤاله الجريء قائلا : ايها الامام وانا ايضا اتعجب من كثرة تقلبك فى سرجك ، وقلة قرارك فى موضعك ؟ قال : ذلك مني زعم للقتال ؛ وعزم وصرامة وهو احسن فى الحرب فلا تظنه رعبا ثم اردف ذلك بالابيات الآتية الذكر .

هكذا قام البربري الصريح سائلا امام الدولة ابن الرسول الاكرم دون ان يتهيبه او يخشى سلطانه وقوته هذا السؤال العظيم الذي اوحى للامام بعرض هذا الدرس الحربي الخطير الذي كان فيه توجيه وارشاد لابناء المغرب العربي الاباة الذين خلقوا مطبوعين على الشهامة والاباء ، خلقوا ليكونوا احرارا اعزاء يابون الضيم والذل وينشدون بالتوس والطبع .

لا تسقني ماء لحياة بذلة

بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ان هذا الدرس من الامام ادريس نور الله ضريحه — لمن ترسم خطاه ، واستظل ببنوده ، وطبق نقطه الحربية ، ليعدل بدروس ودروس فنية بمدرسة لها مناهجها وتصميماتها السريعة التكوين — لما للبرامج العملية من فعالية وتاثيرات عاملة فى النفوس الواعية — فمن هو يا ترى الرجل الذي كان منتظرا يهيب بنا لشرح تلك المعاني الحربية الدقيقة ووضعها مكان الهناء من النقب سوى الامام ادريس الذي وجد مجالا فسيحا من وراء هذا السؤال الصريح المنبثق عن امثال تلك الفوائد القيمة التي ارتنا شاشتها الحية الصادقة حنكة الامام وتبريزه الخاص فى فنون اللقاء وخطط الطعان والبراز علاوة على ما توفر عليه من شيم واخلاق ارق فى طيبها من عليل النسيم . ويمكننا ان نستروح من بين سطور هذه الكلمة الجمالية الصريحة — ان البربري رقيق الحس جمالي الطبع يتعمق صور الجمال ويحسها فى دقة لحد التعبير عن خلجاته من آثار تاثيرها على نفسه وذوقه ظاهرة حلوة تضعه فى صف ادباء النفس الشاعرين بجلالة الحسن وتقويمه التصويري فى الجنس البشري على الخصوص — ولا نذهب بعيدا اذا ما تايدت هذه الحقيقة ، وساندها الواقع على لسان البربري الشعري اذ يقول :

اس أوا تريت ءابو لاربع ان نمون

تعريبه : هل تريد يا صاحب الربعات ان نترافق

الشطر الثاني : اك اسيغ ف الريشن والني

تعريبه : احملك على اهداب العينين — وهو معنى رقيق جميل ينم عن حساسية فياضة بمعاني الكمال والجمال . ومن شرقات هذه الظاهرة الواعية نستنتج انه كان لسكان هذا التراب العزيز لغتهم الخاصة المطبوعة بطابع الانسجام والاسلوب الجبين — التي قد تكون انحدرت اليهم من لغة (التوارك) الصحراويين

وساعدها على التهذيب ما احتك بها من لغة الفنيقيين الذين اتصلوا بهم اتصالا اقتصاديا واجتماعيا وكان تأثير لسانهم كذلك حتى على الرومانيين واليونانيين .

واصبح السكان البرابرة قادرين فى قوة على التعبير عن حاجاتهم وكل ما تحتاج اليه ضمائرهم ويجول فى افكارهم من معان .

ولنستمع فى الحكمة بلهجة شاعرهم يقول :

ثان يزورن ف باب لعقل يرتنت

تعريبه : كل ما مر على صاحب العقل فليكتبه
الشطر الثاني : اي اسان مان أزمز اتشاطر ايتياض
تعريبه : لكي يعرف فى اي وقت يتفطن للاخريات

وفيه اشارة الى الحديث الشريف الذي يعد فى جوامع كلمات الرسول الاعظم ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

وكان الاخوان البرابرة يشتقون اسماءهم من لسانهم القومي او ما دخل فيه من الالسن معتمدين على ما توحي به لهجاته الخاصة فمثلا نجد كلمة ـ يللبخت علما من الاعلام الواقع فى اسماء احد اجداد عيسى ابن عبد العزيز بن يللبخت البربري المراكشي المترجم فى كتاب بغية الوعاة ومعناها ذو الحظ ـ والكلمة فى الحقيقة معربة عن الفارسية بهذا المعنى (الحظ)

وتلك امه كذلك المسماة (ثين لامان بنت تيفاوت)

وتيفاوت علم يحمل فى مدلوله الوضعي البربري معنى ـ الضوء ـ ميلا منهم لاختيار الكلمات الرفيعة الدالة على تفاؤلهم بالاسماء والالقاب ، ونحن نعلم ما لعبته اللغة العربية وتلعبه من ادوار فى نوعي التوليد والاشتقاق مما لا يكاد يخفى اثره فى الاسماء والاوضاع

وتوجد فى لهجات البربر ـ الفاظ ظاهرة المصدر العربي ككلمات الماء (امان) والدم والحياة والموت والاب والام والجد والعم والخال ـ وهذه كلها كلمات ضرورية فى الحياة بل هي من ابرز مقومات اللغة فى المجتمعات البشرية . ومنذ كان البرابرة وهم يستعملون هذه الالفاظ فى مخاطباتهم اليومية اذ لا توجد فى مختلف لهجاتهم كلمة يستعاض بها ذكر .

واغرب ما فى الامر ان معظم الالفاظ العربية التي اندمجت فى البربرية عريقة لا تكاد تستعمل كلفظة (اخف) التي معناها مقدم الراس والتي استمدها البربر من كلمة يافوخ العربية وهناك لفظة اخرى تؤدي نفس المعنى وهي اقلال التي يرجع اصلها الى لفظة قلة ، ويستعمل البربر الى الآن كلمة اكزيم للدلالة على الفاس الذي يسمى بالعربية القلزم ، وهذا يدلنا على ان تلك الالفاظ انتقلت الى اللسان البربري فى عهود سحيقة ايام كان استعمالها جاريا حتى بين الرعام والدهماء اي فى عصور الجاهلية .

وهكذا كان هذا التفاعل الواقع بين الامتين العربية والبربرية ـ يرمي بدواعيه للسهولة فى التأثر العميق والتلاحم فى الاخوة البربرية المغربية التي نراها كونت سرعة فى عملية التعريب لمدة قصيرة .

تميم بن المعز : نعرض ترجمة هذه الشخصية اللامعة داخل اطار المتانة المكينة والروعة المعهودة فى اطوار الادب العربي بالمغرب وبلا شك نجد فى سلك هذا الاطار الوضاء هذه الشخصية المشرقة شخصية تميم بن المعز الفاطمي ابن صاحب الديار المصرية والمغرب جميعا الذي كان من آثاره الخالدة بناء القاهرة المعزية ، ربي هذا الاديب فى احضان النعيم يدرج بين الطروس والاقلام فى جو مليء كتابا وادباء حلق فى سمائه وجعل يقول ويبدع فحبر الشعر الرقيق والجزل حتى كان فى طريقته واهدافه اشبه بعبد الله بن المعتز الذي وقف ابن الرومي دونه ، ولنستمع اليه فى هذا البيت الجدير بانه ينشد امامه :

وان افضل بيت انت قائله
بيت يقال اذا انشدته صدقا

قال :

يا دهر ما اقساك من متلون
وعلى اللبيب الحر سيفا مرهفا

انه لنموذج متوج حي فى الشاعرية يهدي الى مقدرة ابن المعز على القول ، ورسوخه فى بناء القافية ـ الرصينة واحكام افكارها المنسجمة فى شمم واباء قلما يتوفر عليهما الشعراء فى مناحيهم الشعرية ، ومذاهبهم الادبية .

وها نرى من بين تفاعيل البيت عروضا وضربا ومحيطهما حقيقة قارة يلمسها كل ابي حر عاني من الوان الدهر وتنكراته المرائر والآلام حتى كان هذا اللون

من القول في محاسبة الدهر والتشكي من ويلاته القاسية حافزا للشعراء في الشرق والغرب لرفع عقيرتهم الحزينة في تبرم وتوجع بشتى الاساليب والوان الكلام عساه يحن ويرحم عاطفا بتخفيف قسوته وتليين حدته رفقا باباة الضيم واحرار النفوس من ابناء البشرية المعذبة طول دقاته ولحظاته مما قل ان ينجو من اهواله ذو همة وشمم تابى عليه نفسه الخضوع لقوانين لا تتفق وسنن الاجتماع الانسانية ، مما يخرج في بعض الظروف بالكتاب والشعراء الذين يلمسون ما سرى من ضعف للحقائق ، وتسلط على القيم من هدم واهانة مستبطنين اعماق الخلايا لحد التفوه باللغة الجارحة ، والقول المقذع تصادما مع الدهر وما تجري به لحظاته الفاتنة بين الآونة والاخرى من خفض العالي ، واعلاء النازل وما الى هذا من تصرفات شاذة واحوال تمجها حتى الطبيعة محركة ما كمن من الم في نفس الاباة من الشعراء لغاية يتفجر معها بركان الاحساس سوء وسخطا فيرفع الراس جاهرا بقوله :

تبا لدهر قد اتانا بالعجب

ومحا فنون العلم والآداب

واني بكتاب لو انبسطت يدي

فيهم رددتهم الى الكتاب

هنا نرى هذا الشاعر يرفع عقيرته مسددا سهامه البذائية الى الدهر منتقدا عليه اتيانه العجب الغريب ومحو فنون العلم والآداب وخلقه كتابا بسطاء ليسوا في العير ولا في النفير متمنيا لو تبسط يده فيهم وتمتد سلطته عليهم لارجعهم على التوالي الى الكتاب — فهم في نظره صبية ما كان احراهم بالعود الى مقر الطفولة الاول — لينهلوا من معين اولياته التعليمية علهم يصلون في تطور وتدرج الى ما استعجلوه اليوم متربعين على كراسي الآداب والفنون ، وما هذه الفورة الثائرة منهم سوى ما يتزاحم في صدورهم من حرج ، ويجدونه في انفسهم من جدود عاثرة ، وسعود راكعة وابى شاعرنا ابو تميم الا ان ينغمر في هذا الميدان العربي فيخاطب الدهر بدوره قائلا منه بلسان حاد على المالوف عند قدماء الشعراء فيصفه بالقسوة والشدة في تلونها غير هياب ولا وجل .

ونرى له الآن لونا ءاخر يعرب في وضوح عن تقعده وثبات قلبه ورسوخ ايمانه رافعا كل ما يمكن ان تذهب النفس اليه في شعره الاول قال :

اما والذي لا يملك الامر غيره

ومن هو بالسر المكتم اعلم

لئن كان كتمان المصائب مؤلما

لاعلانها عندي اشد وآلم

وبي كل ما يبكي العيون اقله

وان كنت منه دائما ابتسم

ابيات تنم قوافيها العامرة عن رجولة قوية . وشهامة عربية نادرة تبلورت معانيها المقدسة داخل اشطارها القريبة حيث لا تستطيع الخطوب والكوارث ان تثبت امامها لما اودع فيها من سر ، وتوفرت عليه من عزة وكرامة — فرغم القساوة التي تجلت في محيطات الرجل تجده متفتح القلب ، باسم الثغر ، منطلق الوجه امام الدهر العاتي على رايهم — وعلى وتيرة ما اسلفناه عنه وما للادباء والشعراء حوله من آراء تشتد آونة وتفتر اخرى .

وان رجالا حبوا بهذه الخصائص وتوفروا على قيمها الغالية لهم اجدر قبل سواهم بالانضمام تحت لواء هذا الرعيل الاول من ابناء الانسانية الحق الذين لا نظن زمرهم تتكون في مجموعها ان لم تقل جميعها من غير الشباب الواعي او الكهولة المبكرة التي نرى اديبنا ابن المعز ، لبى فيها داعي القدر والتحق بالرفيق الاعلى وهو ابن سبع واربعين حجة سنة الله في الكون ان تجد المنايا سبيلا لانشاب اظفارها بنجباء البشرية واذكياء القلوب من الشباب الحي المشبوب القريحة مستعينة على اختطاف نفوسهم الزكية بلهيب غريزته وسيلان ذهنه ، وتوقد فطرته عوامل لها اثرها الفعال على الشباب الموهوب في عمله والخلاق بحركاته وجهاده اللذين يذللان كل الصعوبات ، ويمهدان السبل رغم عقباتها الكاداء .

فلسفة الحركة

بقلم
عبد السلام الهراس



لا تقوم الحركة بكثرتها ، وانما تكمن قيمتها فى مدى فعاليتها ومساهمتها فى الانتاج الاجتماعي ، وحظها من الاتقان والسداد والمنطق العلمي ..

والحركة لا تدل على الحياة فقط .. وانما قد تدل ايضا على الموت : الموت الاجتماعي والفكري والخلقي .

فالحركة الحية هي التي تفرغ نفسها فى تخطيطات واعية ، فتجري وفق « الفكرة » ووفق الوعي العميق، فهي اذن مأمورة ، هادئة ، مرتبطة بجهاز توجيه وضبط : يضبط سلوكها ، ويقيد جريانها ، ويوجهها نحو الغاية الموضوعة لها من اول الامر ، بالوسائل المستمدة من طبيعة تلك الغاية ، وقد تفشل هذه الحركة فى تحقيق تلك الغاية ، وانتاج ما قد حدد لها وما قد امرت به .. غير ان هذا الفشل لا يعني الخمود والعدم ، ولا يدعو الى اليأس والقنوط ، لانه فشل علمي ، ومن طبيعة هذا الفشل انه ينبه الجهاز الى ضرورة التحقق من تلك الوسائل المستخدمة ، واعادة النظر فى علاقاتها بالغاية .. فالفشل فى منطق الحركة الحية طريق النجاح .

اما الحركة الميتة فهي تنطلق وحدها ، دون ان يكون لها فائدة اجتماعية او هدف حيوي ، لانها تفتقر الى «الفكرة» التي هي روح الحركة ؛ فهي لهذا عديمة الصلة بالوعي وبالدوافع الروحية ، ولذلك كانت حركة عشوائية اعتباطية ، تسير على غير هدى ، والى غير غاية ، وقد يخيل لبعض هذه « الحركة » ان لها غاية ، ولكنها سرعان ما تتردى على ما تتوهمه انه غاية .. عندما تصل الى الفراغ .. وتصب فى « لا شيء » .. فالفشل فى منطق هذه الحركة هو العدم .

وهناك حركة هي اشبه بالثانية وان كانت ارقى منها .. حركة مصدورة .. تسير ، ولكن الى نصف غاية ، لانها مسيرة بنصف فكرة ، وان شئت قلت . انها مرتبطة بوعي سطحي لم يكلف نفسه عناء العمق والشمول فى البحث، ومن طبيعة هذا الوعي انه يشاهد انهزامات حركاته المتكررة ، غير انه لا يدري الاسباب التي تؤدي بحركاته الى الهزيمة او الى الانتاج الناقص لانه لا يملك القدرة والصبر على البحث افقيا وعموديا لتفهم تلك الاسباب وتحديد ماهيتها .. فالفشل فى منطق هذه الحركة : الحيرة والتردد ، واخيرا ، الرضى بالموجود .

اذن فالحركات ثلاث :

1) الحركة الحية التي لها الاثر الفعال فى رقي المجتمع ، لانها تنبثق عن «فكرة» وتسير بحرارة روحية فى جو يشع بالوعي والتصميم ، وشأن هذه الحركة ان تكون مبررة تشبه الى حد كبير الحركة المسرحية حيث تدفع بالعمل المسرحي نحو الامام .. نحو تعقيد الحوادث وتأزمها ثم حلها ، فهي حركة واعية تدري وظيفتها دراية تامة ، وتدرك غايتها حق الادراك ، كما ان لها اتصالا عضويا بما سبقها وبما يتبعها وبما جاورها من الحركات الاخرى .

وارتباط هذه الحركة بالفكرة الاصلية الحية الفعالة ، خلع عليها صفة المعجزة الانسانية . «فالحركة» فى الصين الشعبية لا تستمد قيمتها من انها كثيرة اولان الوزراء وزعماء الحزب الشيوعي والتلاميذ على مختلف اعمارهم يساهمون باعمال مختلفة فى تشييد الصين الجديدة ، وانما كانت لها قيمة عظمى بسبب ارتباطها «بفكرة» وباقتناع روحي بعظمة الصين ، وقدرتها على صنع مستقبل افضل .. وذلك ما جعل لهذه «الحركة» تخطيطات واعية تسير على هداها ، وغايات محددة لا تتعداها .

وبهذا نستطيع ان نفسر هذه القفزة الجبارة التي قفزتها الصين الشعبية فى مدى عشر سنوات .

فحركة الفرد الصيني كامكانيات بلاده خاضعة «للفكرة» هذه الفكرة التي خططت لها مواقع سيرها ومعالم غاياتها ، وزودتها بالوسائل المنتجة الموصلة لتلك الغايات ، وهي ايضا مدفوعة بحرارة عاطفية كانت تفقدها الصين قبل 1947 يوم ان كان الركود النفسي والفوضى الاجتماعية السيمتين المميزتين للصين (1)

2) الحركة التي تولد ميتة لانها خالية من الروح : من «الفكرة» ، فهي عديمة الجدوى اجتماعيا، وانها لا تقف عند هذا الحد فقط بل تتعداه الى الاضرار بالمجتمع .

فالحركة التي شاهدتها منذ ايام — واشاهد مثلها كل يوم فى حياتنا — وذلك عندما وقف شاب امام دكان وقفة طويلة فاغرا فاه ، ينظر الينا تارة والى المبيعات العادية تارة اخرى ، ويستمر كذلك زمنا ليس باليسير ، وبين الفينة والاخرى يتنبه الى ذبابة تشوش عليه وقفته اللذيذة !! فيحاول طردها — هذه الحركة لا يمكن لنا ان نقول عنها انها حركة بناءة ، قد ساهمت فى بناء مجتمعنا ، بل انها حركة هدامة كاسدة متشردة تولد لتموت ... ولتميت ايضا !! فاذا نحن ضممنا اليها الحركات التي نشاهدها فى مقاهينا واجتماعاتنا العادية فى الدور والشوارع ، وقومناها التقويم الاجتماعي العلمي ، لاستطعنا ان نعرف مقدرتنا فى السباق الحضاري العالمي ، وان نحدد مركزنا تحديدا خاليا من الغرور ومن نشوات الخطب البليغة الرنانة ، والقصائد الشعرية الطنانة !!!

فمجموع حركات هذا الشاب ، وحركاتي التي قمت بها او سوف اقوم بها ، وحركات غيرنا — ان مجموع ذلك ، هو الذي يصنع واقعنا وتاريخنا ؛ فان شئت ان تتعرف على نوع حركتك وحركة افراد امتك، فانظر تاريخك وواقعك الآن .. انظر الى النتيجة التي لمجموع تلك الحركات السابقة ؛ واذا اردت ايضا ان تتعرف على مستقبل امتك فاجر عملية حسابية بسيطة للحركات التي يقوم بها افراد امتك .. انك بذلك واصل الى حقيقة ما تصنع امتك وما تريد !!

3) الحركة الناقصة التي تتولد عن الفكر الناقص والوعي السطحي .. فطبيعة هذه الحركة اذن من طبيعة فكرتها ووعيها ، فهي عاجزة عن الانتاج الاجتماعي الشامل الذي يكفل للامة الحياة التقدمية المتحضرة .. نعم قد تنتج بعض هذه « الحركة » ولكنه انتاج جزئي او حسب تعبير العلامة « جب » انتاج «ذري» وليس من شان هذا الانتاج ان يقفز بالامة نحو الامام او ينقذها من الحالة المرضية التي تتخبط فيها .

ولعل السبب فى وجود الحركة المشلولة والحركة النصفية ، ميل فى نفس اصحابها الى اليسر والسهولة فالعمل الفكري المنظم الذي يدعو الى البحث فى الاسرار والاسباب والظواهر والعلاقات ، يرهق الاذهان الضعيفة التي الفت مواجهة المشاكل بكل ميوعية وعدم مبالاة ، استجابة للرغبة العميقة المخلصة فى الراحة والاستكانة ، وقد تحيط تلك الاستجابة بهالات من الشكليات والمظاهر الجوفاء ، لتغطي بذلك العجز الذي تشعر به ، ولتوهم الغير بانها تتحرك وتعمل !! غير ان النتائج الهزيلة التي تتمخض عنها اخيرا تفضح

---

(1) راجع جولة فى ربوع آسيا صفحة : 180—234

جوهرها وتعلن عن حقيقتها ، وكثيــر من هذا النوع من الحركة يصاب بجنون الامعان في الضلالة حتـــى يصطدم مع صخرة الحقيقة ، فينكسر عليها وتتطاير اجزاؤه في الفضاء .

ولهذه «الحركة» خطورتها الشديدة على الامة وكيانها ، فهي تعطل سير الامــة وتشده الى الوراء ، لانها قوة مغناطيسيــة رجعية .. وان عنادها وعــدم اعترافها بالفشل او بهزال النتائج ، ليفوت الفرصــة على الامة لاعادة النظر والتفكير في اصلاح الاخطاء .. وهكذا تستمريء هذه الحركة كؤوس الفشل المترعة حتى تقضي نحبها ، اما على يد العدم الصامت ، واما بحدوث تحول واع وايجابي في النفس .. فان اللــه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .

وان الفرد « الواعي » او الذي يشاء له غروره ان يضفي على نفســه ذلك اللقب ــ في الامة ذات الحركة التصفية ــ وبالاولى الميتة ــ ليقوم بدور مزدوج على مسرح حياة تاريخ امته ؛ فهو يقوم بدور ماساة ومهزلة في نفس الوقت : ماساة لانه يعمق مشاكل امته ويزيد في تعقيدها ، ومهزلة لانه يمثل حركات الحمقى وبعض البطولات « الدون كيشوتية » .

وقد تنطبق هذه الفكرة على كثير من البـــلاد الاسلامية ممن لم تعط قيمة « للحركة » ؛ ولم تحاول ربطها بفكرة اصلية عميقة وروح فعالة ، كموقفها من امكانياتها الطبيعية التي ما زالت تكون مصدرا هامـــا لرفاهية « العالم الحر » .

وما ذلك الا لتحلل في نفس هذا الفرد ، وعــدم وجود اي ارتباط روحي بينه وبين الزمن الذي يعيش فيه والتراب الذي يعيش فوقه (2) ، وهذا من شانه ان يعدم لدى هذا الفرد التقويم الصحيح للحركة او للامكانيات او الافكار .

وانا لنلمح لدى الرسول (ص) القيمة التي كان يعطيها للحركة من قوله (ص) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت . فالكلمــة ــ التـي لا تزيد عن كونها حركة صوتية تؤدي الى معنى ــ لهـــا قيمتها الكبيرة لدى الرسول (ص) وهي دليـــل علـى ايمان الشخص او عدم ايمانه ، فصاحبها مؤمن ان كانت بناءة فعالة وغير مؤمن ان كانت هدامة .

ولعله يجوز لنا ان نعمــم هذا في اطار الاســلام فنقول : ان الاسلام يرى ان من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يجب ان يفعل ــ ايضا ــ خيرا .. ومعنى هذا انه يجب على المسلم ان تكون حركته صوتية كانت او غير صوتية خيرة ، تقدمية ، بناءة تساهم في تدعيــم المجتمع وتقويته والمحافظة على كيانه .

---

(2) لاستاذنا مالك بن نبي راى جديد في الحضارة ، فهو يرى ان الحضارة ليست سوى هذه المعادلة : الحضارة = مركب من انسان + تراب + وقت . وسوف نكتب عن ذلك باذن الله .

الوحدة العربية وتوافر مقوماتها

بقلم : عبد السلام ادريس



لقد كثر الحديث عن القومية العربية والوحدة العربية فى السنين الاخيرة وظهر لها دعاة ومؤيدون كما تصدى لها معارضون ومتنكرون . وعلى كلتا الحالتين فهي فكرة لها مساس بتاريخ العرب من جميع نواحيه ومظاهره : الجنسية ، واللغوية ، والسياسية والاقتصادية ، والدينية . وسوف احاول ان اشرح واحلل جميع هذه المظاهر التي تدل على وحدة العرب فى الماضي ، وامكان اتحادهم فى الحاضر والمستقبل .

وفى هذا المقال الاول سابحث ـ بكيفية موجزة ـ تاريخ جنسية العرب ووحدة هذه الجنسية ، ثم اتناول بالبحث ـ فى مقالات اخرى ـ الوحدة اللغوية، والوحدة السياسية ، والوحدة الدينية والاقتصادية ان شاء الله . ولابدا الآن بالوحدة الجنسية :

الوحدة الجنسية

« 1 »

ان البحث العلمي الحديث لا يجعل الوحدة الجنسية العنصرية من المقومات الرئيسية للوحدة الوطنية والسياسية ؛ فقد توطدت هذه الوحدة فى بلاد لا يجمع بين سكانها اصل واحد وعنصر او جنس واحد . الا انه لا ينكر ان مثل هذا الركن اذا توفر فى بلاد ما كانت الوحدة التي تقوم فيها اقوى واشد تماسكا من الوحدة التي لا يتوفر فيها هذا الركن لان فى توفره تتوفر الميول والطبائع والتقاليد على اختلاف انواعها .

وهذه الوحدة متوفرة فى الوطن العربي منذ اقدم الازمنة الى الآن ؛ فمهما تختلف آراء الباحثين فى منشأ الجنس العربي قبل وجوده فى جزيرة العرب فمعظمهم متفقون على ان هذه الجزيرة ـ منذ ان صار البشر يحيون نوعا ما حياة مدنية وسياسية واجتماعية ، ويخلفون آثارهم فيها لمن بعدهم مما يمكن ان يعتبر بدء التاريخ الانساني والمدني القديم ـ كانت ماهولة بجماعات متشابهة فى الملامح والطبائع : تتكلم لغة واحدة وان تعددت لهجاتها . وان الاقوام التي سميت ـ خطا ـ بالاقوام السامية وسجلت نشاطها السياسي والحربي والاجتماعي والعمراني والفكري العظيم فى جنوب الجزيرة وشمالها ثم فى البلاد المجاورة للجزيرة اي فى بلاد العراق والشام ووادي النيل . هي من هذه الجماعات .

وتسمية الاقوام التي تنسب الى جزيرة العرب بالاقوام السامية هي تسمية ابتكرها المستشرق النمسوي شلوز سنة 1781 م استنادا الى الانساب الواردة فى سفر التكوين ، وليس لها سند من تاريخ وعلم وآثار صحيحة.

والتسمية الصحيحة التي لها سند من كل ذلك هي « الاقوام العربية » فان جزيرة العرب مقر هذه الاقوام اخذت تذكر باسم العروبة فى كتب اليونان والرومان القديمةمنذالفين وخمسمائة سنةواسم العرب الصريح اخذ يطلق على اهلها المستقرين فى داخلها او

على تخومها الشمالية جزئيا أو كليا منذ الفين وخمسمائة سنة كذلك على ما تدل عليه النقوش الاشورية ونصوص اسفار العهد القديم . واللغة التي تكلم بها سكان الجزيرة والبلاد المتاخمة لها منذ الفين وخمسمائة سنة هي اللغة العربية بقطع النظر عن تعدد اللهجات وبعد هذا قليلا او كثيرا عن اللغة العربية على ما تدل عليه نقوش واسماء واعلام الحميريين والانباط الذين برزوا في مجال الحضارة والحكم في داخل الجزيرة وخارجها قبل الميلاد المسيحي ، وامتد الى ما بعده . فاطلاق تعبير « الاقوام العربية » على سكان جزيرة العرب والبلاد المجاورة لها اصح علميا وتاريخيا وواقعيا من تعبير : « الاقوام السامية » على ما هو المتبادر لانه يمتد في سنده الى حقبة سحيقة في القدم ، ويتصل بالواقع الراهن . وقد قال بهذا باحثون عديدون منهم الدكتور جواد علي في كتابه : « تاريخ العرب قبل الاسلام » وعطية الابراشي في كتابه عن الامم السامية ولغاتها .

فلقد عقد الدكتور جواد في الجزء الاول من كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » فصلا خاصا تناول فيه موضوع السامية والساميين جاء فيه فيما جاء ان المعنيين بلغات الشرق الاولى لاحظوا وجود اوجه تشبه ظاهرة بين البابلية والاشورية والكنعانية والعبرانية والآرامية والعربية واللهجات العربية الجنوبية ، والحبشية ، والنبطية وامثالها من حيث اشتراكها وتقاربها في جذور الافعال وتجاريفها وزمني الفعل الرئيسيين : التام والناقص أو الماضي والمستقبل وفي أصول « المفردات والضمائر والاسماء الدالة على القرابة الدموية ، والاعدد ، وبعض اعضاء الجسم ، وفي تغير الحركات في وسط الكلمات الذي يحدث تغيرا في المعنى وفي التعابير التي تدل على منظمات الدولة والمجتمع والدين . فقالوا بوجود وحدة مشتركة تجمع شمل الاقوام التي تتكلم بها واطلقوا عليها اسم « الجنس السامي » وعلى اللغات التي تكلمت بها اسم « اللغات السامية » ثم اختلفوا في مهد هذا الجنس ؛ فراى فريق منهم انه جزيرة العرب ، وفريق آخر انه بابل ، وفريق ثالث انه افريقية ، وفريق رابع انه آسيا الصغرى وقد ايد الراي الاول عدد كبير او العدد الاكبر منهم امثال شبرنكر — وسايس — وشرادر — ودي كويه — وكيتك — وكارل بروكلمان —نتيجة لاستقراآت واستنتاجات اجتماعية ودينية ولغوية وتاريخية ، والمستفاد مما جاء في هذا الفصل ان الذين قالوا بالآراء الاخرى انما قالوها بالنسبة للمهد الاصلي فحسب، وان كثيرا منهم يقررون ان الجنس السامي — حسب الاصطلاح الدارج — والجنس العربي — وهو الاصطلاح الاصح — قد هاجر من مهده الاصلي الى جزيرة العرب او اطرافها والتشر فيما ثم اخذت موجاته تنساح منها الى ما يجاورها عودا على بدء ؛ بحيث يبدو من هذا ان معظم الباحثين يتفقون على ان جزيرة العرب هي مصدر الموجات التي خرجت الى الاقطار المجاورة لها وعمرتها منذ اقدم الازمنة .

وقد اشار الاستاذ عطية الابراشي الى انه على اي تقسيم لمجاميع اللغات سواء اكان مبنيا على رواية الكتاب المقدس ام البحث العلمي ، وسواء كان عدد المجاميع ثلاثا او عشرا فانه توجد جماعة بشرية واحدة كونت جنسا بشريا واحدا ، وقد اتصلت شعوبه اتصالا وثيقا ، وارتبطت بكل الروابط الطبيعية التي تجعلها — حقيقة — جنسا بشريا واحدا على مبد اي تقسيم . وهذا الجنس هو الجماعة الكبرى المعروفة باسم الجنس السامي والذي تعرف شعوبه ايضا بالشعوب السامية ، ولغاته باللغات السامية والتي تحضرت في اطراف الجزيرة العربية وفيما وراء هذه الاطراف مع بقاء نوع التفكير والخيال واحدا بما تقدم من الاسباب وبحكم الوراثة . وقد كانت نشاة جماعتها ومهدها الاول في هذه الجزيرة ومن هذا المهد الاول هاجرت مرة بعد اخرى دون انقطاع .

وخلاصة القول ، والنتيجة المنطقية له ان الجماعة السامية هي الجماعة العربية ، وان مهد الساميين الاول هو مهد هذه الجماعة العربية الاصلي وهو نجد والحجاز والعروض واليمن وما الى هذه البقاع ، ومنها كانت الهجرات السامية الاولى الى شمال الجزيرة ومشارف الشام والعراق حتى تخوم بلاد ايران ثم الى بلاد الحبشة ووادي النيل ، وان الامة العربية قديما وحديثا هي الجنس السامي باكمله ، ومنزلة جميع الوحدات السامية من العرب منزلة الشعوب المتفرعة عن امة واحدة مع دوام اتصال الفرع بالاصل واستمرار المدد من الاصل الى الفرع ؛ ومنزلة اللهجات السامية من اللغة العربية منزلة الفروع الدانية من الاصل الواحد ، وانه بمقارنة اللغات السامية مقارنة لفظية اتضح للباحثين فيها ان اصول كلماتها واحدة مشتركة فكثيرا ما نرى في بعض الكلمات الاشتراك اللفظي مع التحوير بالمعنى : بأن تكون الكلمة في اللغة العربية بمعنى وهي بلفظها

فى العبرانية او السريانية بمعنى آخر ، غير ان العلاقة بين المعنيين لا تلبث ان تبدو ببحث يسير . ويظهر ان التغيير قد جاء بناء على التطور المعروف فى معاني الكلمات . وبالمقارنة اللفظية الفنية اصبح مما لا جدال فيه مطلقا ان جميع اللغات السامية الداخلة فى مجموعة واحدة هي لهجات متقاربة جدا ترجع الى لغة واحدة ، وان جميع الشعوب التي تتكلم بها هي فروع جنس واحد يرجع الى جماعة اولى هي اصل هذه الفروع . وبمقارنة لغتين من هذه اللغات مقارنة معنويات ادبية تخرج بنتائج قيمة صادقة فى شأن العلاقات التي تربطها ببعضها فى الشؤون الدينية والصناعات العملية المكونة للحضارة والنظر العلمي والاجتماعي والنظر الفلسفي والمجهود العقلي والتاريخي فى حدود الروايات والاساطير والمجهود االعقلي الادبي المعبر عن الذوق وسمو الروح .

ولقد جاء فى كتاب « تاريخ اللغات السامية » لاسرائيل لفنستون ان اللغات السامية تتميز فى بعض احوالها عن انواع اللغات الاخرى بميزات وخصائص تجعل كلا من هذه اللغات كتلة واحدة . واهم هذه الميزات هي :

1) ان اللغات السامية تعتمد على الحروف الصامتة وحدها ولا تلتفت الى الاصول بقدر ما تلتفت الى الحروف الصامتة .

2) اغلب الكلمات السامية يرجع اشتقاقه الى اصل ذي ثلاثة احرف او حرفين .

3) تطغى على اللغات السامية ظاهرة الفعل ؛ لان اشتقاقات كلماتها هي فى الاصل «فعل» .

4) ليس فى اللغات السامية اثر لادغام كلمة فى اخرى حتى تصير الاثنتان كلمة واحدة تدل على معنى واحد مركب من كلمتين مستقلتين كما هي الحال فى غيرها .

5) ولا يزال هناك شيء من بقايا الاعراب فى اغلب اللغات السامية .

وتظهر اوجه الشبه فى اغلب اللغات السامية خاصة فى الاشياء التي كانت معروفة لهم جميعا كأعضاء الجسم ، والضمائر حيث هي متقاربة فى جميعها تقريبا — مما فيه دلالة على كون الناطقين بهذه اللغات من اصل واحد وان اجدادهم كانوا اعضاء كتلة واحدة .

ولقد كانت العوامل الطبيعية والاجتماعية مثل الجفاف وشح الماء والقحط وقلة الكلأ والمنازعات القبلية تعمل عملها فى جزيرة العرب منذ الاحقاب السحيقة فى القدم بتحفز جماعات من سكانها الى الانسياح الى الاقطار المجاورة جنوبا وشمالا ثم ظلت هذه العوامل التي هي ظاهرة طبيعية واجتماعية من ظواهر الجزيرة تعمل عملها دورا بعد دور قبل الاسلام وبعده وما تزال ؛ فيكون فى هذا التلاحق المتواصل المتخذ فى طبيعته وحوافزه ومجراه الدليل على وحدة الامل والجنس والمنشأ بين سكان الجزيرة والاقطار المجاورة لها وتكون فيه وسيلة مستمرة لتوثيق الروابط والصلات والوحدة بين القلب والاطراف ، وتجديد دم الجنسية العربية وحيويتها وطابعها مما لا يكاد يكون له مثيل فى الدنيا .

« 2 »

وهكذا اخذت بلاد الشام ساحلها وداخلها وجنوبها وشمالها وباديتها منذ اكثر من خمسين قرنا تعمر بالموجات الكبرى التي جاءت اليها من الجزيرة رأسا وبطريق العراق ، والتي عرفت باسماء الكنعانيين — والفنقيون فرع منهم — والعموريين والآراميين ، وبالموجات الصغرى التي كانت تنساح من حين الى حين — كنتيجة لهذه الموجات الكبرى — وكانت تابعة لها ، والتي لم تذكر باسم خاص فى الاسفار والآثار . وهذا قبل بروز العروبة الصريحة ، ثم بالعربيين والثموديين واللحيانيين والقيداريين والنبطيين والتدميريين والعبابيد والخبايا والدنجريين والقحطيين والبازيين فى اوائل بروز العروبة الصريحة ممن جاء ذكرهم فى النقوش والمدونات القديمة (1) وغيرهم ممن لا تعرف اسماؤهم ولكن الآثار والقياس يؤيدان انسياحهم ، ثم العلاقيين والجهنيين والبلويين

(1) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان . وتاريخ العرب قبل الاسلام لجوادعلي الاجزاء 1،2،3،4

والقضاعيين والضجاعمة والتنوخيين والكلابيين والطائيين والتغلبيين والبكريين والقاسطيين والتميميين والداريين والغساسنة والايطوريين والعامليين وغيرهم ممن وردت اسماؤهم في المدونات العربية وبقيت انسالهم الى ما بعد الاسلام والذين كانوا يملأون جنبات بلاد الشام المختلفة وذلك في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام (2) واخذ السابقون واللاحقون ينسكبون في بوتقة هذه العروبة بسهولة ويسر ، وتتوارى الشخصيات واللهجات غير الصريحة في عروبتها حتى اذا جاءت موجة الفتح الاسلامي الكبرى قويت عملية الانصهار وتكاملت حتى غدت العروبة طابع هذه البلاد الخالد .

ثم استمرت الموجات متلاحقة تقوي عملية الانصهار ، وتمد عروبة بلاد الشام بالدم والحيوية ؛ وتغذي المدن والقرى فتفسح لغيرها المكان في البادية الشامية التي تعج الآن بالقبائل العربية التي منها ما يرجع طروءه الى قرنين وثلاثة او اكثر فتتمثل في هذا صورة حية لما كان يجري عليه الامر منذ الاف السنين .

وكذلك كان شان العراق ؛ حيث اخذ يعمر منذ اكثر من خمسين قرنا بالموجات الكبرى التي كانت تنساح اليه من جزيرة العرب راسا او بطريق الشام والتي عرفت بالكلدانيين والاكاديين والعموريين والآشوريين والآراميين ، وبالكثير من الموجات الصغرى التي كانت تلحق بهذه الموجات وتندمج فيها قبل بروز العروبة الصريحة ، ثم بالتنوخيين واللخميين والشيبانيين والتغلبيين والاسديين والبكريين والنزاريين والكنديين والمذحجيين وغيرهم ممن ذكرتهم مدونات العرب وبقوا الى ما بعد الاسلام وممن لم تذكرهم والذين كانوا يملأون جنبات العراق في دور بروز العروبة الصريحة قبل الاسلام . وقد اخذت انسال الموجات العربية القديمة غير الصريحة واجيال الموجات الصريحة ينسكبون في بوتقة العروبة الصريحة بيسر وسهولة . واستمرت الموجات المتلاحقة تقوي عملية الانصهار وتمد عروبة البلاد بالدم والحيوية وتغذي المدن والقرى .... فتتمثل في هذا كذلك صورة حية لما كان يجري عليه الامر منذ الاف السنين . وكذلك كان شان وادي النيل الممتد من سواحل البحر الاحمر وبحر الهند شرقا الى صحراء السودان الغربي غربا ومن شبه جزيرة سيناء والبحر الابيض شمالا الى منطقة خط الاستواء جنوبا حيث اخذت هذهالمناطق الواسعة تعمر بالموجات التي كانت تنساح اليها من جزيرة العرب عن طريق سيناء وبرزخ السويس تارة ، وعن طريق باب المندب تارة اخرى ، وبقيت مستمرة متلاحقة حتى اذا جاءت موجة الفتح الكبرى اخذت انسال الموجات الاولى تنسكب في بوتقة العروبة الصريحة التي كانت طابع هذه الموجة فلم تمض بضعة اجيال حتى تكامل الانصهار ، وغدت العروبة طابع هذه البلاد الخالد ايضا . وقد ظلت عملية انسياح القبائل العربية متلاحقة بعد الفتح الاسلامي فكانت وسيلة مستمرة لقوة رسوخ ذلك الطابع ولتغذية المدن والقرى فينفسح المكان لغيرها في مختلف انحاء وادي النيل التي تعج الآن بالقبائل الصريحة العروبة باسمائها واصولها والتي يبلغ عددها اكثر من مليون في مصر ، وملايين عديدة في السودان والحبشة وسواحلهما . وهذا عدا الملايين العديدة التي اندمجت في حياة القرى والمدن في وادي النيل ، والتي تحتفظ بتقاليدها وعاداتها واحسابها العشائرية .

واذا كان التاريخ القديم لا يمدنا باسماء معينة للموجات العربية الكبرى التي انساحت الى وادي النيل قبل الاسلام كما فعل بالنسبة للعراق والشام فاوجد في الاذهان فراغا بالنسبة لصلة مصر بالعروبة وجزيرة العرب منذ الازمنة القديمة ؛ فمرد هذا الى طبيعة التسجيل التاريخي المصري الذي نحا نحو تعداد الاسر والدول ، وليس من شانه ان ينقض ما نقرره من كون معظم سكان مصر الاقدمين وخاصة الذين انشأوا ممالكها وحضارتها المعروفة تاريخيا هم من الجنس العربي كسكان العراق والشام لان ذلك مؤيد بالوقائع المستمرة المتلاحقة التي لم تنقطع حتى غدت حقائق تاريخية .

على ان كثيرا من الباحثين يقررون — برغم ذلك الفراغ ، واستنادا الى الدراسات الاثرية وغير الاثرية — ان معظم سكان وادي النيل هم موجات جاءت من جزيرة العرب ، وكان اكثرها ينساح من الجنوب حيث ينزل في سواحل اثوبيا فينتشر ويستقر بعضها في مختلف انحائها ، ويتجه بعضها الى الشرق والشمال فتنتشر منها جماعات في انحاء السودان ويطرق منها جماعات ارض مصر فتنتشر وتستقر فيها .

ولقد سجلت النقوش المصرية — التي ترجع الى اربعين قرنا قبل الميلاد فما بعد — قيام ملوك مصر

(2) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان . طبقات ابن سعد .

بحملات تاديبية عديدة على حدود الدلتا الشرقية فى الشمال وحدود النوبة والسودان فى الجنوب لرد عدوان القبائل التي لم تفتأ تنساح الى مصر من الجهتين ، واهتمامهم لتحصين حدودها فى سبيل ذلك ، كما سجلت تسرب قبائل عديدة من الجهتين قبل « الشاسو » واستقرارها فى القطر المصري واستعانة ملوك مصر بها فى حروبهم مما فيه الدلالة الحاسمة على عملية الانسياح من جزيرة العرب الى وادي النيل منذ الازمنة القديمة .

ولقد كانت موجة « الشاسو » او «الهكسوس» التي طرات على مصر من طريق برزخ السويس والتي لا يكاد يختلف احد فى اصلها العربي — حسب الاصطلاح الاصح — واستيلاؤها عليها واقامتها فيها كيانا وسلطانا امتد مئات السنين ، وتسرب جماعات عديدة من اورمتها الى مصر ، وغلبة لغتها وطابعها عليها ، وقيام معظم اسر الدولة الاخيرة منها خلال خمسة عشر قرنا اي من نحو سنة 2.000 الى سنة 500 ق م على ما قرره المؤرخون والاثريون الذين منهم «جيمس بريستيد» فى كتابه : «تاريخ مصر من اقدم العصور» والاثري المشهور «احمد كمال» فى كتابه «الكافي فى تاريخ مصر» وغيرهم . . . كل هذا دليل حي على ما كان يجري قبلها من تسرب الموجات العربية الى مصر من طريق الشمال حينا ومن طريق الجنوب حينا آخر .

واذا كانت السحنة المصرية والمفردات اللغوية المصرية القديمة جعلت الباحثين يرجحون انسياح عناصر افريقية سوداء الى وادي النيل منذ الازمنة القديمة ؛ فانهم يقررون فى الوقت نفسه ان سحنة الملوك والكهان والامراء والحكام والطبقات الرفيعة والصبقات الصناعية التي اكتشفت مومياؤهم وصورهم وتماثيلهم فى مختلف انحاء وادي النيل ؛ تمت الى الجنس الابيض ، ومنهم من يقرر صراحة انها تمت الى الجنس السامي — اي العروبة — وان تلك القبائل السود لم تكن اكثر من قسم من السكان الثانويين ، وكل ما فى الامر انها كانت ذات اثر فى تكوين سحنة ولون ولهجة خاصة لسكان وادي النيل نتيجة لاختلاط دمائها ولغاتها بالموجات العربية .

ويؤيد الباحثون تقريراتهم بمقارنات لغوية وفيزيولوجية وتاريخية، ولقد جاء فى كتاب: «الاثر الجليل لسكان وادي النيل » للعالم الاثري احمد نجيب ان من تامل فى التماثيل المصرية القديمة المحفوظة بدار المتحف علم يقينا ان هذه الامة من الجنس الابيض الاسيوي ، وان كثيرا من لغتهم تشابه اللغة العبرانية والآرامية ؛ كما جاء فى كتاب « تاريخ السودان العام » للدكتور حسن كمال استنادا الى البحوث والاستقراآت التي قام بها ان المصريين والسودانيين جاؤوا من بلاد العرب عن طريق الصومال وجاء فيه ايضا ان المصريين لم ينسوا فى وقت من الاوقات بلاد السودان التي كانت طريقهم الى مصر من بلاد العرب الجنوبية التي ظلت معمورة باقوام من جنسهم المتحد معهم فى العادات واللغة والقوانين ، وكل ما هنالك انه طرا على مصر عناصر زنجية امتزجت بالقادمين من تلك البلاد فاكتسبوا سحنتهم من امتزاجهم بها .

وجاء فى كتاب : «تاريخ مصر قبل الفتح العثماني» للاسكندري وسفيدج ان ارجح الآراء ان مؤسس حضارة مصر الاولى التي ترجع الى ما قبل الاسر الملكية قوم لوبيو الاصل غير ان حضارتهم ليست هي اساس مدنية المصريين الذين تكونت منهم الاسر المختلفة والذين وصلوا بمصر الى اعظم درجات الرقي وقد ثبت ان هؤلاء الاقوام ساميون قدموا الى مصر من آسيا ولا يعلم يقينا من اين دخلوا ؛ فهناك من يقول : انهم دخلوا من برزخ السويس ، وهناك من يقول انهم جاؤوا عن طريق الجنوب . وعلى كل حال فالمعلوم يقينا ان الذين نشا منهم « مينا » اول ملوك الاسرة الاولى للمملكة المصرية القديمة كانوا قبل ظهوره يقطنون الجهة الجنوبية من مصر ، وان مما يدل على ان اجدادهم من الساميين ان اقدم ما وصل اليه يغلب فيه العنصر السامي .

وجاء فى كتاب « تاريخ مصر من اقدم العصور » لبريستيد وهو من مشاهير علماء الآثار المصرية والتاريخ المصري (1) ان جماعات من الليبيين والجالا والصومال كانوا يطراون على مصر منذ اقدم الازمنة وان المعروف الى هذا ان اقواما ساميين من عرب آسيا طراوا على وادي النيل وعمموا لغتهم فيه وصبغوه بصبغتهم كما هو ظاهر من النقوش المصرية القديمة ، وان لغتهم حافظت على ساميتها مع مرور الزمن بالرغم من تغيير وتحريف باختلاط السكان ، وان تاريخ الهجرات السامية الاولى يرجع بلا مراء الى ما قبل العصور التاريخية الاولى ، وان من الثابت

(1) هذا الكتاب ترجمة الدكتور حسن كمال .

ان هذه الهجرات تكررت مرارا فى العصور التالية ، وانه اذا كان من الصعب معرفة الطريق التي سلكوها فالاقرب للذهن ان يكونوا اتوا من برزخ السويس كما فعلت العرب فى بداية الاسلام .

ولقد نبه البحاثة الشهير «جبرائيل هانوتو» فى مقدمة كتابه : «تاريخ الجنسية المصرية » التي عقدها على بحث اصل سكان مصر نبه الى بروز ميزات العنصر السامي سحن وصور ومحنطات ملوك مصر منذ اقدم ازمنة التاريخ المصري او بتعبير ادق : ملوك الدولة الاولى وما بعدها والاسلاف الذين انحدروا منهم والذين طراوا على مصر من شمالها الشرقي ومن جنوبها الشرقي وان كان اضاف الى هذا ان الدم المصري مزيج من عناصر سامية وافريقية واوربية من سكان شواطيء البحر الابيض .

ولقد قال العالم الاثري الفرنسي «ويجيل» فى كتابه «تاريخ مصر القديمة» ان الساميين هم اصل سكان مصر ، وانه كان منهم قبل الاسرة الاولى من الدولة الاولى ستون ملكا ، واستمر حكمهم أكثر من الف عام .

وقال «غوستاف جيكي» استاذ الاثريات المصرية فى كلية «نيوشاتل» فى كتابه : «تاريخ المدنية المصرية» ان سكان مصر القدماء جاؤوا اليها من جزيرة العرب قبل ستة آلاف سنة ، وان الاسر الفرعونية الاولى من هؤلاء القادمين . ويقرر العالم الاثري المشهور « احمد كمال» ان اصل اللغة المصرية واللغة العربية واحد ، وان الاختلاف الظاهر بينهما ليس الا نتيجة لاسقاط بعض الكلمات فى بلاد العرب وبقائها فى وادي النيل او العكس ، ثم نتيجة لما يعتري الكلمات من القلب والابدال ، وما يطرا على اللغات من تغير من معاملة الاجانب . ولقد وضع هذا العالم قاموسا اثبت فيه اشتراك اكثر من عشرة آلاف كلمة بين المصرية القديمة والعربية كدليل على ما قرره .

و «غوستاف لوبون» هو الآخر يقرر ان «كل جذور اللغة المصرية القديمة ومعظم قاموسها القديم لم يتركب من عناصر سامية حتى اجروميتها اي صرفها ونحوها فيما يتصل بتركيب المؤنث والمذكر والجمع ، والكلمات الدخيلة على الاصل السامي ترد الى الجنس الاسود الذي طرا على مصر فى بعض الظروف » .

ويقرر الدكتور حسن كمال ايضا ان المصريين القدماء هم من بلاد العرب الجنوبية نزلوا الى شواطيء اثيوبيا ثم تقدموا نحو الشمال حتى دخلوا بلاد مصر، وبسبب ذلك يقول الاثيوبيون : ان مصر من مستعمراتنا ، على اعتبار ان سكانها القدماء جاؤوا من ناحيتهم .

والذي يستعرض آلاف اسماء القرى والمدن والاعلام القديمة فى كتاب «الخطط التوفيقية» لعلي مبارك يلمس اللمحة العربية القديمة بين مصر القديمة والعروبة .

واذا كنت قد اهتممت لايراد اقوال الباحثين والمؤرخين والادلة على صلة مصر القديمة بالعروبة دون ان اهتم كثيرا ببلاد العراق والشام فذلك بسبب كون صلة سكان هذه البلاد مما هو مسلم به ومستقر فى الاذهان ، وقصدي من ذلك احباط مكر اعداء العروبة من شعوبيين ومستعمرين ومبشرين ومفرضين وصنائعهم الذين تتجاوز مكابرتهم كل منطق فيتجاهلون ويكابرون كل ما سجلته الآثار المصرية القديمة من محاولات النسل العربي الى مصر من شمالها وجنوبها ، ومن نجاح كثير من هذه المحاولات على شكل واسع حينا وضيق حينا آخر ، ويتجاهلون كذلك السيل العربي الصريح الذي اخذ يتدفق على مصر منذ الفتح الاسلامي الى الآن عن طريق الجنوب او الشمال دون انقطاع ، ويغمر مدنها وقراها وصحاريها والذي تفوق اعداده اعداد سكان مصر قبل الاسلام اضعافا مضاعفة ، والذي يتمثل فى كل ناحية من انحاء مصر وفى كل مظهر من مظاهر حياتها وتقاليدها ولغتها تمثلا شاملا قويا ، واستمرارا لما كان يجري قبل الاسلام ودليلا حيا دائما عليه بقصد فصل تاريخ مصر عن تاريخ العرب ليوقروا فى اذهان المصريين وهن الصلة بينهم وبين العروبة ويجعلونهم يعتبرون العرب الذين جاءوا هذه المرة تحت راية الاسلام غزاة كسائر الغزاة الذين طراوا على مصر ووطدوا حكمهم فيها بالقوة العسكرية برغم ما هنالك من فرق هو انهم اعطوا مصر دينهم ولغتهم ؛ حتى لقد جاء وقت حاربوا فيه مظاهر العروبة اشد المحاربة وحاولوا ان يجعلوا النعرة الفرعونية اصلا فى الحياة المصرية بزعم انها تطغى مع الزمن على النعرة العربية الاسلامية ، ودعوا الى نبذ اللغة الفصحى والاكتفاء بالعامية ذهابا منهم الى انها سوف تتطور حتى تبتعد عن اصلها وتغدو لغة خاصة فتنقطع بذلك الصلة بين مصر والعروبة كما يزعمون . ولكن مزاعمهم وجميع مساعيهم احبطت كلها ، والاحداث الحاضرة دليل على ذلك كما ان التاريخ القديم والحديث يدلان على ذلك . « يتبع »

الدونمة

بقلم
عبد القادر القادري



نشرت مجلة دعوة الحق الغراء في عددها الثاني من سنتها الثانية من عمرها المديد ان شاء الله ، مقالا للاستاذ عبد الكبير الفهري الفاسي سفير المغرب في تركيا وايران بعنوان : **(لا غنى لنا عن المقدسات)** ومما جاء فيه قول كاتبه الفاضل الذي راى بأم عينيه حنين الاتراك الى العودة الى مقدساتهم وتقاليدهم : **((وهل نحن في حاجة الى التمثيل بتركيا الفتاة وما آل اليه امرها بعد الانقلاب الكمالي الذي اعقبه مع توالي الايام رجوع الى مقدسات يظهر بعضها في سلوك القوم وتسارعهم الى بيوت الله كلما ناداهم منادي الفلاح ، في مساجد رائعة الجمال بالغة اقصى حدود الجلال . فاذا كان الامر استبدال امر بامر فالافضل ابقاء ما كان على ما كان ، لان التجارب حكمت بصلاحيته في كثير من الميادين ولانه صقلته المحارب ، الى ان قال : ومهما كان للجيل الحاضر في المغرب من حق فالحق الذي لا ينازعه في مشروعيته احد ، هو في مسايرة التطور مع السعي للمحافظة على الصالح من تراثنا في سائر الميادين من غير محاولة للقضاء عليه باجمعه لان القضاء على كل تراث خسران مبين))** .

فمن هم الذين قضوا على تراث تركيا المسلمة وابعدوها عن العروبة والاسلام والمسلمين ؟ **هم الدونمة** . فمن هم هؤلاء الدونمة ومن اين جاءوا الى تركيا وماذا فعلوا بها والى اين يسوقونها ؟

ذلك ما نعرضه في كلمتنا هذه عرضا موجزا لعل فيها عبرة لاولي الابصار .

يقول الدكتور يحيى الخشاب في كتاب **(العدوان الثلاثي على مصر)** :

متى بدا اليهود دورهم في تركيا ؟ كان ذلك ايام السلطان بايزيد الثاني (1461 – 1512) وكانت اسبانيا والبرتغال قد صبت اضطهادها على اليهود فيها فوفدوا على تركيا حيث رحب بهم هذا السلطان لانهم يجلبون معهم ثروات تجعل بلاده امةغنية . وقويت الجالية اليهودية في تركيا واصبحت موئلا للجاليات اليهودية في البلاد الاخرى وظهر في تركيا متنبىء يهودي اسمه (شبتاي) وادعى انه المسيح المنتظر ، وهو من سلالة يهود اسبانيا الذين ولدوا في ازمير وذهب الى بيت المقدس والتف حوله اليهود ، واعلن ان الاوان قد حان لعودة اسرائيل ، وكثر اتباعه واصبح ملكا لكل اليهود في العالم . وفي سنة 1666 عاد الى استنبول حيث اعتقل وجيىء به امام السلطان محمد خان الرابع فاسلم بعد ان ترك اتباعا له كثيرين هم المعروفون في تركيا باسم جماعة (الدونمة) اي الذين تحولوا عن اليهودية ودخلوا الاسلام وقد مات (شبتاي) بعد ذلك بعام واحد في البانيا ، وهكذا اصبح اليهود في تركيا صنفين : صنف بقي على ملته وصنف تحول عنها الى الاسلام .

والجالية اليهودية التي هاجرت الى تركيا دخل كثير منها في الاسلام لتحقيق مآربهم الخاصة والعامة واستغل هؤلاء النزعات التركية الحديثة فدخلوا بين

اعضائها لا يبغون منها سوى الغايات التي دخلوا الاسلام من اجلها وهم يضمرون اليهودية ؛ شأنهم شأن اليهود في اسبانيا الذين شغلوا الاديرة ليدنسوها وشغلوا مناصب محكمة التفتيش ليزيدوها قسوة وفسادا . . .

وظهر نفوذ اليهود واضحا ايام السلطان عبد الحميد الثاني كما يقول المغفور له شيخ الاسلام مصطفى صبري افندي ، واخذوا يسعون عنده ليسمح بهجرة الصهيونيين الى فلسطين . ويذكر ان نائب سالونيك SALONIQUE اليهودي – قره صو – قابل السلطان مندوبا عن اليهود وفاتحه برجائهم المتعلق بالهجرة الى فلسطين مع تقديم رشوة قدرها خمسون مليونا من الجنيهات الذهبية لخزينة الدولة وخمسة ملايين منها لخزانة السلطان الخاصة . ولكن السلطان عبد الحميد الذي تعرض لادهى حملة وجهت في التاريخ الى سلطان والى دولة ، رده ردا عنيفا وطرده من حضرته . وهذا النائب اليهودي – قره صو – كان واحدا من اللجنة الخماسية التي اوفدها البرلمان العثماني لتبليغ السلطان عبد الحميد قرار خلعه . وسارت عجلة الزمان وذهب عبد الحميد ورشاد وجاء وحيد الدين ، وحزب (الدونمة) في تركيا يتغلغل في المناصب ويستغل التيارات التجديدية في تركيا ويبث سمومه ، وبدأ تقسيم البلاد العربية ، وانتهى الامر بأن تستولي انجلترا على فلسطين مع الوعد المشهور بأن تكون لليهود مستقرا ودولة ، وعلى ان تاخذ انجلترا العراق وعلى ان تحتل فرنسا سوريا ، وعلى هذا النحو نجح الثالوث الفرنسي الانجليزي اليهودي في تقسيم البلاد العربية الشرقية ، وابتعدت تركيا عن الدين الاسلامي ولعب (الدونما) ويلعبون هناك دورهم كحكام بعيدين كل البعد عن الشعب التركي المسلم الوفي للمسلمين .

وقال امير البيان شكيب ارسلان رحمه الله في تعليقاته على كتاب حاضر العالم الاسلامي : ان قادة المسلمين انفسهم ادركوا حق الادراك ان تركيا الفتاة تدبر دفة سفينتها عصبة من الجحدة الغربيين غالبهم ليس من المسلمين الا اسما ، بل هم من زنادقة اليهود ففي سالونيك طائفة يقال لها (الدونمة) اي العائدون المتيبون ، اصلهم يهود من مهاجري اسبانيا الذين خرجوا منها مع عرب الاندلس ، وقد اسلموا منذ نحو اربعمائة سنة، ولكن اسلامامشوبا ببعض عقائدهم الاصلية ، ولما كانوا المثل البعيد في الحصافة والذكاء والقيام على الامور المالية بنوع خاص ، كان الدور الذي يمثلونه في الهيئة الاجتماعية التركية اعظم جدا مما يستحقه عددهم ، وكان اثرهم في حركة الانقلاب الدستوري مهما ، فكان منهم اناسا يعدون اركاننا في جمعية الاتحاد والترقي .

ويقول الكاتب الفرنسي المسيحي (بيير هيبس) في كتابه جمهورية اسرائيل العالمية ، الذي طبع ببيروت حيث رفضت المطابع الاوروبية والامريكية طبعه بسبب سيطرة الصهيونية العالمية على المطابع هناك : ان الدونما ويعني بهم اليهود الذين اسلموا ، كثيرون ؛ منهم مدحت باشا حاكم ولاية الدنوب الذي كان ابن حاخام هنغاري وهو الذي انشأ المدارس اليهودية في الشرق الادنى . وكان قادة حزب الاتحاد والترقي من الدونمة وكذلك مصطفى كمال ، والدكتور ناظم ، وفوزي ، وطلعت ، ونعوم افندي وغيرهم ... وبديهي ان يذكر الاستاذ جبران شامية في هذا المجال مصطفى كمال ليقول عنه : « كان مصطفى كمال ورفاقه الذين وضعوا اسس نهضة تركيا الحديثة مقتنعين بضرورة اللحاق بمجرى المدنية الغربية ، وبأن هذا اللحاق يقتضي التخلص من القيود الدينية ، ففرضوا العلمانية واستبقوا تكامل الوعي الشعبي الذي يتطلبها » . ويعلق الاستاذ محمد الغزالي في كتابه ظلام من الغرب على ما قاله جبران شامية فيقول : وظاهر من هذه الشهادة ان المقصود بالدين هو دين الاسلام ، فهو دين الكثرة التي تقطن الشرق العربي ، وهو الميراث الروحي والسياسي الذي تنكر له القائد التركي مصطفى كمال واقصى شرائعه كلها عن الدولة . وبذلك اسس نهضة باركتها دول الغرب وحنت عليها بعد طول خصام ، ومطلوب منا – لكي نظفر بالثمرات التي جنتها تركيا – ان نجنح الى العلمانية وان نطلق هذا الاسلام تطليقة لا عودة فيها . . . ومن الخير ان نثبت هنا زيادة على ما اثبتناه اعلاه كلمة للاستاذ اسامة عيتاني قال فيها : في الاستانة جماعة من المسلمين الاتراك اصلهم من اليهود الذين اعتنقوا الاسلام **ظاهرا** في سلانيك ، **وبقوا متمسكين بيهوديتهم** الهدامة . انهم يعرفون بالدونمة ويعتزون كثيرا باتاتورك ، ويعتقدون اعتقادا راسخا انه منهم ، وحجتهم في ذلك ان اتاتورك اسفر عن نياته ضد الاسلام حين تولى الحكم ورسخت اقدامه فيه . فقد الغى التعليم الديني واغلق عددا كبيرا من المساجد وهدم احدها في (هيبلي اغا) لان العازفين على الموسيقى وقفوا عزفهم احتراما للأذان . . !!

هؤلاء (الدونمة) يسميهم الاتراك المسلمون (الطابور الخامس) انهم يتمسكون بشعائر الدين ظاهرا في سبيل مصالحهم الخاصة بيد انهم لا يتوانون عن الدس والتهديم كلما سنحت لهم الفرصة .

ويقول الاستاذ محمد عزت دروزة في كتابه تركيا الحديثة : ان للدونمة يدا في تحويل عطلة الاسبوع من الجمعة الى الاحد ، وابدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية . وقد قال الاستاذ صالح جودت المحرر بمجلة المصور المصرية في معرض حديثه عن الرحلة التي قام بها في تركيا ونشرت في مجلة المصور في سنتنا هذه : ان سلطان الدونمة على الصحافة والجيش والتعليم والسياسة في تركيا الكمالية ما زال واضحا ملموسا رغم ان كمال اتاتورك مات منذ امد بعيد يعني سنة 1938 م وان رفيقه في الكفاح عصمت اينونو اقصي عن الحكم ...

واسم الدونما يكتب ويلفظ بالعربية هكذا : الدونمة او الدونما ، وكان الاتراك يكتبونه بالعربية (الدونمى) ويكتبونه هم اليوم بالحروف اللاتينية : Doumé افبعد هذا يقال ان الاتراك الافندية Les jeunes Turcs المسلمين هم الذين ابعدوا تركيا عن العرب والاسلام والمسلمين !

في افق التعاون الدولي

الاوراتوم

بقلم :
المهدي البرجالي



1) ما هي الاصول السياسية الدولية التي ينهض عليها بناء « الاوراتوم » ؟

2) ما هي الاسس التي تقوم عليها المنظمة من الوجهة الدستورية والتطبيقية ؟

3) ما هي الوان رد الفعل الذي كان من شأن المعاهد ان تخلقه في المحيط الغربي السياسي والاقتصادي ؟

4) ما صلة المشروع بمصالحنا من حيث وجودنا كوحدة دولية متميزة وكجزء من المركب الافريقي الشمالي الذي يعبر عنه الاتجاه الى توحيد المغرب العربي ؟

من ابرز الظواهر التي يتميز بها تاريخ غربي اوربا لفترة ما بعد الحرب ، لزوع شعوبها وحكوماتها الى تحقيق « حالات » من التعاون الايجابي فيما بينها ، تجسم بشكل متزايد وملحوظ في كثير من الصور والمظاهر .

وان اخص ظواهر هذا التعاون بالضبط هو ذلك الذي يبدو انه ناشيء عن ميل عديد من دول القاره ــ وخاصة القطاع الغربي منها ــ الى اصطناع الوان من الترابط الوثيق بين مصالحها واهدافها الاقتصادية على الاخص بالقدر الذي يتيح لها جميعا اكبر قسط من فرص العمل الاقتصادي والسياسي باستقلال عن ديناميت التسيير الامريكي المباشر . فقد كانت معاهدة بروكسيل شيئا آخر غير هذا الذي يكاد ان يجمع على صعيد التعاون الذري السلمي كلا من فرنسا وايطاليا وغربي المانيا ودول البينيلوكس (هولاندا ، بلجيكا ، لوكسامبورج) . وقد كانت كل من المعاهدتين السالفتين ذات صبغة دفاعية وتعاقدية بين دول غربي اوربا من جانب ، وبين الولايات المتحدة الامريكية من جانب آخر . اما الاتجاهات الحديثة فهي في شكلها المظهري ــ على الاقل ــ ذات طابع اوربي بارز ، تتجلى فيه الى حد بعيد الروح الاقليمية الصرفة التي كانت من بين ما اوحى بالتضامن بين فرنسا والمملكة المتحدة مثلا في حملة السويس (30 اكتوبر 56) .

وواضح ان علة هذه المظاهرة الاتجاهية تتأصل ــ في عمومها ــ من حقائق الوضع المنهار الذي خلفه العراك العالمي الثاني في منطقة الغرب الاوربي من جهة ، والاحوال السياسية والاقتصادية الدولية المعقدة التي انبثقت عن هذا الوضع من جهة اخرى (بروز العامل السفياتي الكاسح وتبلور التدخل الامريكي الدولي بالاضافة الى نمو القومية الافريقية والاسيوية الصاعدة) . الا ان عوامل اخرى اكثر محدودية وخصوصية قد جعلت من السياسة الفرنسية اكبر مجال لانبثاق الدعوة الى هذه الاتجاهات وتجسمها في

شكلها الواقعي القار . لقد كانت باريز ـ في الواقع ـ لاهداف تمت بكبير صلة الى المصالح الفرنسية الصرفة ـ اهم مراكز انطلاق هذه الاشكال الجديدة من الاتحاد الاقتصادي الذي تجسم من قبل في معاهدة اتحاد صناعات الصلب والفولاذ (1955) ثم في مشاريع اخرى اوسع مدى كمشروع السوق المشتركة ، ومنطقة التبادل الاوربي الحر ، ومشروع توحيد الصناعات الذرية الذي يعرف دوليا باسم « الاوراتوم » ، وهذه المنظمة الاخيرة من احدث هذه الهيئات عهدا ، وهي تهدف الى تنظيم البحث والانتاج الذري لاتحاد الاقطار التي تندرج تحت سلطتها . وعلى هذا الاساس فان مقتضيات المشروع تنص على ان للفنيين الذين ستسند اليهم ادارته صلاحية تسيير وتوجيه جميع جوانب البرنامج الذري للبلاد الستة المنخرطة (فرنسا ، ايطاليا ، المانيا ، بلاد البينيلوكس) .

ويتركز محور المعاهدة ـ فيما يتصل بالمواد ـ في الاورانيوم (1) ذلك الخام الثمين الذي يعتبر لحد الساعة اساسا رئيسيا في الانتاج الذري . وتنص المعاهدة على ان الوكالة المنبثقة عن الاتحاد هي التي لها حق ابتياع الخامات الاورانيومية وغيرها وتوزيعها على اساس مبدء التعادل في الاستفادة من مصادر الاتحاد (الفصل 52) وكذا الشان فيما يتصل بالفحم الطبعي الذي يعد هو الآخر من اهم مصادر توليد الطاقة في الصناعات الحديثة .

وعلاوة على ذلك فان المشروع يشير في الفصل السادس والعشرين بعد المائة الى انشاء لجنة ذرية ، قوامها خمسة اعضاء من جنسيات مختلفة . كما ينص فصل آخر (108) على تكوين مجلس يمثل الدول الستة ، وتكون رسالته القيام بمراقبة عامة على سير الشؤون العمومية للمنظمة المقترحة ، لكي يتوفر بذلك وجود جو من الاتساق والتناغم بين دواليب الجهاز الذي يحرك ديناميتها ويضبط فاعلياتها .

ذلك ـ على وجه العموم ـ التخطيط الاساسي لهيكل المنظمة الذرية الاوربية ـ كما يبدو في اصوله المقترحة ـ بما تتسم به ـ في جزئياتها وتشعباتها ـ من تعقد ملموس يفسره كثرة عدد المنخرطين وتنوع مشاربهم وتضارب مصالحهم واختلاف وضعياتهم وتباين حظوظهم في الثراء والتقدم .

على ان المنظمة ـ بالتناقض لمدلولها الاسمي ـ لا تنحد مشمولاتها في المواد الانتاجية الذرية الصرفة ، انها تجاوز ذلك لتعم كل ما له ارتباط بمشكلة الطاقة في مصادرها المختلفة سواء كانت بترولية او فحمية او كهربائية ، فهي ـ مثلا ـ قد تتدخل في توزيع المواد الزيتية وتصفيتها ، كما انها قد تسهم في توزيع الطاقة الكهربائية ، خاصة وان هذه الطاقة قد تأخذ بالتدريج سبيلا تصبح فيه منابعها ذات طبيعة نووية.

وكان من شان هذه السعة في الاختصاص التي تفترض للمشروع ان اثار كثيرا من مشاعر الحذر والحيطة عند اصحاب الاحتكارات البترولية الكبرى ، حيث بدا انه من الممكن ان يصبح عاملا في خلق جو من المنافسة والمزاحمة تسيء الى مصالح هذه الاحتكارات

على ان ما اثاره المشروع من عواطف جدلية في متنوع الاوساط السياسية والاقتصادية الغربية كان اكثر وابعد مدى ، وخاصة في فرنسا حيث عنفت الاعتراضات في اواسط السنة الموالية ، لا ضد الوضع التركيبي المقترح للهيئة بل ايضا ضد المعطيات الاولى التي ينهض عليها بناؤها . وتنصب اهم مؤاخذات المعارضين الفرنسيين على مبدا استغلال الخامات في الدول المنخرطة استغلالا مشتركا ومتساويا ، ذلك ان تفاوت نسبة الثراء المعدني بين الدول الاعضاء ، من شانه ان يثير كثيرا من اوجه الخلاف في طريقة ونسبة الاستفادة من هذا الثراء على اسس عادلة ومتكاملة .

فالاورانيوم مثلا ، هذه المادة الثمينة المرموقة تتوفر بكثرة في مكامن الاراضي التي تعود لمشمولات الحكم الفرنسي ، ولكنها لا توجد بنفس الكثرة او تكاد تنعدم لدى الاغلبية الكبرى من الشركاء الآخرين . اما بلجيكا التي تمتلك مناجم عدة من هذه المادة في مناطق نفوذها بالكونغو البلجيكي فانها هي الاخرى ليس لها ما تجدي به اعضاء المعاهدة في هذا المجال ،

(1) ان قابلية ذرة الاورانيوم للانشطار هي ما يمكن ان يعلل كل هذا الاعتبار الذي ينعم به في محيط الصناعة الذرية .

حيث ان الولايات المتحدة الامريكية كانت قد ابتاعت منها سابقا اكثر ما تنتجه هذه المناجم . ويعني كل هذا ان فرنسا بعضويتها فى الهيئة ستكون فى موقف الذي يفيد دون ان يستفيد ، وهذا ما يطعن ـ طبقا لما يراه المعارضون ـ فى جانب هو من اهم الجوانب التي ينهض عليها مبدأ التشارك .

وهناك من وجوه الاعتراض الاخرى ـ كالذي يتصل مثلا باقطار ما وراء البحار ـ ما قد كان من شأنه ان يثير لدى الراي العام فى البلاد المعنية اعاصير شديدة من الجدل المتشعب والنقاش الحاد . بل ان بعض المعقبين الفرنسيين لم يتورع عن اقحام (غرافيت) مادغشقر ، وبترول صحاري المغرب العربي فى مجال التدليل على مدى ما تتوفر عليه فرنسا من مقدرات طاقية هائلة ليس للشركاء الآخرين لها من معادل او نظير !

*

ولكن انصار المشروع ـ وفيهم رئيس الحكومة الاشتراكية الفرنسية السابق السيد مولي ـ لم يدخروا جهدا ـ هم الآخرون ـ الا استثمروه فى الدفاع عن وجهة النظر المحبذة ، ويرى «الاوراتوميون» ان فرنسا ـ وان كانت اكثر تفوقا على شركائها فى المعاهدة من حيث امتلاك مصادر المستخرجات الاورانيومية ، فانها من جانب آخر اعجز من ان تستطيع استغلالها لصالح نموها الصناعي وانطلاقها التجاري العالمي ، وذلك بالنظر الى ما يستوجبه كل ذلك من ضرورة توفر رؤوس الاموال الضخمة والخبرة الفنية الواسعة المدى مما لا تتيسر اسبابه وتتوافر فرصه الا عن طريق التعاون الدولي المنظم المنهجي .
وقد كان من دلائلهم على ذلك : مشروع المعمل الذري لعزل النظائر المشعة (Isotopes) تلك المؤسسة المقترحة التي قد تبلغ تكاليف انشائها وتزويدها بالامكانيات التجهيزية الضرورية لوضعها على قدم العمل نحو الالف مليار من الفرنكات ؛ وهذا ما تنوء به طبعا الخزينة الفرنسية التي لا تعدو مقدراتها الاجمالية 5.000 مليار من الفرنك .

على ان كل هذه المعركة الجدلية الصاخبة التي خلقتها الدعوة الى الاوراتوم لم يكن من شأنها ـ حسب ما يمكن استخلاصه من سير الوقائع والاحداث وتطور الماجريات ـ ان تحدد مصير هذا المشروع الى وجهته السلبية العدمية التي كان يترقبها له خصومه السياسيون والاقتصاديون . لقد انار ذلك من قبل مشروع الجيش الاوربي ومعاهدة الفحم والصلب وغيرهما من المشاريع والتصميمات العسكرية والاقتصادية ذات الصبغة التشاركية الاتحادية ؛ ومع ذلك فان بعضها على الاقل يبدو وقد اتخذ طريقه الى التطبيق .

*

ان مشروع معاهدة الاوراتوم لم يكن فى جوهر الامر الا امتدادا فقط من امتدادات هذا التيار التعاوني ذي الابعاد السياسية والاقتصادية ، ذلك الذي يجتاح تفكير كثير من المسؤولين فى بعض اقطار غربي الاطلسي وشمال المتوسط ، وتنبثق عنه كثير من صور العلاقات الدولية فى هذه المنطقة .

والواقع انه ـ كغيره من اشكال التشارك والتكافل ـ يمكن ان يكون اساسا لشرح كثير من التيارات المختفية التي تصطرع فى محيط السياسة الغربية فيما يرتبط بفاعلية الاشعاع الاقتصادي الاوربي للخارج ، وعلى الاخص ما يتصل من ذلك بمستقبل التعاطي التجاري مع القوات السياسية وبالتالي الاقتصادية النامية فى آفاق آسيا وافريقيا (تحقيق الاستغناء الجزئي ـ على الاقل ـ عن بعض الاتصالات الاقتصادية الخارجية ، كتلك التي تتم عن طريق القناة المؤممة فى السويس) هذا بالاضافة الى ان ما تنعم به الولايات المتحدة الامريكية من بسطة فى الثراء والطاقة ـ عن طريق التوسع الصناعي والتجاري ـ يتلع نفوس كثير من المسيرين الغربيين بالهواجس حول النوايا التوسعية الامريكية ـ على الاقل فى المجال الاقتصادي الصرف ـ وخاصة فى « مناطق النفوذ » الغربي بالقارة الافريقية على الاخص وآسيا ايضا .

وبعد : فان هذه الاتجاهات التعاونية التي تتحكم فى توجيه كثير من التيارات الدولية فى منطقة النصف الغربي من اوربا ـ والتي يعتبر مشروع الاوراتوم احد مظاهرها الاساسية ـ من شأنها ان تثير فى ضميرنا الواعي كثيرا من الفكر المرتبطة بحقائق الوضع الذي نحيا فى محيطه كامة نامية اولا ، وكجزء من المركب الافريقي الشمالي ثانيا .

ان ضرورات الحياة المعاصرة المعقدة ، سواء فى مظهرها الاقليمي او الدولي تجعل من بوادر التكافل والتعاون شرطا اساسيا لضمان استمرار الوجود الفعال الخلاق ، وتلك من البديهيات التي تنطلق عنها مثل هذه المشاريع الضخمة التي توحد على صعيد العمل المنتج والمشترك كثيرا من دول الغرب ، وتلك بالطبع نفس المسلمات التي اثارت امام رجال حزب الاستقلال والدستور الجديد وقادة جبهة التحرير الوطني الجزائري سبيل العمل على تحقيق الشكل التوحيدي لوجود المغرب الدولي بكل ما يقود اليه ذلك من تركيز للشخصية العربية المغربية ، وتعزيز لديناميتها الدولية الفعالة .

ان ينابيع الطاقة والثراء فى اقاليمنا الصحراوية توجد فى الوضع الراهن موضوع كثير من المساومات الدولية السافرة والمقنعة ، وان مجالات هذه المناطق الشاسعة تعد هي الاخرى لان تضحى حقل انجاز ومرتكز تحقيق لكثير من التخطيطات والتصاميم الدولية ذات الاساسات الاقتصادية والعسكرية ،

وان بروز العامل المغربي العربي الموحد من شأنه ان يعين على تعديل هذه التقديرات المغلوطة التي تنهض عليها بعض جوانب تلك التصاميم ، وذلك كمشروع الاوراتوم مثلا ، حيث يفترض ان تغدو مناطقنا الصحراوية مصدر استمداد للطاقة البترولية لفائدة المعاهدة المقترحة ، وحيث يقدر ايضا ان تصبح موطىء قدم امثل لاجراء الاختبارات الضرورية لفاعلية الطاقة النووية الاشعاعية وذلك لغير صالح السكان الاصلاء .

ان ارادتنا الموحدة المتبلورة فى اتحادنا المغربي العربي المرتقب ستعرف كيف تواجه المعضلات الدقيقة المنبثقة عن هذه الاشكال الجديدة من التعاون الاقتصادي الدولي ، كما لا يمكن ان تنكل عن تحقيق مشاريع تعاون اخرى بين الوحدات التي يتشكل منها هيكل الاتحاد ، وذلك مما لا يتنافى بالطبع ومصالح شعوب المتوسط الاقتصادية بما فى ذلك دول الضفة الشمالية ايضا ، وخاصة تلك التي تضمها معاهدة الاوراتوم وما فى بابها .

لا مبالاة القراء

وليست تموت المشاريع الادبية التي من هذا النوع لاسباب مادية دائما . فان المادة قوام المجلة من غير شك ، ولكن لا مبالاة القراء وسكوتهم ابعد اثرا فى نفوس الساهرين على المشروع واشد وقعا واوهن للعزائم من المشاغل المادية ؛ اذ لا يتواصل النشاط ولا يثبت الجهد الا اذا شعر الكاتب بانه لا يصيح فى واد ، ولا يخاطب حجارة صماء ، ولا يقرع حديدا باردا ، وانما يجلب بما يكتبه ويذهب اليه من صنوف الآراء اهتمام القراء ، ويحرك خيالهم ويثير خواطرهم ويهيج وجدانهم ويحملهم على التجاوب معه او الرد عليه .

عن مجلة (الفكر) التونسية

مع حكيم القردة

بقلم: عبد القادر السميحي



وقعت للكاتب صورة فوتوغرافية لقرد يضرب على الآلة الكاتبة . !
وطرح على نفسه هذا السؤال :
لو قدر فعلا لهذا القرد ان يكتب . . . فماذا عساه ان يكتب ؟؟
وكان جواب الكاتب عن سؤاله هو هذا المقال .

فيم يفكر هذا القرد العبقري العجوز ؟ وما عساه يكتب الآن من ضروب الحكمة ؟

لنلق نظرة فضول على محتويات الورقة المكتوبة.

يا لله ! هذه ليست ورقة واحدة ، بل عدة وثائق علمية ، تحمل كل منها رمزا غامضا ، ورقما رياضيا .

انظر هذه ورقة تحمل عنوان **(خطاب مفتوح الى السيد ((همرشولد)) استهله القرد العجوز بقوله) :**

سيدي الامين العام لهيئة الامم المتحدة .

ما استطيع القول به منذ البدء ، هو ان تغفروا لي بساطتي الفطرية ، حين اعتقدت في سذاجة ، ان بمقدوري ان اسهم بحظ متواضع في الراي ، علنه يقودنا في مسالك من نور ، لو وجد التأييد الادبي ، والتزكية من اعضاء هذا المجلس الموقر .

وانه ،وان لم تجر العادة بان يدلي قرد مثلي برايه امام قادة الراي من بني الانسان ، الا انني اعلم انكم كرماء ، واجدر بحمل صفة الانسانية ، وان يكن هناك من سوف يستقبل كلماتي بالسخرية ، قائلا : حسن ! لم يبق في الحساب ، سوى ان نستمع للقردة الخاسئة وهي تحشر انفها في شيء لم تخلق له ، فتدلي برايها في مشاكلنا الانسانية ، التي حارت العقول المفكرة نفسها في ايجاد حل لها ، منذ نزول ابينا آدم من الجنة ! .

وسيرتفع اكثرمن صوت يقول : ايتونا بهذا القرد الشجاع ، ليسلينا بحركاته التهريجية فنحن في حاجة الى الترويح عن النفس ، بعد ان ظللنا مدة ساعتين مسجونين داخل مقاعدنا في جلسة الصباح ، متكلفين الانتباه ، ومتابعة كل حرف مما يثار من المناوشات التقليدية ، بين مندوبي امريكا وروسيا والمصحوبة عادة بالتمثيل الهزلي ، من ضرب المائدة بقبضة اليد المجمعة ، وارسال الانذارات المرعبة بالويل والثبور ، وان بلد احد الجانبين لا يمكن ان يظل مكتوف الايدي ، ازاء اعمال البلد الآخر . صورة مملة تمثل دائما تحت سقف هذه القاعة ، وكلام يعاد القول فيه .

.. ولكني اعلم علم اليقين ، ان صوتا آخر سيرتفع من بين الجمع العظيم ، صوتا ملائكيا ، مؤيدا بقوة الحق ، والعدل ، والشرف ، والنبل ، لانسان

تعمر الحكمة قلبه ، انه سيلقي في هدوء كلمات محببة هكذا :

حينما تضع الاقدار احدنا في محنة محققة ، كأن يكون غريقا تتقاذفه الامواج العاتية ، وتطوح به هنا ، وهناك ، ولا شيء امامه سوى الزرقة المتصلة بالبحر والسماء ، وفجأة يقترب منه زورق مبيض الشراع ، يقوده هذا الاخ من بني القردة ، الذي تسخرون منه اليوم ، يظهر في طبيعته الفطرية السليمة ، جذلان فرحا بانه سينقذك من محنتك ، ثم يسارع الى مد يد العون ليوصلك الى داخل الزورق ، وهو يقفز ، ويهمهم فرحا بانه فعل شيئا طيبا ادركه بشعوره الفطري ؛ هل ترفض ايها الانسان المشرف على الغرق ان تسلمه يدك لينقذك ، لانه ليس بشرا مثلنا ؟

انني اهيب بضمائركم الحية ، واخاطب فيكم ذلك الجانب من طبيعة الانسانية ان تفسحوا صدوركم للترحيب بكلمات اخينا بالمعنى الاعم : حكيم القرود ، فنحن الساعة في حاجة الى من يهزنا من جذورنا ، الى من يفضح حقيقتنا الوضيعة ، وسرائرنا الخفية ، ومواضعاتنا الاجتماعية ، الحافلة بضروب النفاق ، والرياء ، والبغض ، نحن في حاجة الى عاصفة هوجاء تقتلع الجذور ، وتجرف كل شيء ، عاصفة تكشف القناع عن وجوهنا المموهة بالمكياج المصطنع ، الذي نخفي وراءه قبحنا ، فالاعتراف بالحق فضيلة ، وشجاعة ، ونبل ، وخير ، وصلاح ...

لقد كنا الى عهد قريب نقيم مباهج الزينة واقواس النصر ، وننثر الزهور ، ونحرق البخور ، فرحا باعلان الهدنة ، واستقبال فجر وليد من السلام وهناءات الايام ، تتلوها انطلاقة من خصائصنا الروحية تغير من مجرى حياتنا ، واذ ذاك تطلع علينا هيئة الامم بميثاقها الذي يبشر بعالم افضل تكفل فيه السعادة ، والسلام ، والعيش الرغيد ، والكرامة ، والحرية ، والمساواة ... وتمر الايام ، ونحن ننتظر الوعود ، ونعود نقارن بين ما ورد في الميثاق وبين واقع حياتنا ، فنشعر بان الارض تميد تحت اقدامنا ... انني اشعر الآن بتلهف لان اهتف مع (جوته) العظيم : احس بصدري يتمزق وجميع جوارحي قد ثارت متشوقة الى شعور جديد واحساسات جديدة لا عهد لي بمثلها » .

وها انا اتشوق الى سماع اي صوت ، غير صوت الانسان المفكر . الا سحقا للتفكير المريض « فالانسان المفكر حيوان سافل ! » ليردد الجمع العظيم هنا مع حكيم المعرة [1] الذي وهب نعمة الحقيقة والشجاعة لنردد معه قوله : « انا وغد » « انا وغد !! » .

ثم يجلس هذا الانسان الذي دافع عن حق القرود ، بين كثير من علامات التقدير والتكريم .

(وبعد هذه المقدمة يصل خطاب حكيمنا القرد الى الهدف من رسالته ، ويجمله فيما يلي) :

1) ــ توجه نظر سيادة الامين العام ، الى الاحداث الجارية في مضيق «فرموزة» والتي تشكل خطرا على السلام العالمي، ولتفادي حدوث الكارثة ، تدعى الجمعية العامة للانعقاد ، لجلسة استثنائية ، غير عادية ، وعلى مستوى عال ، للاقتراع على المشروع الذي اتقدم به اليوم ، باسم امة القرود التي لي شرف التحدث باسمها .

2) ــ للحد من التهديدات المقلقة المتوالية ، التي دأب على الادلاء بها كل من «المستر دالاس» والرفيق « خروتشيف » عن استعمال الاسلحة الذرية ، والهيدروجينية عند اللزوم في كل مناسبة ، وبلا مناسبة ايضا ، اذا هم دخلوا ، او خرجوا من مجلس الرياسة ، واذا هم صعدوا ، او نزلوا من الطائرة ...

للاسباب السالفة اطلب الاقتراع على مشروع القرار التالي :

1) الموافقة على اقامة مباراة داخل قاعة مجلس هيئة الامم المتحدة (على ان يخلى وسط القاعة من المقاعد) بين كل من «المستر دالس» والرفيق «خروتشيف» تستغرق من الزمن خمس ساعات كاملة ، يكون العرض فيها على الوجه التالي :

2) تفتح المباراة بالعاب بهلوانية ، من صميم الالعاب الوطنية في كل من بلديهما ، فيخرج « المستر دالس » على هيئة رعاة البقر ، ممتطيا ثورا ، متوحشا جامحا ، يقفز به ، وينظر هنا ، وهناك ، وهو اثناء ذلك يحاول الصمود ، الى ان يوقعه على الارض .

---

(1) ابو العلاء المعري

يتبع ذلك دخول «خروتشيف» بالملابس التقليدية القيصرية ، قبعة عالية من الوبر ، وشنب عريض مفتول ، وسروال فضفاض وخنجر معلق في الحزام ، ويقود دبا روسيا ابيض اللون ، وتكون هذه مفاجأة للحاضرين من الرفيق « خروتشيف » .

وبانتهاء هذا العرض الحبي ، تبدا المعارك العنيفة المثيرة ، الدامية ، وتستهل اولا بالسباب ، وبتركز خاصة حول القمر الصناعي ، فيتبجح «خروتشيف» بان الكلبة الروسية «لايكا» استطاعت ان تمر فوق قبة البيت الابيض ، مقر رئيس الولايات المتحدة وكذلك فوق ناطحات السحاب .

فيجيبه «دالس» نحن كامريكيين تمنعنا تقاليدنا العريقة الموروثة ، ويمنعنا الحياء ان نرسل الى الجو قمرا ، او قويمرا ، او على الاصح لعبة الاطفال في عيد « بابا نويل » ، التي يجدونها في الصباح ، تحت وساداتهم ، ولكن انتظروا ما سوف نفاجئكم به : فيطير من رؤوسكم الشعر (معذرة لا اعنيك انت بالذات ، لان شعرك طار منذ زمن بعيد) فسوف لا نرسل كلبة عجفاء مثل «لايكا» وانما سيحمل قمرنا اضخم فيل شهدته الادغال في تاريخ وجودها وسوف يمر فوق رؤوسكم ، ويخرج لكم خرطومه ، لتموتوا بغيظكم ، والايام بيننا . (تنبيه : ليكن في علم الجميع ان هذه المناوشات الكلامية ستكون آخر فرصة لهما في الكلام ، كما سيتبين ذلك للعيان فيما بعد) .

3) يبتديء الشوط الاول بالملاكمة ، على ارض مدهونة بالصابون ، ويكون الحكم فيها الممثل الهزلي المشهور «شارلي شابلين» بعصاه ، وملابسه التقليدية وتستغرق من الزمن ساعة واحدة .

4) الشوط الثاني ، مصارعة يابانية حرة ، يندفع فيها «خروتشيف» نحو «دالس» ويلوي عنقه ويديه ، ويلقيه في عنف على الارض .. يقوم «دالس» بعد جهد وهو يزفر ويلهث ، ويتقدم الى «خروتشيف» متظاهرا بالبراءة ، وبانه يود ان يشد على يديه بتحيات المودة كاعجاب منه ببراعةخفة حركاته «الاستراتيجية» وفجاة يقبض في عنف على يد «خروتشيف» ويلقيه فوق حبال حلقة المباراة ، فيسقط على صلعته . وهنا ترتفع اصوات الاستنكار من اعضاء الدول الشرقية الشيوعية ، ويصيح الرفيق «شوان لاي» محتجا باللغة الصينية : هذه همجية . ويعلو هذه الاصوات ، اصوات اعلى منها ، هي اصوات الدول الغربية وهي تصيح : «برابو» «دالس» «برابو» .

5) الشوط الثالث يكون بالمبارزة التي تدعى «رد الفعل بالمطاوعة» يتقدم فيها «خروتشيف» وينزع نظارة «دالس» ويسحقها تحت قدميه ، لكي يتخبط في العمايه ، ثم يضغط بيديه على منافذ التنفس من انف ، وفم ، وهنا للمرة الثانية ترتفع اصوات الاستهجان ، وتكون هذه المرة من الجانب الامريكي يقول احدهم :

دعه ايها الخنزير ، والا سحقنا بلادكم في الحال بالاسلحة السرية .

فياتيه الرد في الحال من الجانب الروسي : لن ندع لكم الفرصة ايها المغفلون لتسبقونا الى ما نود ان نفعله بكم .

وهنا يرفع الحكم عصاه ، ويصفر ، لاعادة النظام ثم يعلن عن استراحة مدتها خمس دقائق من الزمن ، يتقدم فيها الاعضاء الامريكيون لاسعاف بطلهم بجرعة من شراب «الكوكاكولا» و«الاوبالتين» وحبوب الفيتامينات (د. ج. س. ا.) وحبة من حبوب «الذرة من اجل السلام» ! وقطعة من اللبان لحفظ الاسنان سالمة من اخطار الضرب .

وهكذا يفعل اعضاء الوفد الروسي : يناولون بطلهم زجاجة «الفودكا» وقطعة من «الكافيار» وبيض السمك المجفف ، ويروحون على صلعته ، ويدلكونها بماء «الفودكا» لاعادة النشاط الى خلايا المخ .

يلاحظ الامريكيون هذه العملية ، فيتداولون بينهم ، وفجاة يتسلل واحد منهم خارج الصفوف ، ويعود بزجاجة من «الكونياك» ويصب قطرات منها على راس «دالس» .

يصفر الحكم ، فيتقدم «دالس» بثبات ، ويراوغ خصمه الى ان تسنح له الفرصة ، فيناوله ضربة متمكنة تحت بطنه على طريقة (آل كابوني) رئيس عصابة «شيكاغو» .

6) الشوط الرابع ، مباراة القذف الموجهة وتستغرق نصف ساعة ؛ يقف الخصمان تجاه بعضهما على بعد عشرة امتار ، ويبتدآن في قذف بعضهما البعض بالمنتجات الوطنية المشهورة في بلديهما ، كزجاجات الكوكاكولا ، وعلب الحليب المجفف ، والفواكه المعباة والبيض الفاسد ..

ومن الجانب الآخر ، زجاجات الفودكا ، وعلب الكافيار والسمك المجفف،وهكذا . . وتستمر هذه المعركة الدامية ساعة من الزمن ، الى ان تتضعضع فيها قوتهما ، ويفقدان القدرة على الكلام والحركة وتضعف قوة التفكير .

وهنا ترتفع الاصوات مطالبة بانهاء المباراة ، رحمة بالخصمين ، ولكن الحكم يرفض فى اصرار وعزم ، ويصر على ان تستمر المباراة الى نهايتها مهما كانت الظروف ، لان القانون الرياضي لا رحمة فيه ، ولانه من جهة اخرى ينفذ قرار هيئة الامم المتحدة ، الذي صدر باجماع الاصوات ، ولانه ينبغي على الاعضاء ان لا يتراجعوا وينقضوا قرارا لم تجف كتابته بعد ، وهو قرارهم هم انفسهم .. فيقول احد الاعضاء : ــ كلامك من الوجهة القانونية الدولية سليم للغاية ، ولا غبار عليه ، ولكن من الوجهة الانسانية ، واقول الانسانية ، فان التشريع الوضعي والسماوي ايضا يترك دائما فجوات من النور ، للتنفس ، وللخروج من الضيق عند اللزوم ، تلكم هي منافذ الرحمة المفتوحة ، على انه ايضا من الناحية العملية يستحيل الآن تطبيق وتنفيذ قرارالهيئة، لسبب وجيه، ذلك هو عجز الخصمين عن الحركة والمضي الى النهاية فى المعركة ، وفاقد الوعي لا حكم عليه ، هو والمجنون ....

فيرد الحكم : هذا صحيح ، ولكن لا يمنع هذا العارض الطارىء من الاستمرار فى المباراة ، ولو فى شكل من الاشكال ، الى تمام الساعة المحددة لانهائها ، ولو باشارة واهنة من الخصمين ، او بالسباب بتعبيرات الوجه ، والعين والفم .. ومع ذلك فيبدو لي مهما من عدة وجوه ، ان اخضع لرايكم واوقف المباراة مؤقتا ، على ان يظل الخصمان فى مكانيهما ، لحين اصدار التعليمات ، وفى هذه الاثناء ساعطيكم فرصة للحديث فى هذا المشكل القائم الآن ، والذي اعترف انه مشكل قائم فعلا .. فأمامكم الآن نصف ساعة من الزمن ، لابداء الراي ..

ينهض رجل رقيق البنية ، اسمر اللون ، عليه سيماء الحكمة والتواضع ، ينهض فى ثيابه البيضاء ويطلب الكلمة ، الحكم يلمحه ، فيحييه براسه ، ويأذن له .. انه «نهرو» وقد وضع يديه تحت صدره وبدا يتحدث :

اول ما يدور بخلدي ان اقوله ابتداء ، هو تقديم التهنئة لاخينا حكيم القرود ، على ما اسداه من خدمة جليلة لصالح السلام العالمي على اسس راسخة من العدل الالهي ،وعلى تجربة فريدة فى نوعها ، ان هي جاءت بالنتيجة الايجابية فسوف تغير من مجرى تاريخ البشرية ، وتخلقه خلقا جديدا ، واري ان نقر اسس هذه التجربة ، ونبني عليها قواعد لسياسة ايجابية ، نحميها بجميع الامكانيات من القوانين التشريعية والتنفيذية ، وبمقدرات جميع قوتنا الروحية مهيبين بضمير العالم ان يقف بجانب السلام .

ولعله يمكن القول من الآن انه اذا ما تعطلت قوة الخصمين الى اجل غير مسمى ، او تعطلت بالمرة فان ذلك يعد انتصارا لقضية السلام ، وبالتالي لن يجرؤ مسئول بعد الآن على الحديث عن الحرب ، واقلاق العالم ، لانه يعرف مقدما انه سيساق الى ساحة العدل هذه ، اذا هو هدد او انذر ، واقلق راحة الآمنين ، فمصيره هو ما شاهدناه اليوم ، فالعضو الفاسد ، يجب ان يبتر لصالح سلامة بقية الجسم ، وهذه قاعدة يعرفها علم الطب ، ويعرفها الزارعون . فالذين يدعون للحرب ، يجب ان نشق بهم الطريق الذي كانوا يحفرونه للبشرية ، لذلك يجب الاحتفاظ بهذه القاعدة كاساس سليم للمحافظة على سلامة البشرية ، على انه من جهة اخرى ، اذا فرض واسترد الخصمان قدرتهما ، وعادا يقلقان امن البشرية ، ناتي بهما مرة اخرى لساحة العدل ، للدخول فى مباراة تكون اشد وافظع واطول زمنا من الاولى ، واذا قدر وفشلت التجربة ، كغيرها من التجارب ، فعلينا الا نستسلم مطلقا لليأس ، فسلامنا على هذه الارض يتوقف على المحافظة على هذا السلام .. ثم ينتهي «نهرو» ويحيي الحاضرين على الطريقة الهندية ، بوضع اليدين امام جبهة الوجه ويجلس ..

ثم نرى شخصا آخر يرفع يده مستاذنا فى الكلام فيأذن له الحكم ، انه وزير خارجية المغرب ،

ها هو يقول : ــ يجدر بنا ، ونحن نتشوق والعالم اجمع ، لايجاد وسيلة ايجابية لاقامة سلام دائم ان لا نعطي اهمية للراي القائل بانهاء المباراة ، شفقة بالخصمين ، فلنحذر ان ناخذ محاولة كهذه بذرة من التسامح ، على انه من جهة اخرى لا يبدو لي ان بوسعنا اذا تضرعنا بالحق كله ، وبالعدالة كلها ، الانتصار لاحد الخصمين على الخصم الآخر .. ولكن

الايمان بمعنى الحياة يفترض دائما سلما للقيم واختيارا ، واشياء تؤثرها ونحن نعيش حياتنا ، ونشم فيها قيما اخلاقية ، ونختار مصيرنا ، ونؤثر اشياء عزيزة علينا ، على غيرها من الاشياء ، ونحن نؤثر السلام ونحبه ، للعالم اجمع لا لافراد معينين .

والسؤال الطبيعي الذي يترتب على هذه المقدمة ، هل من الخير ، والعدل ، والشرف ان نضع في كفتي ميزان العدالة ، قيمتين لا تكافؤ بينهما بايه صفة من الصفات ؟ .

هل من العدل ان نضع في كفة مصلحة فردين ، من افراد الناس ، ونضع في الكفة المقابلة ، مصلحة العالم باسره ؟ .

هذا هو السؤال ايها السادة : هل بوسعكم ان تؤثروا سلامة فردين ، على سلامة المجموع بدعوى الشفقة ؟ وما دام هناك اختيار كما قلت فارى للخروج من هذا المشكل ان يقترح الاعضاء على نص قرار يرمي الى تاليف لجنة من اكبر الاخصائيين العالميين في الطب ؛ في الامراض العقلية ، والعضوية ، والحنجرة بصفة خاصة ، لاجراء كشف عام على الخصمين ، تحت نظر وسمع جميع الاعضاء ، لمعرفة ما اذا كان في استطاعة الخصمين استئناف المباراة الى تمام زمنها المحدد لها رياضيا ، وقانونيا ، ام ان قوة الخصمين ، بما فيها القوة العقلية ، والعضوية ، قد تعطلت ، ولا خوف من ان يستردها في المستقبل ، ولو بوسائل الطب الحديثة .

فاذا جاءت شهادة الاطباء ، بعد الكشف الدقيق النزيه — واقول النزيه بصفة خاصة ، لئلا تلعب الاهواء السياسية الدوليةفي الموضوعبانه لامبرر لهنوع من الخوفمن امكان استرداد صحتهما وقوتهما ، فعلى الاعضاء ان يصادقوا على الراي القائل بانهاء المباراة الآن ، واعتبار نتيجة هذه التجربة نصرا للسلام ، وفخرا لاخواننا القرود ، وعلى راسهم حكيمهم الوقور .

ثم نرى رجلا هادي البال يطلب الاذن لالقاء كلمته فيؤذن له ، انه الدكتور محمود فوزي ، وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة . ها هو يتحدث الآن :

— سأقتصر في تعليقي على فقرة وردت في خطاب زميلي وزير خارجية المغرب حين حدد غاية مهمة اللجنة الطبية ، واشترط ان تتوفر لديها روح النزاهة ، ولذلك ارى ان يكون اختيار الاطباء من الدول المحايدة التي تتبع سياسة الحياد الايجابي .

ومع ذلك يبدو ان هناك فكرة اخرى قد تخلصنا مما نحن واقعون فيه من الحيرة ، هو ان تشكل هيئة الاطباء من الروس والامريكيين فقط ، على ان يتولى الاطباء الامريكيون الكشف على الخصم الروسي ، ويتولى الاطباء الروس الكشف على الخصم الامريكي ؛ وبذلك نحقق النزاهة في نتيجة الكشف ، لانه لو تركنا الاطباء الامريكيين يكشفون عن مواطنهم ، لقالوا في شهاداتهم بان قوته العقلية والعضوية قد تعطلت لاجل غير مسمى ، وبذلك يتيحون الفرصة لان ينجو مواطنهم من متابعة المباراة الدامية التي ربما قضت عليه نهائيا لكبر سنه . والامر كذلك بالنسبة الى اطباء الروس ، فيشهدون بان مواطنهم بين الموت والحياة .

* *
*

وبانتهاء حديث الدكتور محمود فوزي ، اعطيت الاصوات في صالح اقتراح وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة ، وتقدم الاطباء بشهاداتهم الرسمية القانونية ، بما يفيد فقدان القدرة لدى الخصمين على المضي في المباراة ، وان حاسة النطق قد تعطلت نهائيا .

وهنا ارتفعت الايدي بالتصفيق ، وخرج الاعضاء وفي مقدمتهم « المستر هامرشولد » ممسكا بيد القرد الحكيم ، ليقوده الى مكتبه الدائم الذي خصصته له هيئة الامم في مقرها .

سوسة عروس الساحل

بقلم : عبد الكريم بن ثابت

واقتحمناها يا اخي في المساء   وعلينا ثوب الرضا والهناء
وشربنا الغناء حتى انتشينا   والتهمنا الهنا وصفو البهاء
وسرينا فى موجة من خيال   وتمتعنا بالهوا والهواء
كان صحبي من الاناسي وفى الار   ض وكنت الوحيد ابن السماء
كنت ضيفا على الجمال ، على السحر   على الله فى عميق الضياء
جذبوني من السماء الى الار   ض وقالوا تعال يا ابن الفناء

نحن فى تونس العزيزة فى الار   ض على ساحل جميل الرواء
لا تطل فى السماء مكثا ولو انـ   ـا ربطنا قلوبنا بالسماء
ها هنا فوق ارضنا بعض نور   فيض رب المحروم والسعداء
فانظر الساحل الجميل وغرد   قد سئمنا الخيال فى الاجواء
صحت يا ساحل الجمال سلاما   كل ما نرتجيه بعد عناء
نحن لا نبتغي سوى النور والسحر   وخلدا من بعد هذا الفناء
ومضت ليلة فكم عاش فيها   ذو خيال ومنية ورجاء

صحت فيها يا فتنتي غردي لي   غردي لي اغنية الانواء
وحديث الامواج تشكو هواها   وبكاء العواطف الرعناء
واحة انت فى الصحاري ونبع   فوق ارض مكدودة جدباء
انت من انت ؟ انت بسمة ليل   واريج الحديقة الغناء
بلسم انت للجروح ونعمى   ودواء المريض من كل داء
غردي ، غردي فقد عسعس الليل   ونامت عواطف الاشقياء
فالغناء الجميل بعض منانا   يا ابنة النور والضيا والسناء

يا ابنة الخالدين فى كل فن   وابنة المصطفين للاحباء
وانتشى العاشقون وقت غناها   آه والنائمون فى الاحياء
وصحا الراقدون فى كل ركن   وانحنى السابحون فى الاجواء
فوداعا عروسة الساحل الاخضر   يا فتنة المدائن الحسناء
فوداعا وقد طلع الصبح   وداعا يا سوسة الشعراء
فغدا نلتقي ولم يحرم الله   قديما تلاقي الاصدقاء
عدت والصحب فى ركاب الاماني   والاماني الهبة الابرياء

أنا وأعمى

بقلم أحمد البقالي

يقولون : اعمى ، لا يرى غير نفسه   اصم ، على اذنيه من دوننا وقر ! »
ونشوان ، تشجيه الاصائل ، والضحى ،   اضلته فى وديان احلامها الخمر ! »
ـ صدقتم ! على عيني بيني وبينكم   غشاوة نور لن يزاح لها ستر !
وهل بقيت عين ، رات ربها ، ترى   سواه ؟ وفى الديجور لا يبصر الصقر
ومن يستمد النور من نور ربه   لعينيه لا يعمى اذا احتجب البدر !
ومن يرو بالايمان غلة نفسه ؛   فليس بناج من معاوله الكفر !
يقولون : « مر الدهر عبر دنانها   فعتقتها ، ان طالما اسكر العمر ! »
اذ لم تكن تسقي به الخمر نفسها   فمن اين يأتينا بنشوتها الدهر ؟
دعوا سرها لن تفهموها سجينة   ولا ساجنا فى قيدها برزخ الفكر !
فعند انعتاق الخمر يستعبد الحجى   وعند انعتاق الفكر ينكشف السر
وفى عبرة حيرى على الخد جنة   مهد لة تندي خمائلها الخضر !
وفى اعين العقبان معنى مروع   به ينطق الشيب المعمم والقبر . .
وفى رعدة الذئب النحيف انتعاشة   وبين حناياه الوقيعة والمكر !
وفى النفس صحراء تغطي صخورها   ثلوج ، ومهجور القبور بها نثر !
اذ اليأس هبت ريحه فى شعابها   تصوره فيها المفاوز والقفر !
وفيها المروج الخضر تكنفها الصبا   ويطلع مشتاقا الى لثمها الفجر
وبين المروج الخضر تجري جداول   ترقرق فيها الجاذبية والسحر !
ورجرجة الامواه تجري على الحصا   على وقعها غنت ترانيمها الطير !
وفيها الجياد الصافنات رواكض   وفيها المنايا ، والنيازك ، والصخر ،
وفيها الزهور البيض كللها الندى   وفيها الليالي السود ، والانجم الزهر
وفيها الشفاه الحمر اظماها الهوى   وفيها العيون الدعج اذبلها السحر
وفيها الاماني الدانيات قطوفها   وفيها الاغاريد الشجية والخمر
وفيها الذي لا يدرك العقل كنهه   ويعجز عن تصوير لوحاته الشعر
فحسبي بنفسي عالما لوكشفته   تعجبت مما سوف يحمله القبر !



« الى هذه الارض التي نما على هضباتها الف صباح مجيد ، اليها وقد عانقت برواثها احاسيس رجل الشعب وهو يحمل معوله ليخطط على اديمها طالع سعد مؤمل ... اليها ارفع هذا الاحساس واتطلع ... »

« مصطفى المعداوي »



بلد الكفاح ومعقل الاحرار فى الصبح الجديد
يترنم السمار فى اسحاره ببهاء عيد
عانقت فيه صبابتي وشهدت بعث نشيدي
وصنت روضة شاعر غذيتها من وجودي
فسحت خلف فراشة الهو وارتع كالوليد
كالحالم النشوان يرفل فى وشاح من ورود
كالزهرة الجذلى وقد علت القدود بكل جيد
كالبسمة البيضاء تقدمها الحسان هدايا عيد
آمنت يا ارضي بخصبك فى السواحل والنجود
لن يستبيحك غاصب ، افديك بالدم ، بالوجود

*

بلدي غرستك ازمنا فجناك غيري سوسنا
وحملت فاسي حافرا تلك البقاع وها هنا
وشدوت للنجد الغضوب على ابتسام المنحنى
اجلو الظلام صفائحا بيضاء تضمخ بالسنى
اجنو واحصد فى الحقول سنابلا بيضا لنا
واظل اعصر فى رباك لينتشي غيري انا

*

آمنت يا ارضي ولو ملأ الرماد معاجري
بالسوط يلفح اضلعي فيهيج قبض مشاعري
بالواحة الخضراء ترقص للنشيد الثائر
بالصيحة البكر التي هزت سرير مقامر
ارسلتها بين الرفاق ضراوة من كاسر :

❊

لا لم اعد يا سيدي اقوى على مسح الحذاء
لا لم يعد هذا القطيع بذيله « يشكو » ثغاء !

❊

يا صيحة التحرير نرسلها تجلجل في الفضاء
سيري رعتك قلوبنا انا على عهد الوفاء
سيري على نغماتنا وغدا سيجمعنا اللقاء

❊

آمنت بالفلاح في الريف المكلل بالبشائر
تتعانق الامجاد في محرائه برضا المقادر
بالعامل الوثاب يصنع بانتفاضته المصائر

❊

عودي لنا يا لحظة العز المضمخ بالازاهر
انا لننتظر انطلاقك من هضابات الجزائر

❊



إصلاح الميزان

للزعيم الأستاذ علال الفاسي

قرأت في عدد (**دعوة الحق**) الصادر بتاريخ فاتح دسمبر الحالي ، ضمن مقال الاستاذ الفاضل **فريد رمضان** عضو البعثة التعليمية المصرية المعنون بـ (**العدد الماضي في الميزان**) ملاحظات على قصيدتي المولدية التي نشرتها المجلة . وعلى وفرة اشتغالي وبلبلة بالي بما تجتازه البلاد من اهوال ، فقد احببت ان لا اترك ملاحظات الاستاذ دون جواب او تعقيب ، لان من حقه علي وقد اعتنى بنقد شعري ان اقف معه قليلا لتدارس ملاحظاته ونرى ما يثبت منها مما يذهب جفاء . وقد حمدت الله على ان الاستاذ احترم نصيحة **صديقه المسؤول** ولم يعمل بها، لاننا في هذه البلاد ما نزال نحاول بعث كل شيء من مرقده ، وليس من المعقول ان يمنعنا الجبن عن الصدع بما نعتقد ، خصوصا ونحن انصار حرية وطلاب حق ، فللاستاذ الشكر على ما قام به من اداء لحقي وحق تلامذته ، ولكنني قبل ان ادخل لصميم الانتقادات استسمحه ليراجع معي النقط الكثيرة التي اثارها في مقدمة كلامه .

1) اذا كان الاستاذ يريد ان يعلم طلبته طريقة النقد الحديث ويعمل بما في وسعه على اخراجنا من طور التقليد في الادب الى طور التجديد فيه ، فان ذلك يفرض عليه ان يبدأ بنفسه ، فلا يكون نقده محافظا على اساليب النقاد القدماء من العرب مما قبل **قدامة** ، ومن واجبه ان ينظر القصيدة ككل لا يقبل التجزئة ، وان يحللها بما فيها من عناصر القوة والضعف . واذا كان يدعي ان في قصيدتي تقليدا **لشوقي** فمن حقنا عليه ان نلزمه بمقارنة القصدتين ، وان نطلب منه ان لا يفرض علينا عدم القول في بحر الوافر وقافية الباء لمجرد ان شوقي قال قصائد عديدة في هذا البحر وذلك الروى ، ومن حقنا عليه ان نطلب منه قراءة قصيدة شوقي مجردة عن عبقرية الصوت التي تسبغها ام كلثوم عليها ، خصوصا وهو يثير موضوع الفرق بين خطابة الشاعر علال وبين شعره ، واني لاقولها من غير تواضع ، ان قصيدة شوقي لا تبلغ مكانة قصيدتي لا في التعبير الذاتي ولا في جانب التصوير البطولي .

2) لقد قال الاستاذ : (**ولست اذيع سرا ان قلت : ان القصيدة الاخيرة للشاعر علال الفاسي (ذكرى المولد النبوي) قرئت في قسم الباكالوريا على الطلاب لتنقد لا لتقرظ**) فالاستاذ يضع **النقد** مقابل **التقريظ** كان هذا يعارض ذاك ، مع ان التقريظ نقد والتزييف نقد ، ولست بحاجة لان اذكر الاستاذ بان كلمة النقد مشتقة من (**نقد الدرهم**) اذا عيره ليعرف هل هو زائف ام صحيح ، واذن فما دام الاستاذ قد دخل بطلبته على **نقد** يعارض **التقريظ** فلا غرابة اذا بذل معهم اقصى الجهد لاستخراج هنات سيعرف القارىء انها لا تثبت لا من جهة النحو ولا من جهة اللغة .

وقد ذكرني الاستاذ في اسلوبه بفصول كان يكتبها الشاعر **عرنوس** المصري في مجلة **الفتح** الغراء بعنوان (**سرني وساءني**) وكان كثير من اساتذة الثانويات في مصر يعنون بقراءتها ويبادلون صاحبها الرسائل . وقال صاحب لنا اذ ذاك ، ان (**عرنوسا**) يظن كتاب مجلة الفتح ومديرها **الاستاذ محب الدين الخطيب** بمثابة طلبة يعرضون عليه انشاءهم ليضع عليها العلامات الحمراء اصلاحا وتوجيها ، فالسيد فريد يقلد في اسلوبه السيد عرنوسا ، وعلماء النفس ادرى بعادة المهنة او آفاتها .

3) زعم الاستاذ انه اخذ طلبته في رفق ليدركوا الفرق بين الجانب الخطابي وبين الجانب الشعري في علال الخ . وقد كان على الاستاذ ان يشرح لطلبته نقطة اهم من هذه وهي : ان عيب الكثيرين من النقاد ومن جمهور القراء العاديين أن لا يقبلوا من الرجل تعدد

الجوانب ، فالشاعر عندهم لابد ان يكون مقلعا عن تعاطي اي شيء ، ولابد ان يكون في حياته بلهوانيا متزلفا للغرائز الخاصة في ابياته . والا فهو كل شيء الا ان يكون شاعرا. وقد رفض العرب ان يعترفوا **لشكيب ارسلان والرافعي والعقاد وابي شادي ،** وكل ذنبهم انهم يفكرون ويكتبون ويخوضون الحياة كما يخوضها غيرهم، وانت اذا نظرت لاسماء الشعراء الذين نالوا التقدير في العالم العربي لن تجد منهم احدا اشتغل بغير الشعر ثم عده النقاد العرب في الدرجة الاولى ، فابدا **بامرىء القيس والبحتري وابي تمام والمتنبي ،** وانزل الى **حافظ وشوقي والرصافي** وغيرهم ، هؤلاء شعراء بدون شك ، واما **ابن العميد والصاحب والاصبهاني وابن حزم وابن عبد ربه والمعري،** ومن ذكرنا معهم آنفا من المعاصرين ، فهم ممن لهم نصيب في الشعر ولكنهم كتاب ونقاد وعلماء ،اليس من حق طلبة الباكلوريا المغاربة ان يدركوا هذه الحقيقة ليتحرروا من الجمود في تقدير الشعر واعتبار مقاييسه. فانظر للغرب كيف يقدر الشاعر ولو كان عالما او مجاهدا او خطيبا ، **فالشيلي ولامارتين وفيكتور هيجو وبول فاليري وكلود يل وبرنارشو** وغيرهم كلهم من قبيل الشعراء الممتازين كما انهم من قبيل المجاهدين ورجال السياسة .

4) ما دام الاستاذ يتحدث لطلابه عن الشعر ويبين لهم المحاسن والاضداد ، فمن حق طلبته عليه ان يرفع عنهم الوهم الشائع عند رجل الشارع ، وهو ان الشعر لا يعني الا ان يكون غنائيا وجدانيا انفعاليا . فالقصيدة التي تتناول التاريخ او الملحمة والشعر البطولي والمتحدث عن ذكريات الكفاح والدعوة للنهوض ومقاومة الاستعمار والتيارات الرجعية ، والدعوة للثورة على البالي وبعث الروحانيات والدفاع عن المراة والفلاح والعامل ، والحديث عن الشعور الوطني ، كل ذلك ليس بشيء غير الخطابة في نظر هؤلاء الناس ، ان شعارهم قول الابيوردي :

خلت الديار فلا كريم يرتجى　　منه النوال ولا مليح يعشق

انما الشعر عندهم الذي يتحدث عن العيون النائمة ، والنهدي الخذروف ، والخصر المعقوف ، وقزقزة اللب والفستق ، وما الى ذلك مما هو تقليد مسف لاحط انواعا لشعر عند الغرب ، **ولست اعني بهذا مقاومة الرومانتيقية ولا المساس بالشعر الرمزي، ولاكني اريد التذكير بان شعر الانفعال ليس هو كل الشعر ، ولا ان بحوره كل البحور .**

5) وبعد هذا يصح لنا ان نتناول مع الاستاذ في ايجاز حديث الاتباع والابداع ، فالاصطلاح قبل كل شيء غربي ، ادت اليه ظروف الادب الغربي في تطوراته المختلفة ، ولكن لا غضاضة من محاولة تطبيقه على الشعر العربي ، بشرط ان يكون الابداع العربي شيئا غير تقليد المدارس المختلفة عند الغرب ، فقد قامت الكلاسيكية الغربية على اساس التعريف الذي اعطاه سقراط وارسطو للشعر وهو المحاكاة ، فالشعر في نظر ارسطو والكلاسيكيين يعني محاكاة الطبيعة وما حواليها ، وقد تطورت المحاكاة الى ان اصبحت اختبارا في مرءاة المثالية حسب تشبيه افلاطون ، ثم قامت مدارس لتزييفها ونقدها ، ولكن هذه المدارس كلها كانت ثورة لحساب الشعر الغنائي ، ولم تكن ثورة تلقائية في الفكر الاوربي ، **ولكنها كانت اقتداء بالشعر الغنائي العربي وخاصة التلقائي منه ، فقد كان اول من دعا لهذه المدرسة رجل اتصل بالشعر العربي ومجده، وهو السير (ويليام جرنر) .**

عرف **(ورد زوث) الرومانتيقية** بانها « **فيض تلقائي لعواطف قوية** » واذن فهي في واقع الامر محاكاة، لانها تعبير عما في الداخل ، وذلك ما تختلف به عن المدرسة الاتباعية ، والتعبير ليس وصفا ، فاذا قلت عن شيء مهيب ، انه مرعب ، فقد وصفته ولم تعبر عنه ، ولكن يجب ان تعبر عن نوع العاطفة التي تجدها نحو ذلك الشيء ، اي العاطفة الخاصة لا التي تشرك فيها العموم .

واذا نظرنا للشعر العربي عامة ، وجدناه كلاسيكيا في مجموعه ، يسلك طريق الاعتدال في التعبير ولا يبالغ في الاستعارة والخيال ، ومع ذلك فان الرومانتيقية تجلت طاغية في العصر الاموي بفضل الاثر الاسلامي الذي خلق شعراء الشيعة والعذريين والصوفية الذين يبكون على انفسهم وينشدون الخلاص في عالم روحاني ، وقد استمرت هذه الروح الى عهد الشعر الصوفي الذي يتجلى في شعر المحبة والتوسل عند ابن الفارض والبوصيري وابن عربي وامثالهم ، وهذه الرومانتيقية حينما تظهر في لونها الجديد عند شوقي ومحرم والاخطل الصغير وامين نخلة وشاعر الجبل ، تحتفظ بطابعها المليء بالاستعارة والخيال ، ولكنها تبدو في شكل اقوى ولغة امتن ، فيختلط الامر على بعض النقاد الذين يظنون ان هؤلاء بحكم انهم من المدرسة الكلاسيكية ابعد ما يكونون عن الرومانتيقية والحق انهم ابداعيون ولكن من درجة ارقى اسلوبا من ابن الفارض وابن عربي .

ولا شك ان المدارس الغربية لم تقف عند هذين النوعين اللذين يرددهما كثيرا الاستاذ فريد رمضان، ولكنها اضافت لهما **الرومانتيقية الجديدة** ، والمدرسة الثائرة عليها باسم **المذهب التعبيري والواقعية والرمزيه والسريالية والمستقبلية والرعوية والايماجية ، ثم الواقعية الحديثة التي تستمد عناصرها من ماركس وانجلز ، والتي تعادي الفن الذاتي من حيث هو ، وتسمى الذين يعنون به الهاربين من عالم الحقيقة الى عالم الاحلام . وهذه المدرسة هي التي تتجه اليها انظار الشعراء في روسيا وخارجها على اختلاف في السلم وفي المعطيات ، وهي تريد من الشاعر ان لا يحيا في برجه العاجي او يكتفي بصروح الملوك وصالات الاوبرا، وعليه ان يستمد انفعالاته من الشعب في مطامحه وآماله ، وفي غضبه وانفعاله . عليه ان يحيا مع الجماهير الكادحة ويحبب اليها الحياة ويصور نشاطها في البناء والابداع ، ويخاطبها بلغة الفكر والعقيدة المزوجين بالرغبة وبالحب ايضا .**

وكل هذه المدارس باصباغها والوانها تؤثر اليوم في ادباء العرب ، الى جانب رجع الفعل التلقائي الذي احدثه اتصال الاديب بالجمهور ، وضرورة مشاطرته لهم في كفاح من اجل مستوى ارفع وحالة افضل ، وحرية تنشد ولا تكاد تدرك ، واستقلال يطلب ولا يكاد يعترف به ، وجمود في المواقف لا يكاد يتحرك ، واندفاع لا يعتمد على وزن ولا يسير نفاية مثلى ، هل يمكن الشعر العربي ان يقف ازاء كل ذلك صامتا ليخلو الى الداخل وينصت للاحلام او ليعبر عن فكرة الجماهير بلغة لا تفقهها ؟

ان الشعر العربي بخير ، وان اتجاهاته القومية والاجتماعية واضحة المعالم بينة الرواسم ، وفي المغرب محاولات من كل ما في العالم العربي ، ولا بد ان تتمخض عن افذاذ في كل هذه النواحي .

والمهم ان عامة الشعراء العرب ، المجيد منهم والمتوسط ، يقرا لهذه المدارس كلها باللغة الاجنبية او بواسطة التعريب ، ويتأثر من كل لون ، ولا يحاول ان يكون مقلدا للغرب مطلقا ، ولا جامدا على المدارس التي ثار عليها الناس ، فهو بذلك ينشد طريقه لتكوين مدارسه العربية التي وان اثار وجودها الغرب فستكون مطبوعة بطابعها العربي ، واعظم ظني ان المحافظين على الاسلوب المتين والمعنيين بالتجويد في اللغة هم الذين سيكونون في طليعة المجددين للشعر والخلاقين لمدارسه الحديثة في اللغة العربية .

واذا كنت قد تحدثت عن كل هذا ، فما ذلك الا لابين خطأ الاستاذ الناقد في هذه الجملة : **(على حين ان بعض الطلاب راى ان الشاعر اتباعي في حين حمل على قواعد اللغة العربية الخ ...))**

فاما ما يرجع لقواعد اللغة العربية فهو ما سنكشف عنه من بعد ، **واما المهم فهو ان الناقد وبعض طلبته يفهمون ان الاتباعية هي المحافظة او التقليد ، مع انها مدرسة قائمة بنفسها تعني بالمحاكاة اكثر مما تعني بالتعبير حسبما بينت ذلك .**



الزعيم الاستاذ علال الفاسي

وسيستعمل الاستاذ كلمة الاتباع في معنى التقليد حين يقول : **(وقد نحا الزميل اللمتوني منحى اتباعيا ايضا)** وحين قال قبل ذلك : **(وقد شعر الطلاب الاذكياء ان روح شوقي كانت تحوم على الشاعر)** والواجب على الناقد ان يكون صريحا ، فالاتباعية هنا لا محل لها ، والاحسن ان يقول التقليد او السرقة او ما شاء له هواه .

فاما ان شوقي شاعر قد بلغ في كثير من شعره المكان الاعلى فذلك رأينا فيه ، واما قصيدته : (سلوا قلبي) وكذلك (بردته) وقصيدته في (السودان) وغيرها من القصائد التي تغنيها ام كلثوم فذلك ما نزل فيه شوقي الى الحضيض ، ولا يمكن احدا يحترم نفسه ان يقلده فيها .

فالاتباعية اذن ليست هي المحافظة وليست هي هي التقليد كما يظهر من استعمالات الاستاذ الناقد .

7) انه يستعمل كلمة الثورة والحملة على قواعد اللغة العربية فيما يعتبر وقوعه مخالفة لهذه القواعد ، وكان الاولى به ان يسمي ذلك اجتهادا في اللغة وفي النحو ، ولسنا نحن الذين نرثا على التقليد في الذين يعاجزين على الثورة على ادعياء القواعد، والجامدين على ما في الكتب المدرسية ، ولو تتبع الاستاذ الحركة الفكرية التي في بلاده لاستمع **الدعوة التي دعا اليها الاستاذ الخولي اي ضرورة الاجتهاد في تجديد العربية ، بالعودة لاتمام ما بداه الاولون ، وهي ليست (ثورة) على القواعد كما فعل الدكتور طه حسين في محاضرته التي القاها بتطوان ولكنها ثورة على الجمود .**

على ان القواعد النحوية ليست الا من وضع جماعة من العلماء البصريين غالبا ، وقد ناقشهم فيها الكوفيون ورجال المدرسة البغدادية والمغربية المتفرعة عنهما ، والحق ان القواعد اذا كانت نتيجة مجهود لا باس به ، فينبغي ان تستعمل لفهم النحو لا لحصر تقدمه كما فعل البصريون ، وقد احسنت المدرسة الكوفية صنعا لانها جعلت القياس مباحا على كل مسموع من كلام العرب ؛ فالشاذ عند البصريين ، جزء من كلام العرب لا ينبغي ان يقبل فقط بل يقاس عليه عند الكوفيين ، وقد سار الاندلسيون والمغاربة على الاختيار بين المذهبين ، فلم يقفوا موقف الجامدين لا مع البصريين ولا مع الكوفيين ، ولكنهم مع ذلك يحبذون سعة الفكر الكوفي في النحو كما يبدو ذلك في صنيع (ابن مالك) (وابن المرحل) (وابن أجروم) (وابن حيان) (وابن العربي المعافري) وغيرهم .

ونحن بطبيعة تكويننا اميل للنحو الكوفي منا للنحو البصري ، لان الاجرومية كانت اولى مقروءاتنا ونحوها كوفي ، كما ان دراستنا لالفية ابن مالك وتوضيح ابن هشام والمغنى علمنا ان لا ننظر نظرة التقديس لكل ما يقوله البصريون ، وهذا على عكس الذين درسوا سفينة النحاة (للاخ بلاج) او النحو الواضح او غيرهما من الكتب المدرسية التي ليس لاصحابها من سعة الافق ما كان عند واضعي الاخرى، ولان عنايتها بالاسلوب المدرسي الحديث والتمارين التطبيقية انساها النظر في النحو وفي منشأه وفي مدارسه .

8) وادهى من موقف الاستاذ في مسالة النحو والاجتهاد فيه موقفه من اللغة ، فهو معجمي بكل معنى الكلمة ، كما نرى ذلك فيما قاله عن (مهاب) او (مهيب) وفي (اسم المكان) حسبما سنرجع اليه من بعد ، وهذه المعجمية هي التي قتلت اللغة العربية وقضت على سليقتها في النفوس ، ومن حق الطلبة على الاستاذ ان يلقنهم ضرورة تذوق اللغة واتباع قواعدها وتطبيقها والقياس الحر والاجتهاد في الاشتقاق والتعريب وفي النحت وغير ذلك مما يبين لهم سعة اللغة العربية التي قال عنها حافظ ابراهيم

انا البحر في احشائه الدر كامن
فهل سالوا الغواص عن صدفاتي ؟

ولا يمكننا ان نعتبر كل ما لم يوجد في المعاجم خارجا عن اللغة العربية ، فالفاظ اللغة قل من كثر ، وشعر العرب وحديث الرسول وكلام الفصحاء الاولين لم يستخرج كل ما فيه ، وذنب العرب انهم وقفوا عند مرحلة ن مراحل تطورهم ، وما زلت اطالب في خطبي واحاديثي وكتاباتي بالبداية من حيث وقفنا، وان نستانف الجمع والتصنيف وتنقيح القواعد والزيادة فيها وتزييف بعضها ، وكل ذلك في متناول الاستاذ وامثاله اذا خرجوا من اطار المعجمية وما يمكن تسميته (بالكناشية المدرسية) الى عالم اوسع وميدان افسح .

9) ولنرجع الآن الى التطبيقات النحوية واللغوية التي وضعها الاستاذ على قصيدتنا ، منهما لنا فيها بالمحافظة على الاسلوب مع الثورة على اللغة :

1 ــ يقول الناقد : **(فهو يسالم احيانا حروف الجر فيقول : « لا تعير له حسابا » بدل لا تعيره حسابا) .**

وهذا يعني عدم جواز تعدية الفعل بالحرف ولو لمقاصد بيانية اذا كان عادة يتعدى بنفسه ، وهذا ما وقع اتفاق معظم النحويين على عكسه ، اي ان تعدية الفعل بالحرف يجوز اذا ضمن معنى فعل آخر ، ويجوز عند الاصوليين ان يشرب معنى فعل آخر مع المحافظة على معناه الاصلية ، اما علماء العربية فلا يقولون بالاشراب لانه يؤدي الى الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة ، ومهما يكن فاننا نجتزيء بالمتفق عليه وهو التضمين ، اي الذي يبقى الفعل على حقيقته ، والمعمول متعلقا به او بالمحذوف على راي علماء البيان ، فالفعل **(اعار)** هنا تضمن معنى **(قرأ)** ،

اذ العادة جارية بأن يقال **(لا يقرأ له حسابا ، ولا يعيره التفاتا)** فاستعمال كلمة **الاعارة مع الحساب** قصد به معنى بياني ، **وهو الاشعار بالاهتمام الفكري من جهة والالتفات المادي من جهة اخرى** ، ولما كان الفعل مضمنا معنى **(لقراءة)** كان لابد ان يأتي الشاعر باللام قرينة للدلالة على ملاحظة الفعل الآخر ، وامن اللبس.

وهذا مثل ما يقرأه المؤمنون حين يرفعون من ركوعهم : **سمع الله لمن حمده** . ففعل **(سمع)** يتعدى بنفسه ، ولكنه لما تضمن معنى **(استجاب)** اتى له باللام قرينة دالة .

ومنه قوله تعالى **ردف لكم بعض الذي ..)** فقد ضمن **((ردف))** معنى **(اقترب)** فعداه باللام . وقوله تعالى : **(او لم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها)** فقد ضمن **(يهدي)** معنى **(يبين)** او **(يتضح)** فعداه باللام .

وقوله تعالى : **(يخالفون عن امره)** ضمن **(يخالفون)** معنى **(يعدلون)** .

وقوله تعالى : **(افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت)** فقد ضمن الفعل معنى **(وجه)** اي **افلا توجهون النظر الى الابل** .

وقوله تعالى : **(الم تر الى الذين خرجوا)** اي الم **(ينته)** علمك الى حالهم .

وقوله تعالى : **(يغفر لكم من ذنوبكم)** فهي عندي من باب تضمين **(الغفران)** معنى **(التطهير)** اي **(يطهركم)** من ذنوبكم ، فلا يكون هناك افتراق بينه وبين قوله تعالى : **ان الله يغفر الذنوب جميعا** ، خلافا لما تمحله البغداديون ومن بعدهم من النحاة .

ومن شواهد هذا الباب من كلام العرب قول **(ابن مبادة الرماح)** يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان :

وملكت ما بين العراق ويثرب
ملكا أجار لمسلم ومعاهد

(وأجار) يتعدى بنفسه وضمنه معنى **فعل الاجارة** فجاء باللام . وقول حميد بن ثور :

ابى الله الا ان سرحه مالك
على كل أفنان القضاة تروق

زاد **(على)** مع ان **(راق)** تتعدى بنفسها لانه ضمن الفعل معنى **(اشرق)** .

وقول الشاعر :

وان تعتذر بالمحل من ذي ضروعها
الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي

ضمن **(يجرح)** معنى يؤثر بالجراح فزاد **(في)**

ب ـ ثم يقول الناقد **(واحيانا اخرى يخاصمها ـ حروف الجر ـ فيقول : فما يحتاج واسطة ، بدل فما يحتاج الى واسطة ، ويقول وضحى العرش ، في حين يتعدى الفعل بالباء في نفس هذا المعنى)** .

ومعنى هذا ان الاستاذ لا يجيز حذف الاداة وايصال الفعل ولو على طريق التضمين لاعتبارات بيانية ، وهو غلط منه كما سأفصل لك من بعد .

فالفعل **((احتاج))** في قولنا **(فما يحتاج واسطة)** تضمن معنى يترتب عليه وهو **(الطلب)** فتعدى بنفسه ، ولو قلنا فما يحتاج الى واسطة ، لكانت هنالك جملة مقدرة اذ يكون المعنى هكذا : **فما يحتاج الانسان في طلبه من الله الى واسطة** ، مع ان المعنى المقصود **ان الله سبحانه لا يتوقف دعاؤه على استعمال واسطة** . ونفى الاحتياج هنا عن الله لتنزيهه عن شرك الذين يقولون : **(ما نعبدهم الى ليقربونا الى الله زلفى)** .

واما قولنا **(وضحى العرش)** ولم نقل **(ضحى بالعرش)** فان التضحية في اصل معناها اللغوي لا تعني ما استعملت فيه على السنة المعاصرين ، وانما صح استعمالها لتضمينها معنى **(البذل)** ، ولو كان هذا المعنى العصري مقصودنا لعدينا ضحى بالباء او بنفسها على السواء ، لانها تتضمن معنى بذل العرش في سبيل وطنه ، اي اعطاه ، ولكننا اردنا تضمينا آخر ، وهو فعل **(فدى)** من الفداء ، **لان الواقع ان الملك بذل عرشه في سبيل وطنه ، وفدى وطنه وعرشه بتقديم نفسه للنفي والابعاد** ، وقد اردنا ان نثير كل هذه المعاني في نفس القارىء ، وتلك هي الاستعارة التخييلية التي تستعمل في مثل هذا المقام .

وقد ورد هذا الاستعمال كثيرا في القرءان وفي كلام العرب ، ومن الاول قوله تعالى : **(لاقعدن لهم صراطك المستقيم)** فقد ضمن **(اقعد)** معنى **(الزم)** اي لالزمن صراطك .

وقوله تعالى : (ولا تعزموا عقدة النكاح) اي لا تنووا

وقوله تعالى : (وان تسترضعوا اولادكم) فقد ضمنه معنى **ترضعوا** فعداه بنفسه

وقوله تعالى : (**واختار موسى قومه سبعين رجلا**) ضمن اختار معنى **جعل** فعداها **بنفسها**

وقوله تعالى : (**لا يالونكم خبالا**) من ءالوك **نصحا** متضمنا معنى **لا انقصك**

وقوله تعالى : **فانتبذت من اهلها مكانا شرقيا**) **فانتبذت** معناها **اعتزلت** ، وهو يتعدى بمن ولكنه ضمن معنى **انت** لينصب (**مكانا**) .

وقوله تعالى : (**ويمدهم في طغيانهم يعمهون**) الاصل **يمد لهم** ، فضمن معنى **يزيدهم** فتعدى بنفسه .

ومنه قول الفرزدق :

ومنا الذي اختير الرجال سماحة
وجودا اذا هب الرياح الزعازع



الاستاذ فريد رمضان
عضو البعثة التعليمية المصرية

والمراد (**من الرجال**) فحذف (**من**) وعدى الفعل بنفسه ، بنصب (**الرجال**) .

واستدل له (**سيبويه**) بقول عمرو بن معد يكرب :

امرتك الخير فافعل ما امرت به
فقد تركتك ذا مال وذا نسب

والمراد (**بالخير**) تضمن الامر معنى (**الطلب**) تأدبا .

وعليه محمل قول البوصيري :

امرتك الخير لكن ما ائتمرت به
وما استقمت فما قولي لك استقم

وتقول (**استغفر الله ذنبي**) ، وعليه قول الشاعر :

استغفر الله ذنبا لست محصيه
رب العباد اليه الوجه والعمل

ومنه قول الشاعر :

تمرون الديار ولم تعوجوا
كلامكم علي اذن حرام

ضمن (**تمرون**) معنى (**تتجاوزون**) فعداه بنفسه .

ج — ويقول الاستاذ فريد (**واحيانا يعلن المساواة بين حروف الجر فيقول : « ودمت الى البلاد »** بدل **(ودمت للبلاد)** .

ومعنى هذا ايضا ان الاستاذ يعتبر استعمال حرف مختص ببعض الافعال في فعل آخر ضمن معنى الفعل الاول غير صحيح ، لانه اعلان للمساواة بين حروف الجر واهمال لاختلاف معانيها ، وهذا منه تناس لما يعرفه الجميع من جواز استعمال الادوات عوضا عن بعضها ، اما على مذهب الكوفيين وقليل من البصريين الذين يقولون بنيابة بعض الحروف عن بعض ، واما على راي الجميع في جواز ذلك اذا ضمن فعل معنى فعل آخر لمقاصد بيانيه ، كما سنوضح ذلك من بعد ، وهو ما رجحه الامام ابو بكر ابن العربي المعافري في رسالته (ملجئة المتفقهين من التحوبين) وهي رسالة قيمة ينقل عنها في احكامه كثيرا ، وكم تمنيت العثور عليها .

والذي وقع في تعبيرنا ان (الى) حلت محل (اللام) لان اللام للملك او ما شابهه ، ومن معاني الى المصاحبة ، فقد ضمنا (**دام**) معنى (**المصاحبة**) فاصبحت المعنى : **ودمت مع البلاد وساكنيها** اي حصلت الدعوة بالدوام نورا وهدى للجميع ، واستعمال لام الملك في الدعوة للملك ما يبعد المعنى الذي قصدناه وما لا يليق بالمقام ، وما لا يتاتى معه التعبير عن روح الانسجام الحاصل بين الملك وبين الشعب والمدعو له بالدوام .

ويقول الزمخشري في المفصل : ان كون الى بمعنى المصاحبة راجع الى معنى الانتهاء . واللام والى وحتى يشتركن في معنى الانتهاء كما هو معروف .

ومن امثلة نيابة (الى) عن (اللام) لتضمن الفعل معنى **الانتهاء** قول الله تعالى (**اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق**) اي اذا كان غاية قيامكم ونهايته هو الصلاة فاغسلوا الايدي منتهين في غسلها الى المرافق او معها على حسب التأويلين .

وتقول : (**كتابي الى فلان**) محل (**لفلان**) لانك تقصد ان غاية الكتاب هي فلان ، ومنه قوله تعالى : (**فلما رجعوا الى ابيهم**) ، فعدى الفعل (**بالى**) مكان (**اللام**) لان غاية رجوعهم لابيهم . ومنه (**انا لله واليه راجعون**) ومنه (**الا الى الله تصير الامور**) .

وقوله تعالى : (**اليه يصعد الكلم الطيب**) حلت فيهما (**الى**) محل (**اللام**) لان نهاية الصيرورة والصعود الى الله .

ويقولون (**الذود الى الذود ابل**) اي مضافة الى الابل .

ويقولون (**أحمد اليك الله**) اي انهي اليك حمد الله ، فسبكو امن فعل (احمد) مصدرا بدون سابك ، كما فعلوا في سبك الفعل بعد همزة التسوية نحو (سواء عليهم ءانذرتهم) .

هذا ويمكن تاويل استعمالنا ايضا **بالانتساب** ، فيكون المعنى **ودمت منتسبا** الى البلاد ، اي : وانت موطن الفخر منها . وذلك ما اختاره الرضي في شرح قول الشاعر :

وان يلتق الحي الجميع تلاقني
الى ذروة البيت الكريم المصمد

يعني : اذا اجتمع الحي للمفاخرة تجدني معهم احتل ذروة المجد ، والمراد بالبيت الاشراف ، والمصمد : الذي يصمد اليه في الحاجات .

د ــ ويقول الاستاذ الناقد : (**وربما تساهل في التعبير فقال : « وكان البدر وسطاها انتسابا »**) وكان من الممكن ان يقول : **وكان البدر اوسطها)** .

حقيقة حينما وصلت لهذه الجملة من كلام الناقد، اختلطت علي المفهومات ، فلم اعد ادري ما يريده الاستاذ . اننا امام صورة لمجموعة من الجواهر المنضدة ولعرائس كماب تحلى جيدها عقود منظمة من النجوم . يتيمتها الوسطى هي البدر ، فلو قلنا (**وكان البدر أوسطها**) لتخيلنا عن مشهد العقد وصورة اليتيمة .

وما راي الناقد لو قلنا : **ان البعثة التعليمية في المغرب عقد وسطاه الاستاذ فريد** ، فهل سيفرض علينا ان نقول (**أوسطه**) ولو انه يمتاز عن البدر بكونه مذكرا حقيقيا ؟ .

صدق الله العظيم : (**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**) .

هـ ــ واما داهية الدواهي فهي قول الناقد : **(ويقول القدر المهاب ، وما نعرفه هو (المهوب) او (المهيب) ولا يمكن ان يريد الشاعر بالكلمة اسم المكان)**

وهنا ابتعد الاستاذ عن كل القواعد ، واكتفى بمعجمية مقتصرة على ما عند الفيروز بادي في القاموس، واجدني مضطرا لان اذكر قرائي بالقاعدة اولا قبل ان اوضح ما اليه قصدت في شعري .

قال الزمخشري في المفصل (القول في الواو والياء عينين لا تخلوان من ان تعلا او تحذفا او تسلما ، فالاعلال : قال وخاف وباع وهاب وناب ، ورجل مال ولاع ونحوهما ، مما تحركتا وانفتح ما قبلهما ، وفيما هو من هذه الافعال من مضارعاتها واسماء فاعليها ومفعوليها، وما كان منها على مفعل ومفعلة ومفعلة كمعاد ومقالة ومسير ومعيشة ومشورة ، وما كان نحو اقام واستقام من ذوات الزوائد التي لم يكن ما قبل حروف العلة فيها الفا او واوا او ياء نحو قاول وتقاولوا وزايل وتزايلوا وعوذ وتعوذ وزين وتزين وما هو منها ... : اعلت هذه الاشياء وان لم تقم فيها علة الاعلال اتباعا لما قامت العلة فيه لكونها منها وضربها بعرق فيها) هـ .

قال شارحه ابن يعيش بعد كلام : فهذه الافعال كلها معتلة تقلب الواو والياء فيها الفين ، وذلك لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وكذلك ما كان من الاسماء من نحو باب ودار الخ الى ان قال : وكذلك الاسماء الماخوذة من الافعال وكانت على مثال الفعل ، وزيادتها ليست من زيادة الفعل ، كالمصادر التي تجري على افعالها ، واسماء لازمنة الفعل او لمكانه اذا بنيت مفعلا من القول والبيع

واردت به مذهب الفعل ، فانك تقول مقالا ومباعا ، لانه فى وزن اقال واباع ، والميم فى اوله كالهمزة فى اول الفعل ولم تخف التباسا بالفعل لان الميم ليست من زوائد الافعال . هـ

قال ابن منظور فى لسان العرب : قال ثعلب . الهيبان الذي يهاب فاذا كان كذلك يكون الهيبان فى معنى المفعول ، وكذلك الهيوب قد يكون الهائب وقد يكون المهوب . قال فى الصحاح : رجل مهيب اي يهابه الناس، وكذلك رجل مهوب ، ومكان مهوب ، بنى على قولهم هوب الرجل لما نقل من الياء الى الواو فيما لم يسم فاعله انشد الكسائي لحميد بن ثور . .

وياوى الى زغب مساكيـن دونهـم
فـلا لا تخطـاه الرفـاق مهـــوب

قال ابن برى صواب انشاده بالتاء وتاوى ، لانه يصف قطاة هـ .

قال ابن يعيش واما (مهوب) من قول حميد : وتاوى . . . الخ ، فانه على لغة من يقول فى ما لم يسم فاعله : قول القول وبوع المتاع ، فكانه قال هوب زيد فهو مهوب ، وقيل فى لغة بني ، تميم مبيوع وثوب مخيوط ومزيوت هـ .

وكتب عليه المحشون الازهريون ما ياتي :

ومحل الاستشهاد فى البيت قوله **مهوب ،** وتقول رجل مهوب ومكان مهوب ، ورجل مهاب ومكان مهاب اي مهول يهاب فيه ، وتقول كذلك رجل مهيب كمقيل، فاما المهيب فوارد على القياس كمريع ، واما المهاب فقد ورد منه قول امية ابن ابي عائذ الهزلي :

الا يـــا لقـــوم لطيــف الخيــال
ارق مـــــــن نــــــازح ذي دلال

اجــــاز الينــــا علــى بعــــده
مهــــاوي خــرق مهــاب مهـــال

قال ابن برى : « مهاب اي موضع هيبة ، ومهال اي موضع هول ، والمهاوي جمع مهوى لما بين الجبلين.

واذن :

1 ــ فالمهاب كالمهيب اسم مفعول كالمبيع والمقيل

وليس اسما للمكان .

2 ــ يوصف به الشخص كما يوصف به المكان .

3 ــ وصف الشخص والمكان بالمهيب هــــو القياس ، وسمع مهوب فى قول حميد ، وحمل على لغة من يقول فى ما لم يسمه فاعله : قول، كما سمع **(مهاب) فيهما** فى قول ذلك الهزلي .

ويستنتج من هذا ان الناقد اخطا اولا فى جعله **(المهوب كالمهيب)** سواء بسواء ، وثانيا لانه قال : **ان المهاب لا يكون اسم مفعول،** وثالثا لانه اعتبره اسم مكان، ورابعا لانه اعتبره خاصا بالمكان ، والسبب فى ذلك كله هو المعجمية .

ولنعد الان الى قولنا : **القدر المهاب ،** على فرض اننا قصدنا **المهاب** من الهيبة بمعنى الخوف ، فانه لاغبار على وصف شيء بالمهاب اقتداء بالهزلي ، لاننا نعتمد دائما راي الكوفيين فى أن ما ثبت فى كلام العرب مما يخالف القواعد التي فرضها البصريون يقاس عليه .

واذا فرضنا انه خاص بالمكان ، فانه لا يخرج عن كونه خالف القاعدة كما علمت ، لان حجته هو كلام صاحبنا الهزلي .

وهذا مع متابعتنا للاستاذ الناقد فى كونه قرا **(المهاب)** بفتح الميم ، والا فيمكن ان تقرا بضم الميم على انها اسم ماخوذ من الفعل وهي على مثاله وزيادتها ليست زيادة الفعل ، طبقا لما سبق عن ابن يعيش ، فيكون مهابا اي وضعت عنده الهيبة ، اي هو مصدرها وموضعها ، وهذا كما تقول : **فلان مناط الامال وموضع الخوف و لرجاء من الرجال .**

ثم هذا كله متابعة للاستاذ الناقد فى كوني قصدت الهيبة ، وما كان لي أن افعل ، لاني لست من الذين يحافظون على النظرة الوثنية اليونانية للقدر ، فليست ارى ان القدر الالاهي اعمى اصم كالمشترى يخيف ويرعب ، وانما انا اومن بالقدر خيره وشره حلوه ومره، واعتبر ان كل ما هو مقدور خير وبركة ، فالقدر عندي محط الامل ومناط الاهابة ، لانه اثر صفة الله القادر لما يشاء **(انا كل شيء خلقناه بقدر) (وما ننزله الا بقدر معلوم) (قد جعل الله لكل شيء قدرا) (ان ربي لطيف لما يشاء) .**

فقصدي اذن (المهاب) بضم الميم ، من (اهاب به) و (اهابه) اذا دعاه وترجاه ، فالقدر عندي مدعو مرجو ، ودليل تعدي فعل (اهاب) من غير باء ، حديث ابن الزبير فى بناء الكعبة (**واهاب الناس الى بطحه)** اي دعاهم الى تسويته ، ومنه قول طرفة بن العبد :

تربع الى صــوت المهيــب وتتقــى
بذي خصل روعات اكلــف ملبــد

فلم يقل المهيب فيها .

10 ـ بعد هذا نرجع لقول الناقد : **(وما يعنينا واللغة العربية ايد الله ملكها وادامه واسعة الابـــواب تستطيع فيها نصب الفاعل ورفع المفعول اذا شئت ، وانك واجد لكل حال عذرا من عبث الرواة والشعراء بعلماء اللغة فى عصر التدوين) .**

وهذه جملة متواصلة ، كل واحدة منها تحتاج الى كتابة مقال ، ولا يمكننا ان نمر بها مر الكرام . فليس يصح عن اللغة العربية : انك تستطيع رفع المفعول ونصب الفاعل فيها . فاما انها واسعة فصحيح ، واما انها لا تخضع لقواعد وقوانين فهو محض ادعاء ، واذا كانت هناك استعمالات عربية فيجب ان تعتبر هي الاصل وان يقاس عليها وتبقى القواعد فى محالها ومن علاماتها الدالة عليها ، ولا يصح نصب الفاعل ورفع المفعول لاي كان وبدون قاعدة ، ولكن اذا وقع فى كلام العرب فطبقا لتاويل يتفق مع القاعدة فى بابه ، ولاعتبارات بيانيـــة خاصة ، لو عدل عن استعمال الرخصة فيها لكان ذلك لحنا او ركاكة ، وهذا ما يدركه ويمضي عليه اقحاح العرب ومن اخذ نفسه بالعربية وتملى بفنونها على طريق السليقة ، فلا يمكن ان يلحن العربي ، وانما يلحن الذي يخطئه ، وقد قيل لبعض الاعراب : **أتهمزون الفارة ؟** فاجاب بسليقته : **انما تهمزها القطة .**

واما اتهام الرواة والشعراء بالعبث بعلماء اللغة فى عصر التدوين ، فهو ادعاء خطير جدا اذا اطلق علـــى عواهنه ، فالشعراء الذين احتج اللغويون بكلامهم هم شعراء العرب الاقحاح ، وليس يصح شيء اذا لم يصح ما نطقوا به ، وقد زعم قوم تغليط بعض العرب لمخالفة لهجتهم لهجة الآخرين ، او لكونهم انفردوا باستعمال بعض الاساليب ، **وقد ندد بهاؤلاء الزاعمين الاستـــاذ الخولي ، والاستاذ طه الراوي . وقال الدكتور المخزومي فى خاتمة كتابه القيم عن مدرسة الكوفة ص 439 :**

« ولسنا نوافق كثيرين من القدماء وبعـــض المحدثين فى تغليط بعض العرب ، والادعاءبان العرب وهم اصحاب اللغة يغلطون او يتكلمون على غير قياس لغتهم، لانا نرى ـ كما قلنا غير مرة ـ ان اللغة عادة ، ومـــن الصعب التصديق بان صاحبها ينسى ما تعوده او يغلط فيه ، ولن يضير فصاحة لهجة مخالفتها لهجات عربية اخرى ، فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء ، وان كان غير ما جاء به خيرا منه » .

وقد نقل السيد الطالب بن ج فى حاشيته علـــى شرح لامية الافعال عن جمع من الائمة ان وقوع الشاذ فى الكلام لا يخل بفصاحته .

واما الرواة فقد تصدى لهم ائمة اللغة وعرفوا حسن الرواية من مستهجنها ، ولم يعتمدوا على مطلق الناس ، بل كان البصريون لا يثقون بحضري ولا ياخذون شيئا من كلامه .

وتجنب البصريون والكوفيون الاستدلال بالحديث فى اللغة ما وسعهم ذلك ، معللين ذلك بكون رواة الحديث يجيزون روايته بالمعنى ، ونحن وان كنا لا نوافقهم على رايهم لاننا لا نرى موجبا للثقة برواة الشعر وعدم الثقة برواة الحديث ، فان عملهم ذلك يدل على مقــــدار تحريهم فى النقل .

والواجب هو ان يواصل العرب عمل الاسلاف فى ايام التدوين ، وان لا يعتبروا عهد التدوين قد انتهى، فلم يحط بكل شيء من كلام العرب ، ولم تقع خدمة المدونات نفسها على اتم وجوهها .

11 ـ ثم يقول الناقد : **(وحين ناخذعلى الشاعر ثورته هذه ، لا ننسى ان المنهج الفقهي اصبح مرفوضا فى النقد الحديث ، وانما نفعل ذلك من قبيل : حسنات الابرار سيئات المقربين) .**

انا نشكر للاستاذ الناقد تواضعه وصوفيته ، ولكننا لا نتركه فى هذه الاشراقة الاخيرة قبل ان نخوض معه الموضوع الذي درسناه من جهة منهجه الفقهي ، ليعلم انهليست هناك حسنات ابرار ولا سيئات مقربين، وانما هنالك سليقة عربية تتفق مع قواعد اللغة وقوانين النحو ، وقد تناولنا فى ملاحظاته :

ا ـ **تعدية الفعل من غير اداة**

ب ـ **وتضمين الافعال لتعديتها بغير الحرف المخصص لها .**

ج ـ **واستعمال حرف الجر فيما يتعدى بنفسه**

وكان يمكننا ان نكتفي بالاشارة بجمل متداولة ، وهي نيابة الحروف بعضها عن بعض ، والحـــــذف والايصال وصلة الحرف او زيادته ، ولكننا نؤثر ان نكون اكثر تحقيقا لان طلبة الباكالوريا اعزاء علينا واستاذهم كذلك ، فلابد ان نذكرهم بالمعروف فى الموضوع :

قال الازهري فى التصريح ص 4 ج 2 : والصحيح عند البصريين ان حروف الجر لا ينوب بعضها عـــن بعض بقياس ، كما لا تنوب احرف الجزم واحـــرف النصب ، وما اوهم ذلك فهو عندهم مؤول ، اما علـــى تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف ، واما على شذوذ وانابة كلمة عن اخرى . وهذا الاخير هو محمل الباب كله عند الكوفيين وبعض المتاخرين ، ولا

يجعلون ذلك شاذا ، ومذهبهم اقل تعسفا ، قاله في المغنى

قال محشيه ياسين : ظاهر صنيعه أن التضمين ليس تأويلا لعطفه على التأويل بأو ، ولا يخفى انه تأويل، فكان الاحسن ان يقول : مؤول ، اما بحمله على الاستعارة ، واما بحمله على التضمين ، ثم هذا ظاهر ان كان التضمين قياسيا ، كما هو المختار على ما مر في باب المفعول معه ، فان كان سماعيا فلا مزية له على انابة حرف عن آخر لكون كل منهما سماعيا ، وكون التجوز في اسهل كما نص عليه في المغنى لايقتضي مزية التضمين المطلوبة هنا لاخراج الكلام عن كونه غير قياسي ، فتدبر ه .

والذي مر له في باب المفعول معه هو قوله : واختلف في التضمين اهو قياسي ام سماعي والاكثرون على انه قياسي . وقد اطال ياسين النفس في الكلام على الحرف ، فارجع اليه .

ويستفاد من هذه النقول ان اغلبية البصريين لا يجيزون انابة بعض الحروف عن بعض قياسيا، ويتأولون ما ورد من ذلك اما على جهة التضمين او على جهة الاستعارة ، وقد رجح البصريون انفسهم في باب المفعول معه ، قياسية التضمين او الاستعارة .

والاستعارة تعنى استعارة الحرف الذي تعدى الفعل به لمعنى الحرف الذي كان ينبغي ان يتعدى به على جهة التبعية ، اذا امكن تطبيق هذه الاستعارة على الحرف بكل شروطها ، وذلك كاستعارة **(في) لمعنى (على) في قوله تعالى : (لاصلبنكم في جذوع النخل)** اي عليها .

واما التضمين فهو استعمال فعل أو ما يقوم مقامه في معنى لايتبادر منه لاول وهلة ، وقد جعلوه مطردا فقاسوا عليه ، وان كان بعض البصريين لا يقولون باطراده .

واما الكوفيون وبعض البصريين فهم يقولون بانابة بعض الحروف عن بعض قياسا ، ولا يحتاجون الى تضمين .

وللنحويين والبلاغيين عدة اقوال في تخريج التضمين سردها ياسين في حاشيته سردا محيطا .

والخلاصة ان انابة الحروف بعضها عن بعض قياسي عند الكوفيين والمتحررين من البصريين ومتاخري المغاربة ، وهي شاذة عند اغلبية البصريين .

والاستعارة والتضمين مقبولان في الفعل وفي الحرف عند اغلبية البصريين باطراد وقياس ، وبما ان الكوفيين لا يحتاجون لهما ، لقولهم بنيابة الحروف ، فهم يحملون ما وقع منه في كلام العرب محمل الشذوذ، ولكنهم يقبلون الشاذ ويقيسون عليه .

اذا عرفت هذا فاعلم ان المسالة عرضت على مجمع اللغة العربية الملكي بمصر(1) ، فاختار حلا وسطا، وهو :**(قياسية تضمين الفعل معنى غيره واعطاؤه حكمه في التعدية واللزوم)** .

وقد زاول المجمع البحث في الموضوع في عدة جلسات ، وانتهى الى القرار الآتي :

التضمين

التضمين : ان يؤدي فعل او ما في معناه في التعبير مؤدى فعل آخر او ما في معناه فيعطي حكمه في التعدية وفي اللزوم .

ومجمع اللغة العربية الملكي يرى انه قياسي لا سماعي ، بشروط ثلاثة :

الاول : تحقق المناسبة بين الفعلين

الثاني : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس

الثالث : ملاءمة التضمين للذوق العربي

ويوصي المجمع الا يلجا الى التضمين الا لغرض بلاغي .

انظر العدد الاول من مجلة المجمع ص180 — 181

12 — وبعد كل ما تقدم ، نكل الحكم لاخينا الاستاذ فريد عضو البعثة التعليمية المصرية ولطلبته الاكارم ، واني لاشكرهم جميعا على عنايتهم بتقد قصيدتي ، واعتذر للاستاذ فريد رمضان عما يمكن ان يقع في كلامي من جفاف غير مراد ، والله ولي القصد ، واليه ترجع الامور .

---

1) اصبح بعد اعلان الجمهورية يحمل اسم : مجمع اللغة العربية .

بحث في شعرنا المعاصر

بقلم : محمد الامري المصمودي

مما يحز فى النفس ، الا يجد المهتم بالشعر فى بلادنا رهن يده دراسات مختلفة ، تنير السبيل امامه ، وتهيىء له ان يكون حكما صحيحا له او عليه . ان اكثر مثقفينا يعر فون الشيء الكثير عن الشعر العربي فى مختلف اطواره ، كما يعرفون غير القليل عن الشعر الحديث فى مصر ولبنان والعراق وغيرها ؛ ويكاد اكثر هؤلاء يجهلون اي شيء عن الشعر المغربي القديم ، ولا يكادون يكونون لانفسهم صورة واضحة عن شعرنا المعاصر . اما اخواننا فى الشرق العربي فلا يعرفون شيئا عن تراثنا الشعري ، ولا عن نهضتنا الادبية الحديثة ، ولعلنا لا نعجب اذا راينا من يزورنا من اخواننا العرب يبحث اول ما يبحث عن ادبائنا ، ويسال فى لهفة هل لكم شعراء ؟

والحق ان لنا فى هذا اكبر المسؤولية ، حيث لم نفعل ما كان يجب علينا ان نفعله لدراسة هذا التراث الشعري دراسة منهجية ، وتقييمه بالاضافة الى شعرنا الحديث ، والتعريف به التعريف اللازم .

لا ننكر ان هناك مجهودات لبعض ادبائنا المبرزين فى التعريف بشعرائنا القدامى ، تتجلى فى ابحاث نشرت فى بعض الصحف والمجلات المغربية (1) وقليل منها اخرجته المطبعة فى شكل كتب (2) لكني لا اعتقد انها كافية فى التعريف بالشعر المغربي ، لان هذه الابحاث وهذه الكتب غير متداولة بحيث تكون فى متناول جميع من يهمه الاطلاع عليها هنا فى المغرب والشرق العربي . هذا من جهة ، ثم ان قليلا منها يمتاز بالعرض الادبي السليم الذي يبعد عن الترجمة السطحية التي لا تستطيع التعمق فى تحليل الشخصية المدروسة ، ولا ابراز خصائصها او لمس جوانب الذروة فى انتاجها ومظاهر الضعف فيه؛ ثم انها من وجهة ثالثة لم تستوعب جميع ما كان لنا من شعراء ، ومن ثم كانت هذه الضرورة الملحة التي تدعونا الى اشاعة ما انتج حتى الآن فى طبعات متعددة ، تطلعنا نحن انفسنا كما تطلع غيرنا على جزء من تراثنا الشعري الذي لا ينعدم فيه الابداع ، كما تدعونا هذه الضرورة الى المزيد فى الكشف عن اولئك الذين لم تتناولهم بعد الاقلام بالدراسة والتحليل ؛ ومن الطبيعي ان تكون هذه الدراسة بالمعنى الصحيح على غرار دراسة الكاتب الكبير عباس محمود العقاد لابن الرومي مثلا .

والامر ادهى عندما يمتد القول الى شعرنا المعاصر حيث تتسع الهوة ، ونحس فراغا هائلا لم يجرؤ احد على ان يخرق الصمت الضارب اطنابه حوله ، (3) ولا نكاد نعثر على مقال واحد يحاول دراسة او تخطيط دراسة لهذا الشعر ؛ ولن يشفع لنا فى ذلك انه قليل ، ولا ان غير قليل منه شعر مناسبات ، ولا غير هذا وذاك مما يتخذه اكثرنا ذريعة لهذا الاطراق الرهيب !! كتاب واحد نستطيع العثور عليه فى هذا الباب هو « الادب العربي فى المغرب الاقصى » للسيد محمد بن العباس القباج ، وهو كتاب لا يفي بالمراد ، لان صاحبه لم يفعل اكثر من ان عرفنا بتراجم بعض الشعراء المغاربة المحدثين ، كتبها بعضهم باقلامهم ، وفيها من زهو الطاوس الشيء الكثير، ثم نماذج من اشعارهم مجردا عن كل تحليل او دراسة او نقد ، كما يعترف المؤلف نفسه بذلك فى مقدمة الكتاب ؛ اضف الى ذلك انه لا يتعرض لكثير من الشعراء ، اما لان المؤلف لم يتأت له معرفتهم او الاتصال بهم ، او انهم لم يجيبوه الى طلبه كما يذكر فى خاتمة الكتاب ، واما لانهم كانوا وقت تاليف الكتاب (1928) فى طور المران ، وشاعريتهم فى نشاتها الاولى ، واما لانهم كانوا لم يطرقوا عالم الشعر بعد .

اليس من واجبنا مرة اخرى ان ندرس شعر هؤلاء الذين قدمهم الينا السيد القباج ، بعد ان نعمل على اخراج دواوينهم الى النور ؟ وبالتالي اليس علينا الا نقف مكتوفي الايدي معقودي الالسنة امام شعراء آخرين لم يذكرهم صاحب الكتاب وهم جديرون بالدراسة قبل ان نسمح لانفسنا بارتجال الاحكام ؟ ان شاعرا قدر له ان يصيح فى احلك الظروف :

---

1) ابحاث الاستاذ محمد الفاسي فى رسالة المغرب عن ابن حبوس والجراوي وابن خبازة الخطابي وغيرهم .
2) كتاب النبوغ المغربي للاستاذ عبد الله كنون .
3) اقصد الحديث عن شعرنا المعاصر فى مجموعه لا على شعراء بالذات .

فاسكني يا عواصف الموت او هبـ
ـي فاعصارنا شديد الهبوب

واخشي يا طلائع الشر وارتد
ي ويا دولة المطامع خيبي

ايها الراتعون فوق ضحايا
كم هنيئا لكم دماء الشعوب !

فاشربوا ملء هامهم واغمسوا الا
يدي في قانيء الدم المسكوب

واجلدوا الناس بالسياط وسوقو
هم جميعا الى جحيم الحروب

منكم قامت السماء وانتم
قادة السلم يا حماة الصليب !! (4)

شاعر كهذا جدير بالدراسة . وشاعر آخر يصيح في احلك الظروف :

بعد العهد بالكرامة والمجـ
ـد وصرنا نخاف سوء المصير !

فاغتدى سائغ الحياة مريرا
ونضير الزمان غير نضير

واغتدى المرء للحياة ملولا
وبما في الحياة غير قرير

اكذا العيش رفعة وانخفاض
وظلام من بعد فخر منير ؟

ام هو الجهل والتخاذل طما
فأعاد الامور غير الامور ؟ (5)

اليس هذا الشاعر جديرا هو الآخر بالدراسة ؟ هذا الذي يقول :

انت مقياس عزمنا وقوانا
فارقبي الموت في سبيل هناك

نحن جند يهوى الفداء ويهوى
موتة العز في ظلال رباك

اننا النار والدمار لقوم
ناصروا الظلم رغبة في رداك

نحن قوم نرى الممات بعز
خير فخر نحوزه وملاك (6)

وهذا الذي يقول :

بلدي والمريض لا يكتم الداء وعود الطبيب في ابانه
بلد عضه الزمان وسم الحية الرقطاء في اسنانه

جعلوا حسنه وبالا عليه
ووبال الزمان في احسانه

كاد ان يفقد التجلد لولا
زمرة المخلصين من شبانه (7)

هذا الشاعر جدير هو ايضا بالدراسة ، وغير هؤلاء ممن لم اتعرض لهم في انتظار فرصة اخرى . وقد تعمدت فيما نقلت من النماذج ان تكون من الشعر النضالي ، الذي لا نعدمه كما يخيل الى كثير من الذين يجرؤون على اصدار احكام اعتباطية لا تستندعلى تعقل او اناة ، او دراسة نزيهة متانية ، لن يكون في الامكان التوفر عليها بالنظر الى بيت واحد او قصيدة واحدة ؛ والواقع ان هناك عوامل سيكولوجية تدفع بمثل هؤلاء الى هذه الاحكام المبتسرة المجردة عن كل تحليل ، فغزارة الكتب التي تعرف بشعراء الشرق ، ونشاط المطبعة العربية في الشرق ، وغزارة الانتاج الشعري

---

4) من قصيدة غروب للشاعر محمد الحلوي نشرت في مجلة الآداب اللبنانية العدد الخامس السنة الثانية 1954 وربما نشرت قبل ذلك في احد اعداد رسالة المغرب .
5) من قصيدة « ايها البحر » للشاعر عبد القادر حسن نشرت في « رسالة المغرب » العدد الخامس والسادس السنة السادسة 1948 .
6) من قصيدة « امة العرب » للشاعر العربي الآسفي عن نكبة فلسطين نشرت بنفس العدد .
7) من قصيدة « ولاء الربيع » للشاعر ابي بكر اللمتوني نشرت في العدد الثامن والتاسع من رسالة المغرب السنة السابعة 1948 .

هناك ، ووضع ذلك الانتاج على محك النقد الـــذي لا يستنكف عن اطراء ما يجب اطراؤه والتنويه بما يستحق التنويه ، كل ذلك وغيره غذى ضعف الثقة بشعرائنا المساكين ، وهم الذين لم يتوفر لهم شيء من ذلك نتيجة ظروف وملابسات قد تكون سياسية حينا ، وقد تكون مادية احيانا ، ولا ننكر انها قد تكون انكماشا احيانـا اخرى ؛ ولو ان احد هؤلاء سمح لنفسه قبل ان يصدر احكامه المبتسرة بقسط من الوقت ليدرس ما سبق نشره من شعرنا الحديث في الصحف والمجلات المغربية وغيرها ، وما اصدرته المطابع من دواوين على قلتها ؛ لو انه فعل ذلك لكان بوسعه ان يصدر احكاما متعقلة مهما قست ، لانها تكون مدعمة بالادلة التي قد لا تدع المجال للجدال ، نزيهة لانها خالية من كل هوى او تأثير خارجي ، وهي بين هذا وذاك تلتمس الاسباب والعلل ، وتتعمق البواعث والمثبطات ولا تتغاضى عن مواطـــن الابداع عند شعرائنا المحدثين ؛ وهي غير منعدمة كما سنستطيع ان نرى ذلك في مقالات مقبلة باذن الله .

وحسب الذين ينكرون على شعرائنا كل ابداع ان يذكروا او يعلموا ان شاعرا مصريا كبيرا خبر الشعر سنين طويلة ، واصدر مجلة شعرية « ابولو » انجبت مدرسة شعرية معروفة في الشعر المصري الحديث ، لقد قال الدكتور ابو شادى عليه الرحمة في شعرنـــا الحديث مرة (8) : «نرى صورا كريمة منه في مجلاته وصحفه المحترمة وفي طليعتها « رسالة المغرب » التي تعد بحق من انفس المجلات في العالم العربي ، وكان من حظنا ان نظفر في آن واحد بعددها الصادر في ابريل سنة 1952 بطائفة من الشعر الجيد للشعراء المغاربة المبرزين عبد المجيد بن جلون ، ومحمد الحلوي ، وعلال ابن الهاشمي الفيلالي » وانتهى الى القول بأن الطابع الغالب على الشعر المغربي طابع رومانطيقي او ابتداعي ، واقتبس ابياتا من قصيدة الحلوي « ميلاد الزهور » وابياتا اخرى من قصيدة علال بن الهاشمي « بين الشاعر والشباب » كما اشار الى قصيدة عبد المجيد ابن جلون « من انت » . هذه شهادة المرحوم الدكتور (ابو شادي) املتها عليه نظرة قد تكون خاطفة ولكنها مع ذلك صادرة عن روح متمرسة بالشعر لا يعز عليها ان تميز الزائف من الجيد والغالي من الرخيص .

وهل لي ان انصح بعض اخواني الذين اتمـــوا دراستهم بالشرق وعادوا الى ارض الوطن اننا بحاجة اكيدة الى كشف الغطاء عن شعرنا في مجموعة قديمة وحديثه ، ودراسته دراسة نقدية وافية ، اكثر مـــن حاجتنا الى الحديث عن شعراء الشرق الذين نعرف عنهم اكثر مما نعرف عن شعرائنا ، والا فلمن نترك اذن واجب هذا الكشف والبحث ؟ قد يتسنى لاخ مشرقي ان يقوم بهذا العمل ، ولكنه يجب ان يتوفر على عديد من المعلومات والحقائق التي تتصل ببلادنا وبيئتها ومركبات سكانها وخنق الاستعمار للمتطلعين من ابنائها وغير هذا من الحقائق التي لا غنى له عنها ولا تكفيه زيـارة خاطفة للالمام بها ؛ وام الاخرس اعرف بلغة الخرسان كما يقول المثل العربي .



محمد الامري المصمودي

واخيرا نتساءل : « هل كانت نشأة الشعر المغربي الحديث سليمة ام كسيحة ؟ واذا كانت واحدة منهما فما السبب في ذلك ؟ ما هي العوامل التي تضافـرت على جعله على هذه الحالة او تلك ؟ وهل هناك خصائص تميز الشعر المغربي الحديث عن غيره ؟ وما مدى تأثر شعرائنا بزملائهم في الشرق العربي ؟ وما موقفهم ازاء موجة التحرر الشعري في الشرق ؟ وما مدى تجـاوب شعرائنا مع الاحداث والرجات الاجتماعية في الداخل والخارج ؟ كل هذه الاسئلة او هذه المواضيع بالاحرى ، وكثير غيرها تنتظر الاجوبة الكافية والدراسة العميقة، واذا كنت اجرؤ على اثارتها ، فاني سوف لا اجبن عن طرقها باذن الله رغم ما يكتنف هذا الطرق من مصاعب وعقبات ، ولن ادعي لنفسي التوفيق لان موضوعا بكرا كهذا خليق بأن يتعرض المرء فيه للزلل ، وهو اذا وجد من يصححه فسوف نظفر بكسب اي كسب لشعرنـا الذي يكثر فيه القيل والقال دونما استناد الى حجـج معقولة .

8) حديث اذيع بصوت امريكا ونشر في رسالة المغرب بعنوان « من الشعر والفن المغربي » العدد 141 السنة الحادية عشرة 1952 .

العدد الماضي في الميزان

الأستاذ أحمد زياد

يفتتح هذا العدد بخطاب العرش ، وهو وثيقة هامة احسنت مجلة «دعوة الحق» صنعا حينما سجلتها واحتفظت بها بين دفتيها .

وننتقل منه الى بحث **الاستاذ ابي الاعلى المودودي** والاستاذ المودودي حينما يكتب ، يكتب عن ايمان اولا ، وعن احاطة تامة بجوانب الموضوع الذي يختار الحديث عنه ثانيا ، وبحثه في ((**كمال الايمان**)) يتجلى فيه الصفاء النفسي الى جانب ما تمتاز به بحوثه كلها من ترتيب في عرض الافكار وعمق في تحليلها ، ولربما كان الناس يعرفون شيئا عن الايمان ، ولكن قليل هم اولئك الذين يعرفون شيئا عن كمال الايمان ومراتبه المتفاوتة ، ولاشك في ان قراءة مقال الاستاذ المودودي ستجعل نفوس المؤمنين متفتحة لتلقي هذا الاشعاع الذي ينعكس في عرض الاستاذ ، ومن خلال تحليله للايمان ولكمال الايمان . وارجو ان يحذو كتابنا الذين يعتنون بالدراسات الاسلامية حذو الاستاذ في طريقة العرض والتحليل التي ينهجها في كتاباته .

وننتهي من قراءة هذا البحث القيم لنقضي لحظات مع الاستاذ **محمد المبارك** وهو يقوم **«باجراء تاديبي»** في حق السيد **محجوب بن ميلاد** . ومنذ ان نشرت ((**دعوة الحق**)) مقال السيد محجوب بن ميلاد بالعدد الاول من سنتها الثانية **حول المؤتمر الاسلامي الذي انعقد بكراتشي** ، والناس ينتظرون ان يكون رد فعل لهذا المقال في نفوس اولئك الذين وضعهم السيد محجوب على مشرحته ، ومن الغريب ان الاستاذ محمد المبارك يذكر في ثنايا مقاله ان السيد محجوب كان لاحظ على بعض المؤتمرين ((**اسفافهم !!**)) خلال مداولات المؤتمر ، في حين ان مقاله المشار اليه ، دل على طول باع في فن ((**الاسفاف**)) والظاهر ان اتجاه المؤتمر لم يرق السيد ابن ميلاد ، ولذلك فهو لم يتردد في التحدث عنه بهذه اللهجة التي لم يكن من داع اليها ، وعلى كل حال فان مقال الاستاذ محمد المبارك اعطى صورة اخرى عن المؤتمر ، وهي الصورة التي ينبغي لمؤتمر اسلامي يعنى بالشؤون الاسلامية في كافة مظاهرها ، وربما بدت في هذا المؤتمر جوانب ضعيفة ، ولكنها لا تكون مبررا للطريقة التي نهجها السيد محجوب بن ميلاد ، وانه لمن المؤسف ان ينحدر النقاش فيما بين كبار الباحثين الى الحد الذي يبدو من خلال مقال السيد محجوب ومن خلال رد الاستاذ محمد المبارك .

اما الاستاذ **محمد الطنجي** فان مقاله عن الزكاة وهل تسد مسد الضرائب ، مقال مفيد طافح بالنصوص ، ولكن الذي ينقصه هو الترتيب في العرض والتحليل ، لان مثل هذه الابحاث يجب ان تخضع لطريقة علمية تدعمها الموازنة واستقصاء جوانب الموضوع . وبالرغم عن النصوص الواردة في المقال فان المشكلة التي تحدث عنها الاستاذ الطنجي ما تزال قائمة لانها تحتاج الى عرض اوسع واضبط .

ويعود **الاستاذ محمد التوزاني** مرة ثانية ليتحدث عن «القضاء الاداري» معقبا على رد كان الاستاذ موسى عبود قد نشره في عدد ماض من مجلة **«دعوة الحق»** ولئن لم يكن لي من الاختصاص ما يسمح بابداء الملاحظات فاني شعرت بمتعة لدى قراءته ، لانه يكون جزءا من حوار يدور حول الطريقة التي ينبغي ان يسير عليها نوع من القضاء في المغرب ، على انني كنت اود من الاستاذ التوزاني ان يتحاشى بعض الكلمات التي لا يستعملها رجال القانون في محاورة بعضهم للبعض ، مثل **«زعم»** و**«ادعى»** لان (زعم) مطية الكذب و(ادعى) نصف الكذب .

وما يزال **الاستاذ محمد الفاسي** يواصل رحلاته مع الرحالة المغاربة ، وهو بهذا يعرف الناس بلون من الانتاج المغربي الذي ينبغي ان يعرفه الناس ، وربما كنت في غنى عن التنويه بمجهود **الاستاذ محمد الفاسي** في هذا الباب ، فمن كثرة ما نوه به الناس اصبح غنيا عن الاشادة والتنويه .

وفي هذا العدد من المجلة كلمة عاطفية رقيقة ، تفيض عبرة وحماسا عن **الشخصية المغربية والشخصية الاسلامية** التي كادت ان تضيع فيما بين « الجمود والجحود » وهي كلمة جادت بها قريحة **السيد المختار ولد اباه .**

اما السيد **محمد برادة** فهو يقدم لنا في هذا العدد مختارات من الادب العربي نقلا عن كتاب «شعراء النصرانية» وكتاب « العقد الفريد» . ولم لا تنشر مجلة «دعوة الحق» مثل هذه المختارات التي من شأنها ان توصل الماضي بالحاضر وتجمع بين الاخطل والحلوي ؟

وموضوع «الوحدة العربية» حظي في هذا العدد بمقال قيم كتبه **الاستاذ محمد الغربي** وهو موضوع خطير كما تعلمون ، والكلام فيه ليس جديدا ، فمنذ مطلع القرن ، وامر **« الوحدة العربية »** يحظى بعناية الكتاب ،ولكن اكثر ما قيل عن هذه الوحدة كان العامل العاطفي مسيطرا عليه — على حد تعبير الاستاذ الغربي — فهل سلك اخونا الغربي مسلكا غير هذا ؟ انني اشك في ذلك .

انه قام بعرض سريع تحدث خلاله عن القوميات ثم تحدث عن العرب واصلهم ووحدة موقعهم وارومتهم، والارض العربية واتساعها والاتصال فيما بين اجزائها وامكانياتها ووحدة مناخها ، ودور الحضارة واللغة العربية كمظهرين من مظاهر هذه الوحدة . وعرض كهذا سيظل الجانب العاطفي مسيطرا فيه ، ومع ذلك فان العرض يشهد بان اخانا الغربي ملم باطراف الموضوع ، غير انه لم يرسم لنا طريقة عملية محددة تمكن العرب من ان يجعلوا من كل هذه العوامل دعائم ترتكز عليها وحدتهم وبالتالي قوميتهم .

ان القوميات التي خرجت من حيز الآمال والآلام المشتركة الى حيز الواقع ، سبقها تصميم رياضي للتقريب فيما بين مستوى المجتمعات المختلفة الراغبة في تحقيق القومية ، وهذا ما نحن في حاجة اليه ، حتى تصبح وحدة المناخ ووحدة الموقع ووحدة الاصل والارومة وحدة متكاملة الحلقات ، وهذا ما يجب ان نبحث فيه حينما نتحدث عن **«القومية العربية»** ونبحث فيه بالعقل لا بالعاطفة المجردة الفياضة ، وبالاسلوب التحليلي لا بالاسلوب الخطابي العاطفي الذي لاحظ اخونا محمد الغربي انه ظل مائلا .

ويتحدث **الاستاذ عبد الحق بنيس** عما سماه **« ثورة في مفهوم التاريخ »** ومما يلاحظ ان السيد بنيس لم يوفق في ان يوجد انسجاما بين العنوان وبين ما ورد في المقال ، فهو يشير الى **«فكرة التخصص»** والتخصص لم يعد ثورة وانما اصبح منهاجا ، والتخصص في التاريخ هو غير الثورة في مفهوم التاريخ فاذا كان الاخ بنيس يعني هذه الدراسات التي تصدر حينا بعد حين ، واذا كان يعني مذهبا جديدا بعينه في دراسة التاريخ ، فان ما ورد في مقاله لم يتضمن شيئا من هذا ويظهر انه فكر في العنوان قبل ان يفكر في نص المقال .



الاستاذ احمد زياد

وفي العدد الماضي صورة واقعية من الحياة المغربية في قصة **«الفقيه الكرفطي»** ولقد وفق الاستاذ ابو بكر اللتوني في رسم هذه الصورة ووفق في ان يحيك لها ظلالا ووفق في ان ينفذ الى اعماق الحياة الشعبية من بعض جوانبها . بقي هل ان «الفقيه الكرفطي» في اطار هذه الصورة ، يدخل في نطاق القصة ام في نطاق الصورة ؟ اما في رايي فان الفقيه الكرفطي صورة اكثر منه قصة ، لان للقصة عناصر لا تتوفر فيما يكتبه الاستاذ اللمتوني على انه قصص .

وفي ((**مذكـرات ديبلـوماسـي**)) المتعـة التـي الفنـاهـا فيمـا يكتبـه . واود ان ازيـد علـى مـا ذكـره ((**الكاتـب الـذي ينـم عنـه اسلوبـه**)) فيما يخص موضوع ((**المؤلف**)) الامريكي (جرونتـر) ، ان (جرونتر) هذا رجل عجيب حقـا ، فهو يؤلف الكتب مثلما يصرف الدولار ، ويحكم على الشعوب بالسرعة التي يقطع بها المسافات عبر الفضاء متنقلا بين القارات، وكتابه ((**داخل افريقيا**)) مليء بالاغلاط والاستنتاجات المغرضة ، واتمنى ان يتولى احد كتابنا امر قراءتـه وتزييف ما ورد فيه من معلومات يستقيها كاتبها مـن ((**مكاتب السياحة**)) ثم ينشرهـا علـى انهـا دراسـة واستنتاج .

ونصل الى باب ((**النقد الادبي**)) والنقـد الادبـي ملازم للحياة الادبية ، ولكن حينما ينحرف هذا النقد ويصبح تراشقا بالالفاظ فانـه يفقد قيمته الادبية ، ويصبح شيئا آخر لا صلة بينه وبين الفكر والادب .

لقد وضع السيـد **محمد عبد الواحد بناني** السيد **محمد التازي** في ميزانه ، ولا اقول في ميزان النقد . والسيد بناني حر في ان ينتقد خصومه كيفما يشاء ، ولكنني لا اقره على سلوكه ، لانني اود ان تكون مجلة «دعوة الحق» ميدانا لنقاش ادبي ممتع ومرح احيانا ، غير اني لا اوافق السيد بناني على الاسلوب الـذي انتهجه في هذا الباب، فلئن سمح السيـد التازي لنفسه بان ((**يمسح الماء ويجفف البحر**)) بالنسبـة للادب في المغرب ، فان ذلك يعد منه حكما قاسيا تجب مراجعته فيه بالحجة والبيان . ثم ان السيـد محمد التـازي يخطيء حينما «يمسح السماء ويجفف البحر» ، ويجب علينا ان نصف احكامه بانها احكام قاسية ومرتجلـة ، ولكن بدون ان نبحث في ((**حالته المدنية**)) لان البحث في الحالة المدنية من اختصاص المكاتب البلدية ، ان السير في هذا الطريق الذي سار فيـه السيد بنانـي يخرج بالادب من دائرة النقاش الادبي الى دائـرة الخصام بل انه يخرج بالخصومة الادبية من جوهـا المنعش الممتع الى جو مخاصمة النسوة في ((**حمام بلدي**)) فهل يرضى السيد بناني ان تصطبغ خصومتنا الادبية بهذه الصبغة خصوصا واني اعرف ان السيـد بناني درس على اساتذة اجلاء يفهمون اسلوب النقد الادبي على منهج آخر . والابيات التي وضعها السيد بناني في صدر مقاله ؟ اليست فيهـا قساوة بالغة ؟ (**فقطع الانامل ولظى الاحراق والقلم الذي يمج لعابـه سما لينفثه على الاوراق**) ، كل ذلك لم يكن له مـن داع ، وكان الانسب ان توضـع آراء السيـد التازي بصرف النظر عن شخصيته لتمتحن في الميزان ، ومن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون .

والـشـعـــر ؟

اما عن الشعر فان العدد الماضي يضـم عـدة قصائد ، منها اثنان في الشعر الموزون ، وما بقي مـن النوع المنثور ، اما الموزون فقـد قراتـه واستوعبته وفهمته ، واما المنثور فالى الله عاقبة الامور .

وانني اشهد القراء بانني لم افهم من ((**كلماتـه المتقاطعة**)) شيئا بالرغم عن محاولاتي لحل الغازه ، وقد يكون فهمي ثقيلا وذوقي غير سليـم ، ولكن ليجـرب من شاء ان شاء ، وليعذرني اصحاب الشعر المنثور ان حال قصور فهمي عن ادراك معاني الشعر في شعرهم المنثور . وفي طليعة «ديوان الشعر» قصيدة صاحبنا الاستاذ **محمد الحلوي** التي عنوانها ((**عيون**)) وهـي قصيدة ابدع فيها واجاد ، والحلوي يبدع حينمـا تكون شاعريته منطلقة توحي اليه الشعر المتحرر من كل «كلفة» فهي قطعة تصويريـة توفـق الشاعر في «تربط» النغمات في ابياتها الوئيدة الرتيبة التي كان شعاعها ينعكس على قضبان الشباك ، ولولا بيت واحد اعده ((**فضوليا**)) في هذه القطعة لما كان هناك اي نوع من انواع التشويش .

تحدث الحلوي في قطعته من ((**عيون**)) وقص علينا في ابيات قصيده بعض ما جرى له مع تلك «العيـون» وويل للشعراء من «العيون» ولكن البيت الفضولي قطع هذا الشريط بظلاله الثقيلة ، والبيت الفضولي هو هذا الذي يقول فيه :

ما درت ان سحرها يدع الاسد حيارى ويصرع الاهراما !!

فما للعيون والاسد والاهرام يا استاذ ؟ دع المنظر يسير ، فالموضوع موضوع عيون ، لا موضوع «سيرك» وحفريات ؟

اما (**صلوات الشاعر احمد البقالي**) فهي صلوات خاشعة رهيبة لولا لفظة ((**الحيوان**)) التي اضطرته اليها القافية في بعض الابيات ، وما عدا هذا فلا يسعنا سوى التامين معه عقب كل دعاء من دعواته الخاشعة .

ولا يسعني الا ان اعرب عن اسفي الشديد لانتاج السيد **محمد الطنجاوي** فى هذا العدد ، فقصيدته «تعاويذ» ليست سوى **((تعاويذ))** تفوح منها رائحة الشموع والبخور وصوت سمهروش سيد الجن العظيم ! وتلك امور مزعجة لا تمكن شاعرا من ان يقول شعرا ونبدا رتيبا وعميقا ، وبهذه المناسبة احب ان اشير الى ان الشعر العربي تعود ان يسير على نغم موسيقي ، واصبح هذا النغم جزءا منه ، لانه يتلاءم مع جوهر اللغة العربية وطبيعتها الصوتية ، وله اصول وقواعد تمكن الناقد من ان يستخدمها لاعطاء راي ، اما هذا الشعر المنثور فهو حر طليق ، وليبق حرا طليقا ان شاء اصحابه وعشاقه ، ولئن كانوا يؤمنون بان هذا الكلام شعر فلهم دينهم ولنا ديننا ، واذا كان هناك قراء اعجبوا بهذا الشعر المنثور الذي نشرته دعوة الحق » فانني اغبطهم على هذه النعمة .

بقيت قصيدة اخرى ترجمها السيد محمد حمود عن الفيلسوف العظيم **(اقبال)** وهي فى موضوع **((مسجد قرطبة))** ولا اشك فى ان القراء استطاعوا ان يلمسوا من خلالها روح الشاعر العظيم وهي حلة من جلال الايمان وصفاء الروح اللذين عرف بهما الشاعر اقبال .

وفى مطالعات وآراء : عرض لبعض الكتب التي صدرت اخيرا ، وارجو ان يستمر هذا الباب فى الظهور ، وارجو ان يتسع نطاقه حتى يكون القارىء على علم ((**بالصادرات**)) .

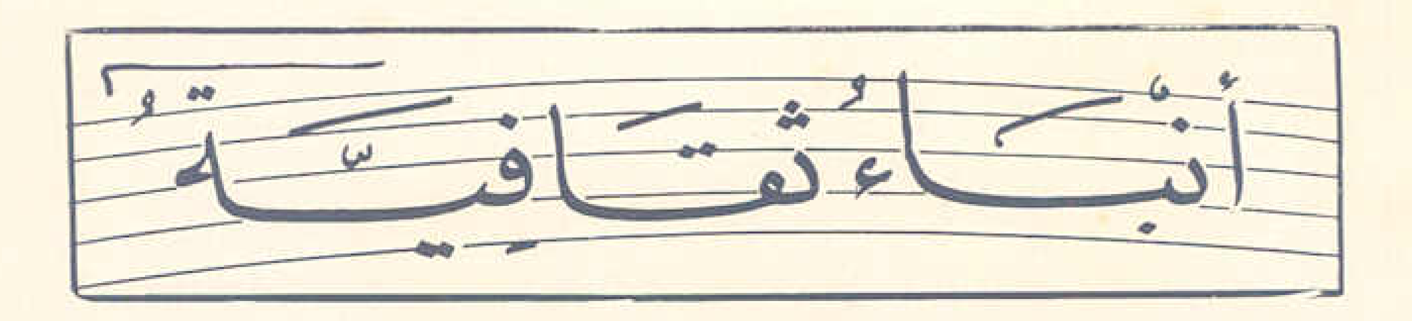
وهناك باب تضعه مجلة ((**دعوة الحق))** ضمن ابوابها الدائمة ، ولكن الاخ **عبد القادر الصحراوي** ما يزال لم يعثر له على **((مرشح))** - فيما يظهر - واعني به **((القراء يسالون والمجلة تجيبهم))** فهل هم يسالون والمجلة لا تجيب؟ ام فلاهم يسالون ولا المجلة تجيب ؟

ولا يسعني الا ان انوه بهذا الجهد الجبار الذي يبذل فى باب **((انباء ثقافية))** فمجلة **((دعوة الحق))** تضاهي فى هذا الباب اكبر واعظم المجلات الادبية والنشرات الثقافية .

*

وبعد : فهذه آرائي الشخصية فيما تضمنه العدد الماضي ، ولا اجعل منها حبلا اطوق به عنق غيري لانني لا اريد ان اكون ديكتاتوريا يفرض آراءه ، وان كنت وصفت بعض الاحكام بانها احكام صحيحة فهي صحيحة بالنسبة لي ، وبالنسبة لمن يتفق معي فى صحتها . وانا على استعداد لاناقش الاخوان الذين يرون غير ما اراه ، وانما بشرط ان يكون النقاش منطقيا وسليما ، ولا باس ان يكون فيه لذع حلو بريء ، على انني لست على استعداد للرد على من يستعمل فى الخصومات الادبية الاسلوب الذي يستعمله النسوة فى الحمام .

وليعلم الاخ الصديق الاستاذ عبد القادر الصحراوي انني لا اقول رايي فى النصوص الادبية الا بعد فحصها فحصا جيدا ، يتطلب مني احيانا جهدا عظيما ، وافعل هذا متى كان النص الادبي قمينا وخليقا بهذا الوصف . واقول للاخ الصديق انني - وهذا ليس بفشر - اعكف منذ ثلاثة اسابيع على قراءة نص ادبي لابي حيان التوحيدي بقصد استيعابه ، ومن ثم فانني لا انام لاستيقظ فى الصباح واصدر الاحكام الادبية، كما انني (لا افر الى التنكيت) الا بقصد الترفيه على القراء ، لانني ما كنت جبانا فى حياتي الادبية وغير الادبية والحمد لله . والاخ الصحراوي يعرف ذلك اكثر من غيره ، وانني اود اخيرا ان يكون كل نقاش فى موضوع ادبي يهيمن عليه العقل قبل ان تهيمن عليه الاعصاب .



※ صدر عن ديوان صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس كتاب في ثلاثة اجزاء بعنوان «انبعاث أمة» ويشتمل هذا الكتاب على جميع الخطب التي القاها ملكنا المعظم في شتى المناسبات ابتداء من 7 نوفمبر 1955 الى 17 نوفمبر 1958 . انه لسفر جليل يؤرخ لحركتنا الانبعاثية في اطوارها ، وحلقاتها ، وثباتها من خلال الكلمة المالكة . نهنيء المشرفين على اصدار هذه الخطب الملكية البليغة من رجال الديوان الملكي .

※ ستمنح «جوائز المغرب» كما جرت العادة في كل سنة من طرف لجنة يترأسها السيد وزير التربية الوطنية والشبيبة والرياضة وستوزع في هذه السنة 1958 اربع جوائز لكل مؤلف يتعلق بالمغرب ويستوفي الشروط الآتية :

– كل كتاب ادبي مبعثه الخيال محرر باللغة العربية .

– كل كتاب ادبي مبعثه الخيال محرر باللغة الفرنسية .

– كل كتاب يتعلق بالعلوم الاخلاقية والاقتصادية والتشريعية والسياسية او التاريخ والجغرافية ويكون محررا باللغة العربية .

– كل كتاب يتعلق بالعلوم الاخلاقية والاقتصادية والتشريعية والسياسية او التاريخ والجغرافية ويكون محررا باللغة الفرنسية .

※ يفكر الاستاذ علال الفاسي طبع ديوانه الذي اطلق عليه «روض الملك» . فعسى ان يصدر هذا الكتاب قريبا لنتمتع بقراءة شعر الاستاذ الفاسي الممتاز .

※ تشجيعا للمواهب الادبية الصاعدة خصص برنامج «مجال الاديب» بالاذاعة الوطنية المغربية مسابقات شهرية في المجالات الادبية .

※ اصدرت مجلة الاذاعة الوطنية بالرباط عددا خاصا بالاعياد الثلاثة المجيدة يضم مادة ادبية جيدة.

※ قصد المغرب الاستاذ حلمي مراد الذي عرفناه في مجموعته «كتابي» المصرية وفي نية الاستاذ حلمي تاليف كتاب عن المغرب وتياراته .

※ بعدما زار المغرب الاستاذ محمد علي الطاهر بعث الى الاستاذ الزعيم علال الفاسي رسالة شكر وتقدير واعجاب نشرتها كثير من الصحف الشرقية ، وفي جملتها مجلة «الاديب» اللبنانية – عدد شتمبر الماضي .

※ أصدر الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون كتابا جديدا بعنوان «خل وبقل» محتويا على مقالات في الادب والنقد والبحث والاجتماع .

※ تجري في هذه الايام مباحثات بين المغرب والعراق لعقد اتفاقية ثقافية بينهما .

※ ان عدد الطلبة المغاربة الموجودين الآن في فرنسا يتابعون دراستهم في مختلف كليات فرنسا ، يبلغ مجموعهم تسعة مائة وسبعين طالبا من بينهم 269 من الاناث وهم كما يلي : 215 يدرسون الحقوق 120 يدرسون الادب ، 188 طالبة يتابعن دراسة الادب كذلك ، 230 يتابعون علم الطب ، 38 طالبا يتابعون علم الصيدلية ، 152 يدرسون العلوم المتنوعة

※ قدم العالمان فالوا مدير متحف الانسان في باريس وروش مذكرة الى اكاديمية العلوم في باريس تتحدث عن عظام قديمة اكتشفت في احدى المغاور بالقرب من العاصمة المغربية . واهم هذه العظام فك بشري . والمعتقد انها تعود الى 180 الف سنة . ويعتقد العالمان ان صاحب الفك هو انسان بدائي جدا كما تدل على ذلك اسنانه الكبيرة وشكل الفك . وهذه المعلومات تدل على ان افريقيا الشمالية كانت آهلة بالسكان منذ قديم الزمان .

※ ابتداء من شهر نوفمبر الماضي نظمت في المغرب دراسات من نوع جديد لاعضاء المجالس البلدية ، فقد افتتح بالقرب من الرباط مركز قومي للتربية الاساسية . وسيتلقى هذا المركز خلال عامه الاول حوالي ثلاثين طالبا ، على ان يرتفع عددهم الى خمسين في وقت قريب ، ويصبح هؤلاء بعد انجاز امتحاناتهم النهائية في ذلك المركز مدرسين يتولون بعدئذ الاشراف على شبكة من المراكز الاقليمية . وفي هذا المركز سيتلقى اعضاء المجالس البلدية والقروية دراسات واسعة المفعول . وتنوي الحكومة المغربية انشاء ستة مراكز لتدريب الاداريين القرويين . وسيفتتح المركز الاول منها على اساس التجربة في يناير 1960 .

※ مثل المغرب في الدورة الرابعة لمؤتمر ادباء العرب الذي انعقد بالكويت من 20 دجنبر الى 28 منه الاساتذة : عبد الكبير الفاسي ، سفير المغرب في تركيا وايران ، عبد الهادي التازي ، رئيس القسم الثقافي بوزارة التربية الوطنية ، محمد عزيمان نائب وزارة التعليم في الشمال سابقا ، عبد القادر حسن .
تنبيه : ربما هناك عضو آخر اجهله . فتحقق منه .

※ صدر للشاعر التونسي منور صمادح ديوان جديد بعنوان : «مولد التحرير» وهو الديوان السادس الذي ينشره هذا الشاعر في مدى اربع سنوات . فقد نشر ديوانه «الفردوس المغتصب» سنة 1954 . وفي نفس العام نشر ديوانه الثاني «فجر الحياة» الذي حجزته السلطات الفرنسية .

※ اقامت مكتبة الشرق في طرابلس الغرب — ليبيا معرضا للكتاب ضم مجموعة من الكتب العربية والاجنبية .

※ سيعقد في القاهرة في شهر فبراير القادم مؤتمر الشباب الاسيوي والافريقي . وقد وافقت سبع وستون دولة على الحضور في هذا المؤتمر .

※ صدر العدد الاول من مجلة «العالم العربي» التي يديرها ويراس تحريرها الاستاذ اسعد حسني وهذا العدد خاص عن المغرب ، زين غلافه بطلعة صاحب الجلالة محمد الخامس . ويشتمل العدد على بحوث في الادب والاجتماع والسياسة .

※ قررت جامعة الازهر تدريس اللغات الالمانية والفرنسية والانجليزية في جميع مراحل التعليم في الازهر .

تكونت لجنة من بنت الشاطىء ، وسعد مكاوي وعبد الحليم عبد الله لاعادة تقدير القصص الخمسين التي اختارها الادباء لدخول مسابقة نادي القصة المصري .

※ تدرس وزارة التربية والتعليم في الاقليم المصري مسالة انشاء مدرسة جديدة لتعليم الفتاة فن التجميل .

※ كررت دور النشر المصرية طبع الكتب التي صدرت في العامين الاخيرين بكميات هائلة ، وذلك بعد فتح سوق العراق امام الكتاب المصري .

صدر في القاهرة الجزء الرابع عشر من كتاب الاغاني عن دار الكتاب .

※ وصل الى القاهرة الدكتور سنكوفسكي احد العلماء المختصين في علم الطبيعة في المانيا ليقدم مساعدات للمركز القومي للبحوث في القاهرة .

※ «ديوان من الدواوين» هو عنوان الديوان الجديد الذي ظهر حديثا للاستاذ عباس محمود العقاد وهو مقتبس من دواوينه السابقة بدءا من يقظة الروح الى ما بعد البعد .

والكتاب يسد حاجة طلاب الدواوين التي نفدت طبعاتها وافتقدها الادباء والمتادبون والباحثون والنقاد فلم يجدوها ، وهو فوق ذلك يجمع اختيار العقاد نفسه لاوفى ما في دواوينه واحقه بالتقديم . فهو يصور شعر العقاد كله في مراحل نموه وتطوره ، ويسعف من فاته بعض دواوين الشاعر في ابان ظهورها .

※ انجزت دار احياء الكتب العربية طبع الجزء الثامن من تفسير القاسمي المسمى «محاسن التاويل» بقلم علامة الشام الامام محمد جمال الدين القاسمي .

※ ابتكر مصري من سكان القاهرة اسمه احمد جمعة آلة كاتبة للجيب استغرقت منه اكثر من عشر سنوات . وكان المخترع قد تقدم بفكرة مشروعه الى وزارة الصناعة في 23 مارس 1947 وبعد سنة ردت لجنة البحوث الفنية بان المشروع لا يفيد عمليا .. وفي النهاية بادر المخترع بعرض فكرته على معهد المخترعين الاميركيين بواشنطن . وقد اقر المعهد الفكرة وسجلها في نشرته الدورية التي يوزعها على المصانع والشركات الاميركية حتى يتسنى لها امكانية انتاج آلة الجيب للكتابة .

* صدرت عن دار المعارف بالقاهرة مجموعة من كتب فى التربية الفنية تتحدث عن الفن والتعبيرات الفنية ورسوم الاطفال ، ووظيفة الفن فى التعليم ، واتجاهات التربية الفنية وغير ذلك من الموضوعات التي تهدف الى رفع المستوى الفني فى المدرسة والبيت والمجتمع .

* اعيد فى القاهرة طبع كتاب الفنون الاسلامية لديماند وترجمة الاستاذ احمد عيسى . وقد جمع هذا الكتاب بين دفتيه فنون الاسلام المختلفة ما بين تصوير ونحت وحفر وخزف وزجاج ونسيج وابسطة وغيرها . ومؤلف هذا الكتاب من العلماء القلائل المختصين بالفنون الاسلامية وتاريخها . وبهذا الكتاب قاموس بمعاني الالفاظ الاجنبية الاصطلاحية .

* «سيد درويش» هو عنوان الكتاب الذي اخرجه الاستاذ فكري بطرس ليسهم به فى ذكرى الشيخ سيد درويش الذي يعده المؤلف رائدا وطنيا واجتماعيا وفى هذا الكتاب فصول عن نشاة الشيخ ، وموسيقاه والحانه الشعبية . وقد ختمه المؤلف ببحث عن الحياة الشخصية لسيد درويش .

* يعمل ادباء الاسكندرية على تكوين جمعية ادبية تنضم الى الاتحاد العام للادباء فى القاهرة .

* اصدرت مصر الكتب الآتية : «دراسات فى النقد الادبي» للدكتور مصطفى ناصف «التربية المدنية المتغيرة» لكلباترك ترجمة الدكاترة عبد الحميد السيد ، ونجيب اسكندر ، والهادي عفيفي «أميرة بابل» لمحمد لبيب البوهي «ديوان مجنون ليلى» لعبد الستار فرج «دراسات اجتماعية فى الواحات الخارجية لامينة الصاوي «بيت الدمى» لابسن ، ترجمة كامل يوسف «ارجل العجوز» لكوركي ، ترجمة الشلاوي .

* نظمت فى القاهرة سلسلة من المحاضرات ابتداء من نوفمبر الماضي الى غاية ابريل يقوم بالقائها ادباء من مختلف الاقطار العربية : ميخائيل نعيمة من لبنان ، ومحمد العبوس ، وصلاح ناهي من العراق والدكتور أحمد السمان ، وماجد الحلواني ، وشكري فيصل والامير مصطفى الشهابي من سوريا والدكتور عبد الله الطيب من السودان والاستاذ عبد الله كنون من المغرب .

* اثيرت فى الصحف المصرية مؤخرا ضجة عنيفة ضد الاستاذ توفيق الحكيم الذي اتهم من طرف بعض النقاد المصريين ان كتابه «حمار الحكيم رقم 2» مختلس من كتاب «بلاتيرو وانا» للشاعر الاسباني الكبير خوان رامون خيمينث . وكلمة «بلاتيرو» هي الاسم الذي اطلقه الشاعر الاسباني على حماره . فهل يا ترى صدق النقاد فى نقدهم ؟

* خصصت الجامعة السورية خمسا وستين مقعدا لابناء الجزائر المحتاجين للدراسة والمشردين من قبل القوات الفرنسية . كما ستهدي الجامعة الى الخزانة الجزائرية كل مطبوعاتها من الكتب .

* تنشر مجلة «العرفان» التي تصدر بصيداء ـ لبنان فصولا متسلسلة عن تاريخ الادب المغربي للاستاذ عبد الصمد العشاب من طنجة .

* كتب الدكتور محسن جمال الدين دراسة قيمة عن كتاب «النبوغ المغربي فى الادب العربي» للاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون فى مجلة «الاديب» اللبنانية عدد شتمبر الماضي . وقد حمل الدكتور فى مطلع دراسته على البحاث والكتاب الشرقيين لاهمالهم الكلي للدراسات الادبية فى شمال افريقيا قائلا : عيب المؤلفين والدارسين للنهضة الثقافية العامة فى شرقنا العربي اهمالهم الكلي للدراسات الادبية المغربية فى شمال افريقيا» .

* مثلت للطبع فى لبنان ما يقرب من ثمانية مؤلفات للشاعر الخطيب الدكتور نقولا فياض الذي توفى اخيرا فى لبنان .

* اصدرت مجلة «الآداب» اللبنانية عددا خاصا بالثورة السورية فى لبنان والعراق . وقد شارك فى هذا العدد اشهر كتاب لبنان والعراق وسوريا .

* صدر عن دار الثقافة فى بيروت كتاب «تاريخ سوريا» للمؤرخ اللبناني المعروف الدكتور فليب حتى

* «الثورة فى الفكر السياسي» هو عنوان كتاب جديد صدر ببيروت لمؤلفه الدكتور حسن صعب . ويشتمل الكتاب على دراسة علمية لمفاهيم الثورة فى التاريخ العربي منذ القرن السابع حتى الآن .

* ترجم الدكتور سهيل ادريس وقرينته عائدة الى العربية كتاب «عارنا فى الجزائر» للفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر . ويفضح هذا الكتاب الاسلوب الاستعماري الفرنسي ويكشف تركته الوحشية من فظائع واهوال فى الجزائر ويحلل نفسية المستعمرين اصدق تحليل .

* اصدر الشاعر «البدوي الملثم» مؤلفا درس فيه حياة وشعر شاعر الاردن المرحوم مصطفى وهبي التل بعنوان «عرار ـ شاعر الاردن» وقد لقب هذا الشاعر بـ «عرار» .

* سافر الى دمشق الدكتور يوسف ادريس مندوبا عن المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون فى القاهرة للعمل على تشكيل اتحاد الادباء فى الاقليم السوري على غرار اتحاد الادباء العرب فى الجمهورية العربية المتحدة . وقد عقد اجتماع حضره فريق كبير من الادباء مع اعضاء الهيئة العامة للاتحاد ثم تليت مواد القانون الاساسي فتمت الموافقة عليه . وقد جاء فيه : ان الاتحاد يعمل للاهداف الآتية : تعزيز النشاط الادبي ورفع مستواه . جمع شمل الادباء ورعايتهم والدفاع عن حقوقهم وتمثيلهم ، وتنسيق الاعمال بين ادباء الاقليم الشمالي ، والاقليم الجنوبي ؛ وتوثيق الصلات بين الادباء العرب ؛ وتيسير سبل الانتاج ، وتسهيل النشر والتوزيع . وتنص المادة الرابعة بأن لا دخل للاتحاد فى الشؤون السياسية والدينية . وقد جرى انتخاب الامين العام للاتحاد ففاز فؤاد الشائب ، وجرى الاقتراع على الهيئة الادارية المؤلفة من عشرة اعضاء ففاز بالعضوية كل من امجد الطرابلسي ، خليل الهنداوي ، الدكتور ابراهيم الكيلاني ، الدكتور جودة الركابي ، السيدة عزيزة هارون ، سعد صائب ، الدكتور عمر النص ، الدكتور عبد الله عبد الدائم ، شوقي بغدادي ، احمد سليمان الاحمر .

* « الفكر » هو اسم مجلة صدرت حديثا فى بغداد .

* اصدرت مجلة « النجف » العراقية عددا خاصا بالثورة العراقية .

* كان لصدور ديوان « ساق على الداثوب » للشاعر العراقي هلال ناجي حديث المجامع الادبية ، والاسواق الشعرية فى العراق . ويشتمل الديوان على مجموعة من الشعر الوطني الحماسي الذي يفيض بالروح القومية العربية ، والنفثات الوطنية المتقدة ، والنفحات الوجدانية الجياشة بالحب والعاطفة والاشعاع

* خصصت اذاعة بغداد برنامجا جديدا تذيع فيه الشعر العربي الثوري لشعراء البلاد العربية .

* يقوم الامير الشاعر صقر بن سلطان القاسمي، حاكم امارة الشارقة بطبع ديوان يضم اكثر من الف بيت ، كلها من وحي الثورة المصرية عنوانه « انتفاضة العملاق »

* ترجمت رواية « الدكتور تشيفاكو » لبوريس باسترناك الى اللغة العبرية . وعلى اثر صدور هذه الطبعة العبرية نفذت جميع نسخها .

* اذاعت وكالة طاس ان جائزة «لينين للسلام بين الدول » قد احرز عليها فى هذه السنة الكاتب الالماني ارنولد جويلك .

* انتخبت الاكاديمية السوفياتية للعلوم عضوين مراسلين من الجمهورية العربية المتحدة وهما تركي احمد رياضي العالم فى ميدان الكيمياء الكهربائية ، ومدير مركز الابحاث الوطني فى الاقليم المصري ، وخليل مردم رئيس المجمع العلمي العربي فى دمشق .

* ترجمت الى اللغة الروسية فى موسكو مجموعة قصصية لكتاب سوريين . قام بتقديمها الشاعر الروسي نقولا تيخونوف .

* يهتم الكتاب السوفييت بكفاح العرب فقد كتب الشاعر الجورجي جوزيف نونشيفلي قصيدة طويلة عنوانها « فى بيروت » تتحدث عن شجاعة الشعب العربي فى دفاعه عن حريته واستقلاله ، كما كتب الكاتب الجورجي قصة بعنوان « انياب الوحش » يتحدث فيها عن الحياة القاسية التي يتعرض لها صبي فى الجزائر .

* عثر علماء الآثار فى برنو ـ تشيكوسلوفاكيا فى الحفريات التي اجريت مؤخرا على اعوان فخارية وبرونزية يعود تاريخها الى سنة 700 1 ق . م . والغريب ان هذه الآثار المكتشفة لم تتفسخ ، أو تتأثر بالتراب الذي كانت مطمورة فيه .

* توفي فى بلغراد الموسيقي الصربي الكبير ستيفان هريستيتس عن 73 سنة . وقد كان من المؤسسين للاوكسترا محبي الموسيقى فى بلغراد ، كما انه كان يشغل منصب بروفسور فى اكاديمية الموسيقى

* تم فى فرانكفورت افتتاح اكبر معرض للكتب فى العالم . ويقع فى الفهرس الخاص بكتب دور النشر الالمانية ما يزيد على الف صفحة . واصبحت فرانكفورت

اليوم تعتبر عاصمة الكتب والطباعة بالمانيا ، وسوق الكتب العالمية بعد ان كانت مدينة لا ببريج السوفيانية تحتل هذا المركز فيما مضى . وقد ضم هذا المعرض مختلف انواع الكتب والتآليف المتعلقة بجميع العلوم والفنون وكتب التسلية والقصص والروايات . ومن جملة من تكلم فى هذا المعرض الشاعر السويسري ماكس فرانس ، والفيلسوف الالماني كارل ياسبريس الذي تكلم باسم جمعية المؤلفين ، واشاد ماكس بالجهود التي تبذل فى سبيل اقرار السلام فى العالم عن طريق الثقافة . وقد قدم 14 قطر مجموعات ضخمة من منتوجات مؤلفيها منها 9 تنسب الى المعسكر الشيوعي، كما اشتركت عشرة اقطار اخرى ، منها اليونان ، وسيلان ، واسبانيا ، وجنوب افريقيا ، كما تكلم الدكتور كونست عن اهمية هذا المعرض بصفته السكرتير العام لاتحاد الناشرين وواصفا اياه بكونه اكبر معرض من نوعه فى العالم . وكان من نتائج المعرض المثمرة انه تقرر تكوين جمعية اوربية للناشرين تتكون من اعضاء من ايطاليا ، وفرنسا ، وانجلترا ، واسبانيا ، والسويد ، وتعتبر المانيا الغربية اليوم الدولة الرابعة فى العالم من حيث انتاج الكتب بعد الاتحاد السوفياتي ، واليابان ، وانجلترا ، ويعد معرض فرانكفورت هو المعرض العاشر الذي اقيم بعد الحرب الاهلية .

* اقام الناشرون فى مدينة فرانكفورت بالمانيا الغربية سوقا للادب اشترك فيها 600 ناشر اجنبي بالاضافة الى مائة ناشر الماني . وفى العام الماضي منحوا جائزة السلام للفيلسوف الوجودي كارل يسبرز . اما هذا العام فقد منحوها للكاتب الاميركي ثورنتوس ويلدر .

* سيصدر قريبا فى هولندا باللغة الالمانية كتاب مقدمة « لتاريخ الثقافة الاسلامية » للدكتور حسين مؤنس .

* نعت المانيا شاعرها الكبير جوها بتشير .

* انفقت ست دول على اصدار طابع بريد واحد يصلح للتداول فيها ويحمل اسم « اوربا » فى اسفله وفى اعلاه اسم البلد . وهذه الدول هي المانيا الغربية ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وايطاليا ، ولكسمبورج ، وهولندا .

* منحت جائزة نوبل للسلام لهذا العام الى القس البلجيكي جيورجيس بيير .

* من احسن الجوائز الادبية فى فرنسا « جائزة فمينا » التي منحت فى هذه السنة الى السيدة فرانسواز ماليط جوريس البالغة من العمر 28 سنة عن كتابها « الامارة الزرقاء » . والسيدة جوريس ام لثلاثة اولاد وهي من اصل بلجيكي . تلقت تعليمها فى بلجيكا ، وفيلا دبلفيا ، وسويسرا ، وايطاليا ، وفى السربون .

* توفي مؤخرا الكاتب والناقد الفرنسي الشهير فلياس لباسك وعمره 82 سنة . ولم تبلغ شهرته الادبية عن طريق التعليم النظامي فى المدارس . فقد اجبرعلى الانقطاع عن المدارس من يوم اصيب بمرض الزمه الفراش وعمره اذذاك 15 سنة، ومنذ ذلك الوقت اصبح يملأ اوقات فراغه بالمطالعة والدرس . فقد استطاع ان يكون نفسه بنفسه ، حيث تعلم 15 لغة من اللغات الكلاسيكية ومن بينها اللغة الفرنسية لعهد القرون الوسطى كما تعلم كثيرا من اللغات الحية ، واتقنها بصفة مكنته من ترجمة كثير من المؤلفات . وما ان شفي من مرضه بعد سنين طويلة حتى هب لخدمة الاراضي التي ورثها عن والديه الى جانب اشتغاله بالدرس والتاليف .

* فى احصاء اجراه مكتب التعليم الدولي فى 73 دولة تبين ان اكثر من ثلث وقت الدراسة فى المدارس الابتدائية مخصص للغات . و 16 فى المائة للرياضيات و10 فى المائة للعلوم الطبيعية. وقد كانت هذه الاحصائيات اساسا لمناقشة برنامج التعليم فى المؤتمر الدولي الاخير للتعليم العام الذي عقد فى جنيف . وقد تبين ان البلاد التي تخصص اكبر وقت لتعليم اللغات هي المغرب ، وتونس ، والاتحاد السوفياتي ، وايران ، ولكسمبورج ، والبانيا ، وكمبوديا ، وافغنستان ، والبرازيل ، وغانا ، ورومانيا ، والولايات المتحدة .

* عهدت دار المنشورات العربية فى باريس الى المستشرق لاووست الاشراف على اصدار سلسلة دراسات عن الاسلام والعرب .

* توفي فى باريس جورج له كونت السكرتير الدائم للاكاديمية الفرنسية ، وله عدة مؤلفات .

* من طريف اخبار باريس – وكثيرا ما تاتينا منها اخبار طريفة – انه افتتح فى هذه العاصمة معرض للفنانين المشوهين من الذين يرسمون اللوحات او ينحتون التماثيل بافواههم وارجلهم . وعرض فى هذا المعرض 150 لوحة وعشرة تماثيل اشترك فى رسمها ونحتها فنانون مشوهون ينتمون الى بلدان اوربية

مختلفة . احدهم الماني يرسم ويحفر على الخشب بقدميه .

* حوكمت اخيرا الروائية الفرنسية الشهيرة فرانسواز ساغان بتهمة السرعة الكبيرة التي كانت تسوق بها سيارتها حتى اوقعتها في حادثة كانت ستقضي على حياتها منذ اكثر من عام .

* اعلنت الروائية الفرنسية الشابة فرانسواز ساغان عن صدور رواية لها في 400 صفحة في شهر ماي القادم .

* لقد اثارت وفاة الرسام الفرنسي الكبير دوو الذي توفى فى باريس ضجة فنية وثقافية فى الصحف والمجلات الثقافية وقد صدرت عنه كثير من المؤلفات .

* بمناسبة الاحتفال بذكرى الشاعر الفرنسي بول فاليرى نشر صديقه هنري موندور كتابا اسمه « احاديث خاصة مع بول فاليرى »

* خواكين روميرو مورا ، الطالب بكلية الحقوق ببرشلونة البالغ من العمر 18 سنة قد احرز على الجائزة المسماة « الجائزة العالمية الادبية » التي منحتها له احدى دور النشر بباريس بمناسبة معرض بروكسيل . وقد خصت هذه المسابقة بالشباب الذين لا تفوت اعمارهم عن 25 سنة . وموضوع هذه المسابقة هو « ما هو احسن كتاب ادبي فرنسي اعجبك ، ولماذا ؟ »

* اصدرت مجلة (كراكولا ـ الصدفة) الخاصة بالشعر والتي تصدر بمالقا ـ اسبانيا عددا خاصا ممتازا عن الشاعر الاسباني الكبير ادبانودي فايي الذي توفى مؤخرا باسبانيا .

* توفي في هذه الايام ببرشلونة ـ اسبانيا النحات الاسباني الكبير خوسي كلارا عن ثمانين سنة . وقبل وفاته بايام كان قد احرز على جائزة الفنون التي يمنحها خوان مارش .

* توفي اخيرا الفيلسوف البرتغالي الكبير خواكين دي كارفالهو عن 78 سنة .

* تقدم مجلة « اوليس » الثقافية الدولية فى روما جائزة « كورتينا اوليس » الاوربية وقدرها مليون ليرة ايطالية لمن يقدم احسن مؤلف علمي شعبي على ان يكون قد نشر للمرة الاولى خلال الخمسة اعوام الماضية .

* عن 94 سنة توفي في احدى المستشفيات الانجليزية فيتكوندى ثيثل دي ويلوولد الحائز على جائزة نوبل للسلام لسنة 1937 .

* توفى فى بريطانيا الدكتور رالف فون وليامز المؤلف الموسيقي البريطاني الشهير وعمره 85 سنة .

* نعت انجلترا الكاتبة الكبيرة مارين ستوبسي عن 78 سنة . ولهذه الكاتبة عدة مؤلفات مهمة فى شؤون المراة ودفاعها عن حقوقها .

* اصدرت الكاتبة الانجليزية المختصة فى دراسة الادب الفرنسي الآنسة ريتشاردسون كتابا عن حياة الشاعر الفرنسي تيوفيلو كوتير الذي نسته الاوساط الادبية الفرنسية . وكان هذا الشاعر فى عصره من اشهر الشعراء الفرنسيين الكبار حتى ان صاحب « ازهار الشر » بودلير كان يدعوه دائما باستاذي الكبير . الا ان الذوق الشعري المعاصر اصبح لا يستسيغ انتاج تيوفيلو فاهمل .

* اصدرت القاصة الانجليزية دوريس لنج المنتمية لجمعية « الشبان الساخطون » قصة بعنوان « من العاصفة » كان لها اكبر الوقع فى نفوس الادباء والقراء المتذوقين .

* سجلت مكتبة الكونغرس الاميركي روائع الكتب العالمية ليستفيد منها المكفوفون .

* توفي الدكتور ارنست لورنس الفائز بجائزة نوبل للطبيعيات فى سنة 1939 فى مستشفى بالوالتو بعد عملية جراحية اجريت له . ويبلغ الدكتور لورنس السابعة والخمسين من عمره وكان مديرا لمختبر الاشعاع فى جامعة كاليفرنيا ، كما كان عضوا فى مؤتمر علماء الذرة الاخير فى جنيف . ولكنه اضطر الى ترك المؤتمر والعودة الى الولايات المتحدة بعد اصابته بمغص معوي .

* ان جائزة « انريكوفرمي » التي تبلغ قيمتها 50 000 دولار قد احرز عليها فى هذا العام العالم الاميركي الدكتور اوخيني فكنير الاستاذ بجامعة برينستون .

* اجري احصاء رسمي فى الاشهر الاخيرة اتضح منه أن سكان الولايات المتحدة الاميركية يبلغ عددهم : 174 638 324 .

* منحت جائزة الطب لهذه السنة الى ثلاثة علماء اميركيين هم جورجي ببادلي ، ادوارد طاطوم، جوسوان ليردبرج .

* فى مدينة بوجاتو بكولومبيا سيفتتح معهد جديد للدراسات الشرقية. وسيكون هو الاول من نوعه فى اميركا اللاتينية . والغرض منه دعم العلاقات الثقافية مع بلدان الشرق .

✻ عقد طلبة الشمال فى مدينة تطوان مؤتمرا عاما لدراسة بعض نواحي الاهمال التي يشعرون بها . وقد ضم المؤتمر مندوبين عن المعهد العالي والمعاهد الثانوية الدينية والعصرية للبنين والبنات بتطوان وشفشاون والقصر الكبير والعرائش والناضور والحسيمة . واصدر المؤتمرون بعد انتهاء دورات المؤتمر هذه الملتمسات :

تدريس المواد العلمية فى الاقسام الاربعة باللغة العربية فى التعليم الابتدائي واعتبار اللغة الفرنسية لغة اجنبية . ـ الغاء تدريس القانون للالتحاق بالمدارس الثانوية . ـ اما فيما يخص التعليم الثانوي فقد قدم الطلبة ملتمسا ينص على معالجة ضعف اساتذة المعاهد الثانوية وانشاء معهد لاعداد الاساتذة الاكفاء لتدريس المواد العلمية باللغة العربية ، وانشاء مختبرات فى جميع مدن الشمال ، وانشاء قسم صحي للطلبة والاعتراف بشهادة البروفي فى قسم الشمال ، واعطاء حاملها من الحقوق ما لاخيه فى الجنوب ، وكذلك تعريب السنة الخامسة والسادسة من التعليم الثانوي، وفتح ابواب الشرق فى وجه كل طالب مغربي ، وارسال البعثات والغاء السنة التوجيهية للطلبة المغاربة باسبانيا ، وفتح باب للتكوين السريع مع اسبانيا كما هو الحال مع فرنسا . ـ وينص الملتمس ايضا على ضمان مستقبل الطالب الذي يحمل ثقافة اسبانية ومساواته بالطالب الذي يحمل نفس الثقافة بالفرنسية وانشاء قسم اعدادي بالفرنسية للطلبة المغاربة الحاصلين على الباكلوريا الاسبانية ويرغبون فى اتمام دراساتهم بالفرنسية ، واعطاء الحق للطالب المغربي فى وظيفة تساوي درجاته العلمية ومساواة المنح مع توزيعها فى وقتها المحدد وزيادتها بالنسبة للطالب الفقير وكذلك احترام الطالب من جانب الامن ورجال الشرطة.

✻ اقام النادي الثقافي ـ الفني بالدار البيضاء حفلة شيقة بمناسبة افتتاح موسمه الادبي الفني لسنة 58ـ59 . وقد حضر هذا الحفل جل اعضاء النادي من ادباء وفنانين وتبودلت فيه الكلمات والخطب .

✻ اعلن النادي الثقافي الفني بالدار البيضاء عن مسابقات فنية وخصص لها جائزتين سنويتين احداهما ادبية ، والاخرى فنية . وبصفة استثنائية قرر النادي فى هذه السنة رفع الجوائز الى اربع هكذا:

جائزة 70.000 فرنك لاحسن رواية مسرحية بالعربية الفصحى .

جائزة 50.000 فرنك لاحسن رواية مسرحية باللغة الدارجة المهذبة .

جائزة 70.000 فرنك لتلحين قصيدة من روائع الشعر العربي .

جائزة 50.000 فرنك لتلحين قطعة شعبية .
وسيعلن النادي عن شروط هذه المسابقة وتاريخها .

✻ اصدرت وزارة التربية الوطنية المغربية قرارا يقضي بانشاء مدرسة اعدادية للمهندسين .

✻ نظمت كلية الآداب بالرباط سلسلة من المحاضرات فى موضوع الفن الاسلامي فى بلاد المغرب والاندلس قام بالقائها الاستاذ بالمعهد التربوي وكلية الآداب بالرباط السيد عثمان عثمان اسماعيل ، وذلك فى القاعة الكبرى بكلية الآداب .

✻ فى الاستجواب الذي اجراه مندوب الاذاعة الوطنية مع الاستاذ عبد الكريم غلاب حول الادب والادباء المنشور فى العدد الاخير من مجلة الاذاعة الوطنية ذكر الاستاذ غلاب مرتين ان الشاعر نزار قباني لبناني . والحقيقة هي ان صاحب «طفولة نهد» نزار قباني سوري .

✻ تسلم الاستاذ محمد الفاسي مدير الجامعة المغربية دعوة من مدير جامعة القاهرة يدعوه فيها للمشاركة فى حفلات الذكرى الخمسينية لتأسيس جامعة القاهرة . وقد اعتذر الاستاذ الفاسي عن الحضور لكثرة اشغاله .

✻ فى منتصف شهر دجمبر الماضي نظم الفرع الثقافي لحزب الاستقلال سلسلة دورية من المحاضرات فى مختلف انحاء المملكة المغربية قام بالقائها الاساتذة : الدكتور احمد العراقي ، وعبد الله الشرقي ، ومحمد

الطاهري ، وعبد الرحمن بادو ، واحمد السنوسي ، وقاسم الزهيري ، ومحمد القصري ، ومحمد الدكالي، والمعطي جوريو ، ومحمد بوستة ، وعبد القادر بونجوح ، ومحمد الدويري ، وعبد السلام بن عبد الجليل ، وعبد الكريم غلاب ، والامين بن جلون ، ومحمد الجعيدي ، وبن سالم الصميلي ، والدكتور عز الدين العراقي ، واحمد بن اليمني ، وعبد الهادي الصبيحي ، وعبد الحكيم قديرة ، وعبد الحفيظ القادري ، ومحمد بن عبد الرزاق .

※ في نية جمعية العلماء بفاس رفع ملتمس الى جلالة الملك يطلبون فيه ضم مكتبة عبد الحي الكتاني الى مكتبة جامعة القرويين .

※ نلاحظ بكل حسرة مرور كثير من المناسبات الثقافية الدولية من مؤتمرات وندوات ومعارض وغيرها .. دون ان يساهم المغرب فيها كباقي الاقطار الاخرى التي تتسابق الى مثل هذه الاسواق الثقافية بقصد التعريف بمقوماتها الثقافية . نقول هذا بمناسبة معرض الكتاب الذي احتفل به في طرابلس ــ الغرب ، وشاركت فيه الاقطار العربية الى جانب بعض الاقطار الاجنبية ، ولم يشارك فيه المغرب . ومن حقنا ان نتساءل عن سبب هذه العزلة التي يعيش فيها المغرب منكمشا على نفسه ومنطويا ؟ وهل مرد هذه العزلة الى المسؤولين في وزارة التربية الذين يمرون بهذه المناسبات ، غير حافلين بها ، وبما يجني المغرب من ورائها (؟ !) .

※ سيقدم للطبع الاستاذ محمد بن الحداد قاضي التحقيق لدى المحكمة الاقليمية بتطوان كتاب «اجرام الصغار ومحاكم الاحداث» .

※ ارجعت وزارة التربية التونسية جميع الطلبة التونسيين الموجودين بالجمهورية العربية المتحدة . وقد امتنع البعض منهم عن الرجوع .

※ طرحت مجلة « المصور » القاهرية على الادباء : توفيق الحكيم ، ومنصور فهمي ، ومحمود تيمور ، وعباس محمود العقاد سؤالا عمن يستحق جائزة نوبل للاداب بينهم . فكانت النتيجة ان توفيق الحكيم ، ومنصور فهمي ، ومحمود تيمور رشحوا الدكتور طه حسين لهذه الجائزة . اما الاستاذ العقاد فقد رشح نفسه قائلا : «لا احب ان ارشح غيري ، كما لا احب ان انصب نفسي حكما على اعمال غيري» وزاد قائلا : « ولا اعتقد ان شوقي ــ لو كان حيا ــ يستحق جائزة نوبل . فان شعر شوقي ليس فيه هذا المعنى المقصود ، لانه قائم في اغلبه على الطلاوة اللفظية » .

※ عقدت جلسات الدورة الرابعة لمؤتمر ادباء العرب في ثانوية الشويخ بالكويت . وقد اعدت وزارة معارف الكويت كل ما يلزم المؤتمر ، كما اعدت سكنى المؤتمرين وعددهم ينيف عن 200 اديب ما بين رسمي وشخصي . وسيستمر المؤتمر 15 يوما . وقد علم ان وفد تونس لم يشارك في هذا المؤتمر . ولذا ، فقد كلف وفد الجزائر بالبحوث الذي كان وفد تونس سيقدمها. ويوجد في قاعة نادي ثانوية الشويخ الذي عقد فيه المؤتمر صورتان زيتيتان كبيرتان الاولى تمثل العربي يخنق الاستعمار والثانية تمثل الجزء السليب من فلسطين الحبيبة ، وقد كتب عليه «اننا عائدون».

فهرس العدد الرابع ـ السنة الثانية

الصفحـــــــــة

دعوة الحق

مجلة الانتاج الرفيع ، والمستوى العالي . مجلة العالم والاديب والفنان والشاعـر .

*

((دعـوة الحـق)) تقرا فيها الابواب الثابتة التالية :

1) العدد الماضي في الميزان
2) في النقد الادبي
3) مطالعات وآراء
4) من تراثنا الفكري
5) من تراثنا الادبي
6) انباء ثقافية
7) بريد دعوة الحق
8) القراء يسالـون

الى جانب كثير من البحوث والدراسات والمقالات والقصائد والقصص الرائعة

*

لخدمة الثقافة والفكر والادب ، ابعثوا بانتاجكم الى مجلة ((دعـوة الحـق))

*

لاتشترط مجلة ((دعـوة الحـق)) فيما تنشره الا شيئا واحدا فقط ، هو ان يكون من مستوى فكري معين ، لاينبغـي لمجلة تحترم نفسـهـا واهدافها ان تنزل عنه او تتسامـح فيـه .

*

للمسـاهمة في النهوض بالمستوى الفكري في وطنك ، ابعث باشتراكك الـى مجلة ((دعـوة الحـق)) .

«المطقية» من آثار الاحتلال البرتغالي لمدينة الجديدة .
وقد احتل البرتغال هـذه المدينة من سنة 908 الى ان اجلاهم عنها المولى محمد بن عبد الله في سنة 1183 هـ

تصوير : جاك بولان

مطبـعـة فضـالـة ـ فضـالـة